الفكر السياسي
في أدب
أبي العلاء المعري

الدكتور
عبد الرحمن حميد ثامر الكبيسي
أستاذ في اللغة العربية / كلية المعارف - الجامعة





للنشر والتوزيع


مكتبة المجتمع العربي
للنشر والتوزيع


مكتبة المجتمع العربي
للنشر والتوزيع

الفكر السياسي
في أدب أبي العلاء المعري

الفكر السياسي

في أدب أبي العلاء المعري

تأليف

الدكتور

عبد الرحمن حميد ثامر الكبيسي

أستاذ في اللغة العربية

كلية المعارف - الجامعة

الطبعة الأولى

2015م - 1436هـ

مكتبة المجتمع العربي

مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2014/4/1932)

811.5

الكبيسي، عبد الرحمن حميد

الفكر السياسي في أدب أبي العلاء المعري/ عبد الرحمن حميد الكبيسي.- عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، 2014

(   ) ص

ر.أ. : 2014/4/1932

الواصفات: /الشعر العربي//الفكر السياسي/العصر العباسي/

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة العربية الأولى

2015م – 1436هـ

مكتبة المجتمع العربي

مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع

عمان – وسط البلد – ش. السلط – مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس 4632739 ص.ب. 8244 عمان 11121 الأردن

عمان – ش. الملكة رانيا العبد الله – مقابل كلية الزراعة –

مجمع سمارة التجاري

www: muj-arabi-pub.com

Email: Moj_pub@hotmail.com

Join us on Facebook

ISBN 978-9957-83-443-2 (ردمك)

الإهداء

إلى رب العزة ... بخشوع ومذلة وخدي بالتراب يلتصق .
فلولاك لم أهتد ولم أوفق ولا بكلمة لساني نطق ...
إليك ثم إلى منقذ البشرية، محمد الأرض ومحمود السماء ..
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... بتجرد وصدق ..

عبدك
عبد الرحمن حميد ثامر

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقدمة

كلما يكون هناك كتاب، تكون هناك قصة لاختيار الموضوع، وكان حلم يراودني لموضوع يجعل للأدب، شخصية جديدة، بعيدة عن الدراسات المعادة في المجالات المألوفة.

وبسمات مميزة من الإستقلالية لتمجيد الأدب. وتساهم في إحياء مفاخر العرب الذهنية. وتعالج الموضوعات ذات الأهمية الكبرى في مجتمعنا المعاصر. وبخاصة الدراسات التي تتعلق بالمواضيع الفكرية – التي أصبحت تحتل الصدارة، ولنحيي فيها حلقة من تلك السلسلة التي صاغها العلماء البررة من أمتنا المجيدة.

وكان هناك من يحمل هموم هذه التأملات، في توجيه الدراسات الأدبية للبحث في صفحاته الفكرية المشرقة، وتهيئة مثل هذه الموضوعات بانتظار الباحث المناسب، ومن هذا المنطلق عرض علي، أستاذي الدكتور عباس الصالحي عنوان (الفكر السياسي في أدب المعري) لأستجيب مندفعاً حيث أجد فيه ضالتي وأمنيتي.

وتوجهت بعد الاستشارات المستفيضة لدراسة آثار أبي العلاء دراسة متأنية. في إطار مؤلفاته التي وصلت إلينا، لتتبع مساهماته الفكرية في مجال الفكر السياسي.

وهذا لن يتيسر بمعزل عن دراسة حياة أبي العلاء والحياة العامة في البلاد الإسلامية في ذلك الوقت. وما كان يحيط بها من مؤثرات. فمعطيات الفكر، تمثل انعكاساً لأحوال الواقع الذي يعيشه الإنسان.

وكل ذلك اقتضى رحلة طويلة، في دراسة كتب الأدب والتاريخ والقوميات والأديان والاتجاهات الفكرية، والفرق والطوائف والفلسفة، وأعلام الفكر، والتربية وعلم النفس، والسياسة.

ومـن يتـابع أدب الرجـل، يجـد أنـه كـان مهمومـاً بـالحيـاة الإنسـانية ويتوجـه إليها صادقاً بعقله وعواطفه، لإنقـاذ البشرية. هـذا التوجـه في الحقيقـة، لم يكـن عـن درس وبحث. وإنمـا عـن طريـق آرائـه الـتي كـان يطلقهـا (بصـراحة) أتعبتـه كـثيراً. فمضى يرصد الجوانب المتخلفة من الحياة في عصره.

والموضوع ليس معقداً وحسب، وإنما فيه من الحساسية الشئ غير القليـل. لـذلك تمسكت بالموضوعية، بحـذر شـديد. فـالأمر يتطلـب بصـيرة نافـذة أكـثر مـن الشجاعة. لأن في الأمر صعوبات جمـة. فـالمعري لم يكـن يعنيـه ترتيب الآراء والأفكار، ترتيبـاً منطقيـاً فيـه مقـدمات وأسباب ونتـائج. ومـن غـير أن يسـوق الأدلـة والـبراهين، حيـث لم تكـن الفكـرة وحـدها هـي الغايـة عنـده. زيـادة علـى مـا ينبغـي أن يكـون عليـه الباحث مطيقاً لآثار أبي العلاء. الـتي تـدل علـى معـان معقـدة في اللغـة، ومختزنـة في ضـميره. فكـان مـن مهمـة الباحـث، تنظـيم هـذا الفكـر المسـتنبط مـن خـلال آثـاره، بعـد محاولة لفهم شخصية أبي العلاء.

ولـن أتعمـد هنـا الشكوى مـن الصـعوبات. فقـد كانـت لـذة البحـث والسـهر في طلب العلـم تسري في دمي وعظامي، في هذا الموضوع الـذي بـذلت لـه جهـد أيـام وليـاي متصلة من كهولتي، انقطعت فيها عن الحياة والنـاس، لأضـع لنفسـي وبتواضـع لبنـة قوية في صرح تاريخ أدبنا المجيد.

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول رئيسـة وخاتمـة تناولـت في التمهيد، مسايرة الأدب العربي للسياسة. والآراء التي يتنـاولها الفكـر السياسـي مـن حياة الدولة والمجتمع. وفي كل تنظيم اجتمـاعي ليكـون مـدخلاً تشـتد الحاجـة إليـه لنتعرف الفكر السياسي لأبي العلاء، فكان لا بد من هذا التمهيد.

وخصصت الفصل الأول للحديث عن مصادر الفكر السياسي عند أبي العلاء المعري، وقد قسمته إلى خمسة مباحث.

المبحث الأول عن فكر أبي العلاء شخصياً، المستوحى من حياته وظروفه الخاصة والمشكلات والمحن التي تعرض لها. فضلاً عن الاتهامات التي وجهت إليه.

وفي المبحث الثاني تناولت الأحوال العامة في عصر أبي العلاء، فقد تأثر المعري بسوء الأحوال السياسية، ولما انتهت إليه البلاد من الضعف والاضطراب وفساد الأوضاع، تمثل في انهيار الخلافة المركزية. وكيف تأثرت الحياة السياسية للمسلمين بحال هؤلاء الخلفاء، والدول التي أظلت أبا العلاء. وبشكل خاص الدولة الحمدانية في حلب. ومواقف أبي العلاء اتجاه الحكام. والنتائج السيئة التي ترتبت على الحروب، وسلسلة الحوادث منذ نشأة المعري إلى وفاته. من خلال الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما ساعد على فهم أفكار المعري.

وتناولت في المبحث الثالث، الاتجاهات الفكرية السائدة، والسمات العامة في أساليب التفكير. واطلاع أبي العلاء على العلوم المختلفة، وموقفه من الفرق والطوائف أمثال المعتزلة وحركة الزنج والقرامطة والفاطمية وإخوان الصفا. فضلاً عن الاتجاهات الفكرية الخارجية.

وكان المبحث الرابع من مصادر الفكر السياسي عند أبي العلاء حول الأديان التي اطلع عليها المعري والصراعات والمجادلات والمناظرات، وما ترتب عليه من تباغض وتباعد وعداوات، أثرت في الحياة السياسية، كان مصدرها الحركات الدينية التي تموج بها البلاد الإسلامية، وما يحصل من خلافات بين أهل الأديان، واختلاف الشعوب التي خضعت للإسلام، من فرس وترك وروم وهنود. الذين حاول فريق منهم التخلص من الإسلام، عندما وجدوا أن الإسلام يهدد مصالحهم، وما يتبعها من عصبيات مذهبيه وطائفية بين المسلمين واليهود والنصارى والصابئة والمجوس والذين أشركوا والزنادقة والملحدين.

والمبحث الخامس من الفصل الأول كان حول أعلام الفكر. فقد درس أبو العلاء آثارهم، وثقافاتهم وأفكارهم، درساً متقناً. وكان يقف على الكتب اليونانية

والفارسية والهندية. وفي دائرة البحث استعرضنا مجموعة من هؤلاء الأعلام، سقراط، وإفلاطون، وأرسطو، والفارابي.

وفي الفصل الثاني تكلمت عن واقع الفكر السياسي، من وجهة نظر أبي العلاء وتقسم هذا الفصل على خمسة مباحث.

المبحث الأول عن السلطة الحاكمة،حيث اتسعت الفجوة بين المفاهيم الإسلامية في الحكم، وبين طبيعة الحكام الدخلاء وقيام أكثر من ولاية. فكان الحديث عن الرؤساء وسياستهم، وموقفهم من الرعية. كما يراها أبو العلاء ويصفها. ومثل ذلك عن الوزراء والحجاب والقضاة.

وكان المبحث الثاني عن المؤسسة الدينية، وكيف كان ينظر أبو العلاء إلى الواقع الديني. الذي تأثر بالاضطراب السياسي، ابتداء من رجال الدين، وانتهاء بأفراد المجتمع، والجهل الذي رافق أذهان فئات من الناس في مفهومهم للدين، والشعائر الدينية التي ليس لها ما يقابلها من الأخلاق.

وتحدثت في المبحث الثالث عن المؤسسة الاجتماعية، التي انسحب منها أبو العلاء، وبقي مهتماً بشؤون الحياة والناس، ويعيش قضايا الإنسان من خلال رؤيته لواقع المجتمع، وتشخيصه العيوب وتدهور الأخلاق. فتضمن هذا المبحث الحديث عن الأسرة والرجل والمرأة والأطفال والعادات المتخلفة.

أما الحديث عن المؤسسة التعليمية فكان في المبحث الرابع من خلال الموازنة بين السيف والقلم، وأهمية العلم، وتأثره بالأحوال السائدة، ومساهمة المعري بالنقد والتحليل. والحديث عن التعليم في المساجد والكتاتيب والمكتبات ودور العلم والمدارس.

وللجوانب العسكرية نصيب من وجهة نظر أبي العلاء، فكان الحديث عنها في المبحث الخامس، حول أجواء الحرب والأطماع البيزنطية في بلاد الشام، والقواد والجنود، والمعارك، والخطط الحربية وأدوات الحرب وما يترتب على الحروب من آثار.

وفي الفصل الثالث كانت المؤسسة العلائية، التي تمثل الفكر السياسي عند أبي العلاء. ويتوزع هذا الفصل على مباحث خمسة أيضاً.

في المبحث الأول تكلمت عن الدين والدنيا. وتضمن حاجة الناس للدين والإسلام هو النموذج. والحديث عن الذات الإلهية وعن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. والعبادات والعادات، والأخلاق المرافقة للعبادة. وبما يتعلق بأمور الدنيا كان الحديث عن حقيقة الموت، وكره الدنيا والاستعداد الدائم للرحيل عنها، والمنافسة في مجال الحصول على المراتب الدنيوية.

واستعرضت في المبحث الثاني موضوع الفرد والمجتمع، والعلاقة بينهما والمسؤولية الثنائية فيما يتعلق بالفرد نفسه، ومكانته، وكيف يعرف الإنسان قدر نفسه واستعداد النفس لعمل الخير أو الشر، وأثر التربية العائلية، والأسرة واختيار الزوجة والمواصفات المطلوبة فيها. والإنجاب وتربية الأطفال، والجار ومعاملة العبيد ومراتب الناس والمجتمع.

وتناولت في المبحث الثالث، الحديث عن الحاكم في ضوء فكر أبي العلاء السياسي : طريق الاختيار، دواعي المفاضلة، العزوف عن الحكم، مواصفات الحاكم.

وشمل المبحث الرابع الكلام عن الرعية، وحقها في اختيار الحاكم، وعلاقة الرعية بالحكام، ومواصفات هذه العلاقة.

أما المدينة العلائية الفاضلة فكانت في المبحث الخامس، وهي تمثل زبدة الفكر لأبي العلاء، وتحوي المدخل لهذه المدينة، والسلطة الحاكمة، وأهمية العقل، والرعية والعلاقات الاجتماعية، وأخلاقيات المدينة العلائية، والحرف والأعمال،

والإسكان وأرزاق المدينـة، والرفـق بـالحيوان، ثـم كانـت هنـاك موازنـة بـين المدينـة العلائية، والمدينة الفاضلة للفارابي.

وقـد أنهيـت البحـث بخاتمـة استخلصـت فيهـا الخطـوط العامـة للفكـر السياسي لأبي العلاء المعري وما خرجت بـه مـن نتائج، لتكون الدراسـة شاملة لأبعاد هذا الفكر.

المؤلف

الفصل الأول

مصادر الفكر السياسي

الفصل الأول
مصادر الفكر السياسي

التمهيد:

يحدد علماء اللغة للسياسة معنى، هو الرياسة والقيام على الشيء بما يصلحه[1]. فهي تدبير لشؤون الرعية بما يصلحها.

والأدب السياسي هو الفن القولي شعراً، أو كتابة ليؤيد أو يعارض شؤون الحكم. أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم[2].

ومنذ الجاهلية – فإن الأدب العربيساير السياسة[3] من خلال الصيغ القبلية. وفي العصر الإسلامي كانت تنظم أحوال الناس والمعاملات تبعاً لقواعد الشريعة الإسلامية في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لأمور الدين والدنيا اذ كانت تلتحم وفق المبادئ السمحة لهذه الشريعة، كما حددتها الأحكام القرآنية والسنة الشريفة. فأدخلت تطورات أساسية واسعة في حياتهم الاجتماعية والفكرية والسياسية)) [4].

وكان للصحابة الكرام الحرية في الاجتهاد. ليتولى أولو الشأن تدبير الأمور بأعمال العقل المشبع بالإسلام، المهتدى بالإيمان. فالهدف هو " استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة))[5] وهذا ما تهدف إليه الشريعة

(1) لسان العرب: مادة سوس: 108/6..
(2) أدب السياسة في العصر الأموي – الدكتور أحمد محمد الحوفي: 8.
(3) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني – أحمد الشايب: 22.
(4) العرب في الإسلام – أحمد صالح العلي – القومية العربية والإسلام والتاريخ والإنسانية – قراءات في الفكر القومي – الكتاب الثالث – مجموعة من الباحثين: 502.
(5) دراسات في مصطلح السياسة عند العرب – أحمد عبد السلام: 9 وينظر الإسلام نظام إنساني – مصطفى الرافعي، تقديم ومراجعة الشيخ حسن تميم: 17– 19.

الإسلامية من السياسة [1] وكذلك كان الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) الذين جسدوا السماحة والعدالة، فكان لخلقهم العظيم أكبر الأثر في ترصين دعائم المجتمع الإسلامي فلا غرابة أن تعددت الاجتهادات إلى حد التطابق، أو التوازي وربما التقاطع.

لذا ظهرت الفرق الإسلامية، واحتدم الصراع فيما بينها، صراع سياسي جوهراً ولكنه معزز بالأدلة الشرعية، فكان المزج بين الدين والسياسة[2].

وتأجج ذلك الصراع في عقود القرن الرابع الهجري الذي انطلقت فيه مذاهب فكرية سياسية شتى.

ولأن الفكر هو الذي يقود العالم، وهو القوة الحقيقية التي تقرر مصائر الشعوب فليس من شئ أغلى من الطاقة الفكرية في الأمة[3]. والإنسان يدرك حقيقة، أنه بحاجة إلى تنظيم جوانب حياته مع أقرانه – والفكر السياسي انعكاس واع لهذا الأمر فكثيراً ما تتحول دراسة السياسة من مجرد تناول الموضوع السياسي إلى دراسة السياسة في السياق الفكري الأدبي[4]. وذلك لاستنباط الأفكار السياسية من خلال الطريق غير المباشر. فقد تم ذلك في طريق دراسة طبيعة المجتمع السياسي الذي ينتمي إليه هذا الفكر[5]. لأن الفكر السياسي يتناول الآراء " التي يضمها الجانب السياسي من حياة الدولة والمجتمع))[6].

وهذا المفهوم تشتد حاجتنا اليه لما نحن بصدده ((لأن ظاهرة السلطة ليست خاصة بالدولة. وإنما تبدو قائمة في كل تنظيم اجتماعي مهما كان صغيراً)) [7].

---

(1) ينظر الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت 597) تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ومراجعة محمد السيد الصفطاوي: 59.

(2) ينظر النظريات السياسية الإسلامية – د. محمد ضياء الدين الريس: 36.

(3) ينظر من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. د. محمد عبد الرحمن مرحباً: 8.

(4) ينظر: أصول الاجتماع السياسي – السياسة والمجتمع في العالم الثالث – الأسس النظرية والمنهجية – د. محمد علي محمد: 92.

(5) ينظر الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره – د. فاضل زكي محمد: 18.

(6) م. ن: 12– 14 وينظر الفكر السياسي لثورة العشرين – نديم عيسى: 5.

(7) مدخل إلى علم السياسة – الدكتور عبد الرضا الطعان. والدكتور صادق الأسود: 52.

وبقدر ما تعرف الظاهرة السياسية بوصفها الظاهرة الاجتماعية التي تمس بشكل مباشر أو غير مباشر هذه السلطة.

فالسياسة كما يعرفها دي كريف بأنها: (منهج وضعي يستهدف التنسيق أو التوجيه الاجتماعي القائم على اساس من المعطيات الوضعية الخاصة بالعلوم الاجتماعية. وتشمل كل ما له علاقة بتكوين وتهديم وصيانة وتطوير المجتمع)[1]. لأن موضوع علم السياسة الذي يتكون من خلال السلطة السياسية ((هو نوع من السلطة الاجتماعية)) [2].

وبحكم كون الظاهرة السياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع ودرجة تطوره، فإنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر السياسي. ((ولم ينفصل مفهوم العلم الموضوعي للسياسة عن المواقف الاخلاقية والمتعقدات)) [3]. لأن السياسة ((فعل اجتماعي يعبر عن علاقة قوى بين طرفين يمارس أحدهما على الآخر نوعاً من السلطة هي سلطة الحكم)) [4].

ومن هنا نريد أن نؤكد أن علم السياسة، ولد نتيجة للاهتمام الفائق بالواقع الاجتماعي، كما يرى (لافوا)[5].

وهذا الذي يهمنا، فإذا كان مفهوم الفكر السياسي يستعمل لدى كثير من الناس دون أن يكون له معنى محدد. أو عند علماء القانون حيث توسع المفهوم، وأصبح شاملاً لأنظمة الحكم وتفرعاتها فهذا لا يعنينا. وبغض النظر أيضاً عن المعاني الكثيرة المعقدة الأخرى لكلمة سياسة. فالمعري لم يكن معنياً بهذه المصطلحات، على نحو ما نجده هذه الأيام لكلمة سياسة [6]. وعندئذ يمكن الوقوف على الفكر السياسي عند

---

(1) مدخل إلى علم السياسة: 51.

(2) م.ن: 82.

(3) م. ن: 151 وينظر: علم السياسة – دراسة نظرية وميدانية – دكتور اسماعيل علي سعد: 8، 43.

(4) العقل السياسي العربي – محدداته وتجلياته – د. محمد عابد الجابري: 7.

(5) ينظر مدخل إلى علم السياسة: 17. ولهذا المفهوم جذور قديمة فعند أرسطو يشمل مفهوم السياسة سلطة الوالد على أولاده وعلى العائلة وتربية الأطفال. ينظر السياسة – أرسطو طاليس – ترجمة أحمد لطفي السيد: 206و292.

(6) حيث تشير الكلمة إلى حكومة وإدارة وحصانة سياسية، ودبلوماسية ودهاء سياسي وعمل حصيف. ينظر: العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي – انطوان زحلان: 255، وينظر: الأنظمة السياسية المقارنة. د. حسان شفيق العاني: 54.

المعري، عندما تصدى لطبيعة العلاقات بين الناس. سواء على مستوى الأفراد أو الأسرة أو المجتمع أو الحكام.

وهذا يعني أن مفهوم الفكر السياسي لا يتوقف على نظام السلطة حصراً، وإنما يتعداه إلى نواحي المجتمع المختلفة. وأفرد المفكرون المسلمون موضوعات للسياسة مثل رسالة الصاحب لابن المقفع (ت 142 هـ) (وكتاب التاج في أخلاق الملوك) للجاحظ (ت 255 هـ) [1]. وأما ما يتعلق بالخطط السلطانية كالوزارة والإمارة ومختلف الدواوين فلعل ما كتبه ابن قتيبة (ت 276هـ) يعد أقدم ما انتهى إلينا في هذا الموضوع[2].

أما قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة فقد توقف عند أخلاق الملوك. وما يجب أن يكونوا عليه [3]. ويشكل الفارابي (ت 339 هـ) علامة فارقة في مباحثه عن آراء أهل المدينة الفاضلة. ومواصفات الرئيس ومن يليه. وأصبح موضوع السياسة كأنه علم خاص. أو أدب خاص كما نجد في كتابات الماوردي (ت 450 هـ) المعاصر لأبي العلاء المعري.

واشتهرت كتابات الماوردي في تاريخ الفكر السياسي: ((لأنها تسجل مرحلة حاسمة من مراحل تطور ذلك الفكر)) [4]. والماوردي في كتابه نصيحة الملوك [5] أقرب إلى الأدبيات السياسية منه إلى الكتابة السياسية المباشرة.

وإذا كانت السياسة تعني ((الضغوط التي تمارس على الهيئة السياسية تتمثل بالمواقف المتخذة من قبل الأحزاب، لغرض الحصول على هذا القرار أو ذلك...)) [6].

---

(1) وكتاب التاج حققه وقدم له فوزي عطوي. واستعرض البابانى سلسلة من الكتب في أدب السلطان وأدب الحكام وأدب القضاة. ينظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا بن محمد البابانى – عني بصحيحه وطبعه محمد شرف ورفعت بيكله: 49– 50.

(2) ينظر عيون الأخبار للإمام أبي عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) 5/1 وينظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة أيضاً وهو معروف بتاريخ الخلفاء – تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، ج1.

(3) ينظر: الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر (ت 337) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي: 438، وينظر: ابن خلدون حياته وتراثه الفكري – محمد عبد الله عنان: 118– 119.

(4) الفقه والسياسة – د. سعيد بن سعيد: 5.

(5) كتاب (نصيحة الملوك) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450) تحقيق: محمد جاسم الحديثي.

(6) مدخل إلى علم السياسة: 38.

فإن المعري لم يكن رئيساً لحزب، وليس له منبر سياسي، أو وسائل اعلام خاصة لنشر آرائه، ولا منظمات، ولا فرق تتبنى افكاره، وهي في الوقت نفسه، لم ترتبط بطموحات الأفراد الآنية أو المستقبلية. وإنما كان يطلق الآراء من سجنه في ضوء تأملاته، وما يتمناه للبشرية من سلام. وربما تكون هذه الآراء صيحات في واد أطلقها في أوقات متفاوتة، غير متوالية زمنياً، وكانت ردود أفعال لمواقف يتعرض إليها في حياته التي طالت نسبياً.

والقول بأن الصراع هو جوهر السياسة، وأن النزاع من صميم السياسة كما يذهب أحد الباحثين [1] فإن أبا العلاء يؤمن أن مجتمعاً يخلو تماماً من أي نزاع أو صراع فهذا لن يكون:

واللب حاولَ أن يُهذّبَ أهلَه ... فإذا البريّةُ ما لها تهذيبُ [2]

وإذا كان الموقف السياسي، هوما يتعلمه الأفراد من البيئة الاجتماعية في ميول ونزعات، ويستخدمونها في تقويم الأحداث السياسية، كالحروب والثورات والانقسامات العقائدية [3]، فإن شاعرنا كان يتألم إلى ما تؤول إليه الأوضاع من تدهور، ولم يتحيز إلى جانب فئة معينة، في تكوين الموقف وإنما كان يشعر بالظلم، ويتحسس المتناقضات التي تركت آثارها في أفكاره فتبدو غير مستقرة أحياناً، وربما فسرها البعض شكاً أو تشاؤماً [4].

وإذا تذكرنا أن أبا العلاء، لم يكتب وهو يتنعم بجمال الربى، وضفاف الأنهار، وزرقة الماء وصفاء الشمس، إنما يملي وسط ظلام في ظلام، وبما يحفظ من لغة معقدة. فإننا لا نعدم وجود أفكار تلقي عليها هذه الظروف ظلالها المعتمة عندما يقول:

---

(1) م. ن: 39- 40.

(2) لزوم ما لا يلزم – اللزوميات – لأبي العلاء المعري: 106/1.

(3) ينظر علم الاجتماع السياسي – الدكتور إحسان محمد الحسن: 104، وينظر: سياسة الحكم – أوستن رني – ترجمة الدكتور حسن علي ذنون: 17- 18.

(4) ينظر أمراء الشعر العربي في العصر العباسي – أنيس المقدسي: 400، ويرى أحمد زكي أبو شادي أن تشاؤم المعري كان بقدر حرمانه من الشمس وابتسامة المرأة الحسناء، ينظر: كتابه – قضايا الشعر المعاصر: 17، والصواب الذي نراه يتعدى هذا القدر.

فـلا تأمـلْ مـن الـدّنيا صَلاحاً　　فذاكَ هـو الذي لا يُستَطاعُ [1]

ويعنينـا مـن هـذا المدخل مفهـوم الفكـر السياسـي في الـتراث العربـي الإسـلامي. فعنـدما تحـدث روزنتـال عـن المفكـرين العـرب المسـلمين يقـول ((ينظـرون إلى السياسـة باعتبارها مجموعة من النشاطات الإرادية والسلوكية، وهي تنبثق عن الاختيار المحكوم بمعرفـة الخـير والشـر، والحـق والباطـل، والفضـيلة والرذيلـة. فقـد ذهـب ابـن رشـد (ت 595هـ) إلى أن علم السياسة يشبه الطب إذ أنه يتضمن جانبين الأول نظـري والآخـر عملي. وهناك رابطة شديدة بـين الجانبين كما يحدث في كتـب الصحة والمرض)) [2]. وقبـل ذلـك فقـد ذهـب قدامـة بـن جعفـر إلى أن السياسـة تشـمل الـنفس أيضاً فيقـول: ((أعجـز العجـزة مـن عجـز عـن سياسـة نفسـه)) [3]. وعنـد ابـن سـينا (ت 428 هـ) يشـمل المفهـوم نـواحي الحيـاة كافـة مـن المسكن والأسـرة والـزواج وشـرف الـنفس ومـدخولات الفـرد، وسياسـة الرجـل في أهلـه، والعلاقـة مـع زوجتـه وسياسـته في تربيـة الولـد [4]، وعنـد الإمام الغزالي [5] (ت 505هـ) يـرى أن السياسـة مـن العلـوم الضـرورية للتـآلف والتعـاون. ويـرى ابـن خلـدون (ت 808هـ) أن السياسـة عليهـا أن تهـتم بـأحوال العمـران. ذلـك لأن رسـالة الإسلام الـتي تعـد أهـدى رسـالة عرفهـا العـالم للتحـرر العقلـي والمادي، تسعى إلى سعادة المجتمع والحكام. فنجد في الفكر السياسي الإسلامي قمـة النضـج إذا قورن بكثير مـن النظريـات السياسـية قبـل أن يعرفهـا الفكـر الأوربـي عنـد روجـر بيكـون وغرنسـيس بيكون [6].

(1) اللزوميات: 128/2.
(2) مدخل إلى علم السياسة: 183.
(3) الخراج وصناعة الكتابة: 463.
(4) ينظر مدخل إلى علم السياسة: 183 وما بعدها وأصول الاجتماع السياسي: 117.
(5) م. ن والصفحات.
(6) أصول الاجتماع السياسي: 117.

ومثل ذلك عند الجماعات. فالسياسة عند أخوان الصفا مثلاً ((مرآة تنعكس فيها هذه الحياة السياسية انعكاساً مباشراً)) [1] من الرياسة إلى تدبير الأسرة والصحبة والإخوان والسياسة الذاتية.

وبعد. فإنه لنا وقفة مع أدب أبي العلاء المعري ((لما فيه من الآراء والصور التي تتلاقى مع اصدق ما خلده أكابر أدباء العالم))[2] فكان ((المعري سياسياً في حياته الأدبية))[3] ((ورسائله تنطوي على هدف سياسي))[4] كما يرى المستشرق ((سالمون)). وتبقى السمة العامة على أدبه كما يرى آدم متز هي الدعوة إلى الأخلاق والتكلم بشكل عام على الحياة، وآراؤه لم تقف عن واحات الزهد، بل تعدتها إلى الأخلاق والسياسة والاجتماع والدين والإنسان[5]... وهذا ما سنبحثه في الفصول القادمة إن شاء الله لتشكل الفكر السياسي عند أبي العلاء. وهو ما نهدف إليه من البحث.

---

(1) كتب ومؤلفون – طه حسن: 239 وينظر ذكرى أبي العلاء – طه حسين: 179.

(2) الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء المعري وأثره في بيئته وشعره – سامي الكيالي – دراسات شاملة عن أبي العلاء – مجلة الحديث: 400 – 401.

(3) هل كان المعري يكره الدنيا – زكي مبارك – مجلة الهلال (ج46): 891.

(4) كشاف مصادر دراسة أبي العلاء المعري – مصطفى صالح: 158.

(5) ينظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري – آدم متز – نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة: 2/138–139.

المبحث الأول
حياة أبي العلاء المعري

إن فكر المعري نتيجة لازمة، لطائفة من العلل، منها حياته الشخصية وسيرته الذاتية، والأحداث الكبرى التي أثرت في نفسه، والمحن التي تعرض إليها واشتركت في تكوين مزاجه، فأنتجت من الآثار والأفكار ما نتصدى لقسم منها بحدود البحث.

لذلك فإن فهم شخصية الكاتب، تساعدنا كثيراً في فهم عمله الأدبي وتفسيره، فالعلاقة بين الأدب ونفس الأديب ((لا تحتاج إلى إثبات لأنه ليس هناك من ينكرها)) [1].

فهذه المؤثرات والمعاناة عملت من قريب أو بعيد على خلق الأفكار واتخاذ المواقف، وهي على أية حال ثمرة أنضجتها طبيعة حياة المعري من جوانب مختلفة.

عرف النسابون بأبي العلاء وهو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري المولود يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة للهجرة. بشكل مستفيض جمعت في السفر الأول لآثار أبي العلاء[2]. الذي يتضمن تعريف القدماء باسم الشاعر ولقبه وكنيته، وأبويه وأجداده وأقرابه وعشيرته، التي يصلونها بيعرب بن قحطان، وأبعد من ذلك إلى سام بن نوح (عليه السلام)[3].

---

(1) التفسير النفسي للأدب – د. عز الدين إسماعيل: 13.

(2) تعريف القدماء بأبي العلاء – آثار أبي العلاء المعري – السفر الأول جمع وتحقيق نخبة من المحققين بإشراف الدكتور طه حسين بك.

(3) ابتداء من تعريف معاصره أبي منصور عبد الملك الثعالبي (ت 429 هـ) في تتمة اليتيمة: ص : 3 ومروراً بتاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي (ت 463 هـ): 5، ودمية القصر للباخرزي (ت 467 هـ): 8، والأنساب للسمعاني (ت 562 هـ): 12، ونزهة الألباء لابن الأنباري (ت 577هـ):16، والمنتظم لابن الجوزي (ت 597 هـ: 18، وإنباه الرواة للقفطي (ت 646 هـ): 27، ومعجم الأدباء للحموي (ت 626هـ): ص 67 والكامل لابن الأثير (ت 630 هـ): 142، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (654 هـ): 143، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت 681هـ): 182، والمختصر لأبي الفداء (ت 732 هـ): 186، وتاريخ الإسلام للذهبي (ت 748 هـ): 189، وتتمة المختصر لابن الوردي (ت 749 هـ): 206، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ت 749 هـ): 127، والوافي بالوفيات للصفدي (ت 746 هـ): 263، ونكت الهميان للصفدي (ت 764هـ): 285، ومرآة الجنان لليافعي (ت 768هـ): 297، والبداية والنهاية لابن كثير (ت 774هـ): 301، وروضة المناظر لابن الشحنة (ت 815 هـ): 309، ولسان الميزان لابن حجر (ت 852 هـ): 311، وعقدة الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني (ت 855 هـ): 319، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردي (ت 874 هـ): 329، وبغية الوعاة للسيوطي (911هـ: 331، ومعاهد التنصيص للعباسي (ت 963 هـ): 335، وشذرات الذهب لابن عماد

وإذا كانت ثمة هنات، في مجمل هذه التعريفات، في هذا السفر فقد أشار إليها الدكتور مصطفى جواد [1].

ونكتفي بهذه الإشارة، دون ذكر المعلومات – اختصاراً – لكي نتوقف عند جوانب من طبيعة حياته، التي أثرت في تكوين الفكر وطريقة التفكير.

علمه:

نشأ المعري في طفولته في بيت علم وفضل ورياسة ((والطفل أبو الرجل. أي ما يواجهه في طفولته من علاقات ومعاملات لها الأثر الكبير في حياته عندما يصبح رجلاً)) [2]، فكانت له ظروف مسعفة على النبوغ منذ طفولته، والمعروف عن حياة العباقرة أن عبقريتهم تتكشف في سن الطفولة [3]، وينقل لنا الثعالبي المعلومة المشهورة التي حدثه بها الشاعر أبو الحسن الدلفي المصيصي بقوله: ((لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب: رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب الشطرنج والنرد، ويدخل كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء)) [4].

الحنبلي (ت 1089 هـ): 346،وانتهاء بتعريف العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي من علماء القرن الثاني عشر الهجري في كتابه نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: 351 فضلاً عن الشذرات الواردة في مختلف المصادر القديمة: 369، والتعريفات الواردة في كتب الأدب المغربي: 438، وفي الأدب الفارسي: 461، وتعليقات علماء النحو التي أشارت إلى شعره أو فيه ذكر لأبي العلاء استطراداً: 469، فيما أسهم كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم (ت 660 هـ) في كتابه الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري بتعريف شامل: 483.

(1) في التراث العربي، الدكتور مصطفى جواد، قدم له وأخرجه ونصصه وفهرسه محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي: 370/2 – 395، وترجمة أخرى، ينظر اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت 630 هـ): 234/3.

(2) هوامش على الجوانب النوعية في التربية والتعليم – عبد الرحمن حميد ثامر: 9.

(3) ينظر التفسير النفسي للأدب: 39،وينظر: علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولجيا الاجتماعية د. رشدي فكار: 296/1.

(4) تتمة اليتيمة – لأبي منصور عبد الملك بن حمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ) تعريف: 3– 4 وينظر نكت الهميان في نكت العميان – صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764 هـ) وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي بك: 103، 109.

قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة [1]. ((وقرأ القرآن بكثير من الروايات)) [2]، وسمع الحديث وحدث به [3]، وقرا النحو واللغة على أبيه بمعرة النعمان، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب [4]، فكان عجباً في الذكاء المفرط والحافظة [5].

وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي حوادث عن فطنته وذكائه الخارق [6]، وقال عنه ((ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري)) [7].

وطمحت نفسه للاستكثار من العلم، فرحل إلى أنطاكيا وطرابلس الشام، وكانت بها خزائن كتب [8]، كما سافر إلى بغداد سنة تسع وتسعين وثلثمائة [9]، ومهما يكن من أمر هذ الرحلات، نخلص بإحاطته بالعلم بطريقة مستظهرة شغوف وبعمق [10].

---

(1) المنتظم في أخبار الأمم – ابن الجوزي – 184/8.

(2) الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري – عن أبي العلاء المعري – كمال الين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم (ت 660هـ) تعريف: 514، وينظر: لسان الميزان لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ: 206/1.

(3) الأنساب لأبي سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور التميمي السمعاني (ت 562 هـ) – تعريف: 12.

(4) وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد المعروف بابن خلكان (ت 681 هـ) حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد: 94/1، وتعريف: 182، وينظر الإنصاف والتحري – تعريف: 515.

(5) ينظر الوافي بالوفيات – للصفدي – تعريف: 263.

(6) إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء – لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) تعريف: 80.

(7) الإنصاف والتحري، تعريف: 569.

(8) ينظر إنباه الرواة على انباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 47/3– 51، وينظر تعريف: 30.

(9) الإنصاف والتحري . تعريف: 515.

(10) استطاع الأستاذ محمد محمود شاكر أن ينفي تعرض أبي العلاء إلى الشكوك من خلال رحلاته، في كتاب ألفه لهذا الغرض في معرض نقده للويس عوض حول الموضوع – وهو مجموعة مقالات – ينظر أباطيل واسمار: 29/1و 32 و 73.

((قيل لأبي العلاء بم بلغت هذ الرتبة في العلم؟ فقال: ما سمعت شيئاً إلا حفظته، وما حفظت شيئاً فأنسيته))[1] على أنه يصرح: لم يتلق أي علم بعد العشرين من عمره[2]. ولعله كان يشعر بقدرته الخارقة عندما يقول:

وإنّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ   لآتٍ بما لمْ تَستَطِعْه الأوائلُ [3]

فكان ((حسن الشعر جزيل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب عالماً باللغة حافظاً لها))[4].

وله مؤلفات كثيرة استعرضها القفطي [5]، والزم أبو العلاء نفسه بلزوم ما لا يلزم في أدبه ((وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً وأبعدها مسلكاً)) [6].

وتأسيساً على ذلك نشير إلى سعة العلم، وشمولية التفكير التي يتمتع بها المعري، ومن ثم قدرته الفائقة على عرض الأراء، ولعل ذلك يحمله إلى تضحيات يتكلفها من أجل الحقيقة، وهذا شأن العلماء.

---

(1) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت 749 هـ) تعريف: 224.

(2) الإنصاف والتحري، تعريف: 569.

(3) شروح سقط الزند، لجنة إحياء آثار أبي العلاء، السفر الثاني، إشراف الدكتور طه حسين وتحقيق مجموعة من الأساتذة: 525/2.

(4) تاريخ مدينة السلام – للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب (ت 463 هـ) تعريف: 5. وينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911 هـ): 136

(5) انباه الرواة، تعريف: 38 وما بعدها، وينظر الإنصاف والتحري . تعريف: 527– 541 فقد ذكر ابن العديم بالتفصيل سبع وستون مصنفاً. وينظر: كشاف مصادر دراسة أبي العلاء المعري: 297. وينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري: 297، وينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري – معجز أحمد، تحقيق الدكتور عبد المجيد ذياب: مقدمة المحقق: 111/1.

(6) المثل الساير في آداب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي (ت 637 هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: 267/1 وينظر الشاعر أبو العلاء المعري ولزوم ما لا يلزم – اسكندر فائز نعمة، مجلة اليرموك، آذار 1988: 52.

صفاته:

كانت له كبرياء تأبى له المهانة والابتذال، ويوازن بين ما يكسب بالملذات وما يخسر بالابتذال، فيختار الكرامة بدون تردد، وكان لا يرضى من الدنيا إلا بالسيادة عليها أو الإعراض عنها [1].

وكان من أبرز صفاته الزهد . تعززه العفة والقناعة واعتداده بنفسه، وضن بها على الكذب والمين، وعلى البيع والشراء عفيف النفس والخلق والرأي والعقل، رقيق القلب شديد الرحمة وعندما نجد لديه سخطاً على الناس، فإن مصدره الرحمة بهم يريد التأديب والإصلاح[2]، فيقول: ((علمَ ربُّك انّي لا أعيبُ إلا المعيب، لو نودي عليّ في عكاظٍ أو ذي المجاز ما جئت بالمدِّ ولا النَّصيف واللهُ رافعُ الأقدارِ))[3].

وفي الوقت الذي كان لا يريد جزاء أو ثواباً من أحد، كان شديد الوفاء لمن يسدي له معروفاً، فيشيد بكاتبه: ((فأمليتُ أشياء تولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم، أحسن الله معونته، ألزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاء، لأنه أفنى في زمنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن والارزاء)) [4]، ويمثل هذه الأخلاق كان الوفاء لجميع أصدقائه [5].

لكن أبا العلاء يعترف بأنه وحشي الغريزة، أنسي الولادة [6]، ولعل في هذا له العذر لما صادفه من مشكلات، سنأتي على ذكرها في هذا المبحث.

---

(1) ينظر رجعة أبي العلاء، عباس محمود العقاد: 27.

(2) ينظر من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: 584- 586.

(3) الفصول والغايات، لأبي العلاء المعري، ضبطه وفسر غريبه، ونشره محمود حسن زناتي: 241.

(عكاظ وذو المجاز: سوقان كانتا في الجاهلية. والمد والنصيف: مكيلان).

(4) انباه الرواة القفطي، تعريف: 38.

(5) ينظر معجم الأدباء، تعريف: 93.

(6) م. ن: 85 والتكيف أو التوافق يعني التآلف والتقارب وهو عكس التنافر، يهدف بها الشخص إلى تغيير سلوكه ليحدث علاقة أكثر توافقاً مع البيئة وتكوين العلاقات الطيبة مع الآخرين والقوى المحيطة التي تؤدي إلى الاستقرار النفسي والبدني في المعيشة. ينظر التوافق المهني والاجتماعي – عبد الرحمن حميد ثامر: 8.

عاداته:

كان يلتزم الصوم على الدوام، ويلبس خشن الثياب[1]، غير مصبوغة ولا مزينة ولا ملونة، وكان لا يدهن بعطر[2]، وفرشه من لباد في الشتاء، وحصير من البردي في الصيف[3]، وبقي نحو نصف قرن منفذاً لقراره بالتزهد، وعلى ذلك أجمع الذين أرخوا له [4]. وأبى أن يرجع عما ألزم به نفسه من الاكتفاء بأكل ما تنبته الأرض من بقل وفاكهة، على الرغم من إنكار مجتمع عصره لهذا المسلك، واتخاذه مطعناً بتجريحه واتهامه[5]، واستمر بأخذ نفسه بهذه الرياضة، محتملاً نتائج هذا القرار الصارم في المجاهدة والاحتمال[6].

وآثر هذا الوضع وارتضاه، طالما يحفظ ماء الوجه، وقانعاً بما يحصل عليه في السنة من مال، مقداره ثلاثون ديناراً يأتيه من وقف للعقار[7]، وتشكل هذه الثروة الحد الأدنى لسد احتياجاته المحدودة، والتي لا تكفي بأسوأ ظروف الإنسان العادي ويقتسم هذا المبلغ مع خادمه، والمعري ((لو ملك الدنيا لبذلها)) [8] بسخاء فيقول: ((وددت أن لي من الذهب مائة بهارٍ لا أنتفعُ بها ولا أراشُ كلما جنيت سيئة نقص منها شئٌ وأنا مع ذلك جَشِبُ المطْعَم خَشِنُ اللباس وهي تنتهبُ فتذهبُ حتى يقعَ فناؤُها مع النسيس فأكون الأسعدَ بذاك)) [9]، ومما يدل على قناعته قوله:

لا أطلـــــبُ الأرزاق والــــــ ـــمولى يفـيـضُ علـيَّ رزقـي
إن أعــطَ بعــض القــوتِ أعـــ ـــلمْ أنَّ ذلـك ضـعفُ حقـي [10]

---

(1) تاريخ مدينة السلام، تعريف: 7.

(2) حكيم المعرة، دكتور عمر فروخ: 92.

(3) انباه الرواة، تعريف: 31.

(4) ينظر المنتظم: 184/8 وانباه الرواة، تعريف: 29 ومعجم الأدباء، تعريف: 68، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان – يوسف بن قزاوغلي شمس الدين أبي المظفر سبط ابن الجوزي (ت 654 هـ) – ابن بنت أبي الفرج الجوزي – تعريف: 149.

(5) أبو العلاء المعري، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: 161.

(6) ويرى برلاين في كتابه (أبو العلاء السوري) لندن 1914، ((أنه تعلم التقشف من أبي العتاهية ((ينظر كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 169 وفي الحقيقة ليس لهذا السبب فقط وإنما لعوامل تجمعت سنأتي عليها في هذا الفصل.

(7) انباه الرواة، تعريف: 31.

(8) مسالك الأبصار، تعريف: 227.

(9) الفصول والغايات: 362 (بهار: ثلثمائة رطل، وقيل هو وزن معروف، وقال البهار: خمسة أوسق، أراش: من قولهم راش الفقير يرشه إذا جعل له مالاً، وجشب المطعم: أي خشنه. والنسيس: آخر النفس وبقيتها).

(10) معجم الأدباء، تعريف: 100 لا توجد في الدواوين.

وإذا كان هذه القناعة، تكشف لنا بطولة الاحتمال، وانتصاره على شهوات الدنيا، فإن كل ما يقوله يأتي من فعل مسبق، أخذ به نفسه، ولم يأت باليسير، ويود أن تتكون لدينا القناعة أيضاً عندما يقول:

فاقتنعْ بالرَّويِّ والوزْنِ مِنّي ... فهُمومي ثقيلةُ الأوزانِ
من صُرُف مَلَكنَ فكري ونطقي ... فهي قيدُ الفؤادِ قيد اللسانِ [1]

ومع المكابدة ربما يفكر – مجرد تفكير – بقتل نفسه فهو يعرف العاقبة: ((قد كِدتُ ألحقُ برهطِ العدمِ من غير الأسفِ ولا الندمِ، ولكنما أرهبُ قدومي على الجبار)) [2] فما أشد ما أتعبته الحياة:

دعالي، بالحياةِ أخو ودادٍ ... رويدَكَ إنما تدعو عليَّا
وما كانَ البقاءُ لي اختياراً ... لو أنّ الأمرَ مردودٌ إليا [3]

وكان حذراً في قوله:

وليسَ على الحَقائقِ كلُّ قَولي ... ولكنْ فيهِ أصنافُ المَجازِ [4]

وذلك دفعاً للمشاكل، أو كما تصورها أحد الباحثين لغرض التنفيس والتعويض الذي كان المعري يسمو بهما عن آلامه وضيقه وغربته [5]، أو أراد أبو العلاء أن يظهر معرفته وتصرفه في جميع أنواع الأدب بشعر قوي المباني، خفي المعاني [6]، لا نعدم كل ذلك، ولكنه من المؤكد أيضاً أنه كان للمعري ((محلٌ عالٍ عند الملوك، يقبلون عليه ويقبلون شفاعته، ويعظمون قدره)) [7] ويؤكد ذلك ابن العديم بقوله: ((وما زالت حرمة أبي العلاء في علاء، وبحر فضله مورداً للوزراء والأمراء، وما علمت أن

---

(1) شروح السقط: 460/1.
(2) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري – تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: 395
(3) اللزوميات: 646/2.
(4) م. ن: 630/1.
(5) لغة الشعر عند المعري، دراسة لغوية فنية: سقط الزند، د. زهير غازي زاهد: 26.
(6) شروح السقط، مقدمة البطليوسي: 15/1. وهناك من يعد تعقيد اللغة عيباً.
ينظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي – وهو تلميذ أبي العلاء – تحقيق: عبد المتعال الصعيدي: 61.
(7) مسالك الأبصار، تعريف: 227.

وزيراً مذكوراً وفاضلاً مشهوراً مر بمعرة النعمان... إلا وقصده واستفاد منه، أو طلب شيئاً من تصنيفه)) [1].

إلا أن المعري كان يعزف عن صحبتهم لما تقتضيه من القيود، وانشغل بواقعه عن صحبتهم، متسلحاً بالصبر ويحمل نفسه على مقاومة المحن التي تعرض إليها.

العمى:

عمي بالجدري سنة سبع وستين وثلثمائة، وهو في حدود السنة الرابعة من عمره [2]، فكانت من أكبر المصائب التي دهمته وهو في زهرة الطفولة ولم يعقل بعد، فأسدلت ستار صفيقاً من الظلام الذي لا يزول، ولا أمل في انحساره، فحجبه عن رؤية الدنيا إلى آخر عمره.

تلك إذن الحادثة التي بدأ بها أبو العلاء قصة حياته التي تبدأ بليل طويل يلازمه إلى القبر:

وإظلامُ عينٍ بعدَهُ ظُلمةُ الثرى   فقلْ في ظلامٍ زيدَ فوقَ ظلامِ [3]

فتركت ظلالاً معتمة، تبدو أحياناً واضحة على آرائه وأفكاره، المشوبة بالمرارة.

والحزن والحسرة، وجعلت ((أكبر محاور قاموسه الليل والنهار... واكثاره من ذكر الطيف والخيالات.... وكأنه يريد أن يخرج من ليلة بخياله)) [4].

---

(1) الإنصاف والتحري، تعريف: 565 وينظر مرآة الزمان في تاريخ الأعيان – لسبط ابن الجوزي – دراسة وتحقيق جنان جليل محمد الهموندي: 399.

(2) نزهة الألباء في طبقات الأدباء – لأبي البركات عبد الرحمن ابن الأنباري (ت 577 هـ) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي: 258، وتعريف: 17.

(3) اللزوميات: 446/2.

(4) لغة الشعر عند المعري: 25– 26. ويرى الدكتور رشيد العبيدي أن المعري يصف الأشياء بشكل يعجز عن وصفها المبصرون من شعراء العربية، ينظر كتابه دراسات في النقد الأدبي: 143/2 فيما يرد ذلك محمد سليم الجندي إلى سعة خيال أبي العلاء ولباقته في اختراع الأخيلة، ثم قدرته على تخير الأساليب ينظر رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري، تحقيق لجنة من العلماء: المقدمة وهناك من يردها على التعويض عن طريق التسامي والسمع والشم والفخر والإسقاطات، ينظر شعر المكفوفين في العصر العباس – عدنان عبيد العلي (رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد 1410هـ – 1989م على الآلة الكاتبة): 5، 6، 30، 34، 45، 65.

ومما لا شك فيه أن فقده البصر كان من الدوافع لانتهاجه هذا النمط المعقد من اللغة [1].

وإذا كان يقول: ((أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيري على البصر)) [2]، فهي كلمة تعزية تدل على إيمانه ورجاحة عقله وقدرته على التحمل حيث لا ينفع الحزن، وغني عن البيان أن الدكتور طه حسين، يشاركه بمثل هذه المصيبة، ويعرف تأثيرها فيقول: ((إن المكفوف إذا جالس المبصرين أعزل وإن بزهم بأدبه وعلمه، وفاقهم في ذكائه وفطنته، ولشعور الإنسان بعجزه وقع ليس احتماله ميسوراً، ولا الصبر عليه إلا متكلفاً وليس يلقى المكفوف، من رأفة الناس به ورحمتهم له وعطفهم عليه، إلا ما يذكي الألم في صدره ويضاعف الحزن في قلبه)) [3]، ولم يقف الأمر عند ذلك: فماذا بعد ذلك ؟ يقول المعري: ((الأعمى عورة والواجب استتاره)) [4] ويقول:

تصدق على الأعمى بأخذ يمينه	لتهديهُ وامننْ بأفهامكَ الصمَّا [5]

وهو الذي كان يقول بنفس قوية:

قالوا: العمى منظر قبيحٌ	قلت: بفقدانكم يهونُ
والله ما في الوجود شيءٌ	تأسى على فقده العيونُ [6]

وهذه التحولات في مواجهة العمى سواء كان يحمد الله، أو عندما ألف المحنة واعتادها في شيخوخته، أو تكلف الصبر عليها والرضا بها [7]، يقابلها تحول في آرائه

---

(1) ينظر البناء اللفظي في لزوميات المعري – د. مصطفى السعدني: 20.
(2) معجم الأدباء – تعريف: 79.
(3) تجديد ذكرى أبي العلاء: 120.
(4) ابناه الرواة – تعريف: 36.
(5) اللزوميات: 416/2.
(6) الغيث المسجم للصفدي، تعريف: 407 (لا توجد في الديوان).
(7) أبو العلاء المعري، بنت الشاطئ: 179.

وأفكاره، فهي وليدة الظروف والتحول الذي يؤول إليه أبو العلاء عبر سني حياته الطويلة، والمحن التي يتعرض إليها [1] ومنها:

وفاة أبيه:

فجعته هذه المصيبة وهو في مرحلة الشباب. وكان أبوه الصديق والمعلم. وحرم بفقده من كان يعينه على محنته، فنفذت الطعنة إلى صميم كيانه، وفقد الشاب أباً رحيماً. ولعله أراد أن يختبر طاقته على المجاهدة عندما فكر برحلته إلى بغداد.

الرحلة إلى بغداد:

ورد بغداد سنة تسع وتسعين وثلثمائة [2]. وكانت مركزاً للعلوم والمعارف يقدم إليها الطلاب من كل حدب وصوب. وكان من المعقول أن يشد المعري رحاله إلى قبلة العلماء والفقهاء رغبة في العلم، يعزز ذلك – من وجهة نظر الدكتور طه حسين – طلب الشهرة وسعة العيش وبغض الحياة السياسية بحلب [3].

وهذه الأسباب إذا افترضنا اجتماعها، فهي كافية لتكون في نفسه العزم على الرحلة إلى بغداد، ولكن ابا العلاء يقول – وقوله ليس بمتهم – : ((وأحلف ما سافرتُ أستكثر من النّشَب ولا أتكثّر بلقاء الرِّجال،ولكنْ آثرتُ الإقامةَ بدار العلم)) [4].

ومهما يكن من أمر، فقد وجد أبو العلاء نفسه وهو في نحو السادسة والثلاثين من عمره في عاصمة الدنيا، وعرضوا عليه ما في الخزائن من الكتب واطلع عليها، وأرادوا امتحانه، وجعلوا يوردون عليه وهو يسمع، إلى أن فرغوا فابتدأ أبو العلاء وسرد عليهم

---

(1) فقد يلجأ الأعمى إلى ردود فعل دفاعية للمواجهة، ينظر سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته، سيد خير الله ولطفي بركات أحمد: 47 أما ما يبدو متناقضاً في الرأي فيقول عمر فروخ: ((فلا تناقض وإنما هو دليل تطور آراء المعري، فإن أبا العلاء جاء بآراء، ثم أتى بما يخالفها ولكنه لم يعد إلى ما كان قد تركه)) ينظر: الشعر العباسي من المتنبي حتى سقوط بغداد – عمر فروخ – الأدب العربي في آثار الدارسين لمجموعة من المؤلفين: 165.

(2) تاريخ مدينة السلام، تعريف: 5.

(3) تجديد ذكرى أبي العلاء: 138.

(4) معجم الأدباء، تعريف: 92 ويذكر ذلك ابن العديم، ينظر الإنصاف والتحري تعريف: 515 و 516 فيما ترجع الدكتورة بنت الشاطئ سفره من أجل الإقامة بدار العلم، ينظر دار السلام في حياة أبي العلاء، بنت الشاطئ: 18،وهي مسألة متفق عليها – أي طلب العلم – ولكنه – أي المعري –ربما كان يأمل أن يعيش حياة هادئة هانئة فهي لا تتعارض مع طلب العلم ومن المسائل المشروعة أما أن يستكثر فهذا بعيد فهو يستصغر شأن المال، تشهد له سيرته الذاتية.

كل ما أوردوه عليه [1] وشهد له أهل بغداد بالعلم والفضل وكانت له شهرة سابقة جعلت الناس يتوافدون عليه، وأدهشتهم غزارة علمه فأحب بغداد للنشاط العلمي فيها.

جاء أبو العلاء إلى بغداد، ولم ينفصل عن كبريائه وحساسيته المفرطة، فواجهته عدة مواقف [2]. ولم يستطع أن يدعها تمر دون أن يأخذ منها موقفاً، أو تأخذ منه بعضاً من أسباب المقاومة، وتكوّن في أعماق نفسه بوادر الهزيمة. وقرر الانسحاب حتى إذا كان في طاقته بقية من الاحتمال، واجمع أمره على ذلك ((وهو ما يزال في خضم المعترك، وقد عرف أن أسلحته مفلولة، تغلبها أسلحة أخرى لا يملكها من مكر الحيلة ونعومة المداهنة ولؤم النفاق، واحس ألا مكان له في دنيا الناس)) [3].

فودع بغداد وداع محزون بعد أن أقام فيها سنة وسبعة أشهر [4] فيقول:

أودِّعُكمْ يا أَهلَ بَغدادَ والْحَشَا ... عَلى زَفَرَاتٍ ما يَنَيْنَ من اللَّذْعِ
وَدَاعَ ضَنىً لم يَسْتَقِلَّ وإنَّما ... تَحَامَلَ مِنْ بَعْدِ العِثَارِ على ظَلْعِ [5]

وأهل بغداد كارهون لرحيله مشفقون من وداعه وهو يحمل لهم مشاعر طيبة [6] مع ما يحس به من ألم وحسرة لرحيله خائباً مقهوراً يقول:

وما سارَ بي إلّا الذي غرَّ آدماً ... وحواءَ حتى أدركَ الشَّرَفَ الهَبْطُ [7]

---

(1) مسالك الأبصار، تعريف: 226.

(2) من ذلك حادثة قدومه بغداد في اليوم الأول وصادف عزاء والد المرتضى، وما حصل له في هذا العزاء، ينظر: معجم الأدباء تعريف: 76، وحادثة اعتراض المعري على الشريف المرتضى مدافعاً عن المتنبي وانتهت بطرده، ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – دمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874 هـ): 341/3.
وحادثة أخرى مع علي بن عيسى أحد أئمة النحو (ت 420هـ) فخرج منه المعري مغضباً ولم يعد إليه. ينظر: نزهة الألباء تعريف: 16.

(3) أبو العلاء المعري، بنت الشاطئ: 111- 112 وينظر: في تأسفه على بغداد شروح السقط: 1673/4.

(4) معجم الأدباء، تعريف: 68 وينظر الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال: 1720.

(5) شروح السقط: 1349/3.

(6) ينظر :معجم الأدباء: 88.

(7) شروح السقط: 1632/4 يقول: (ما غرني حتى أخرجني عن بغداد إلا إبليس الذي غر قبلي آدم وحواء حتى أهبطهما إلى الأرض) م. ن والصفحة.

ويرى ابن كثير أنه خرج طريداً منهزماً لما عزم الفقهاء على أخذه ببعض أبيات نسبت إليه في دية قطع اليد [1] وهي قوله:

تناقُضٌ ما لنا إلّا السكوتُ له   وأن نعوذَ بمولانا من النّار

يدٌ بخمس مئينٍ عسجَدٍ فُديت   ما بالُها قُطعَتْ في ربع دينارِ [2]

إذن أعوزته الحيلة للانسجام مع مجتمع العاصمة فيقول: ((فشاهدتُ أنفسَ مكانٍ لم يُسعف الزَّمنُ بإقامتي فيه)) [3]. فيما تعده الدكتورة بنت الشاطئ شهيداً من شهداء بغداد، فهي تقول: عندما تفرغت لدراسته وصحبته وازددت منه قرباً، وله فهماً، حتى أدركت أن فراقه لبغداد هو الحادث الأكبر في حياته وفنه، فلما عزّ عليه المقام ((قضى على نفسه بما يشبه الموت،وفرض عليها قراراً صارماً بالعزلة عن الدنيا والحرمان من كل متع الحياة))[4].

وفاة أمه:

في طريق عودته من بغداد، كان يشده إلى المعرة حنينه إلى أمه التي عجلت بعودته ليأنس بقربها، لما سمع بمرضها. ولكن الموت كان أعجل منه.

ومن رسالة كتبها إلى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة،عند طلوعه من العراق ولم يعلم قبل مقدمه بوفاتها، نعرف مقدار الصدمة التي هزته هزاً عنيفاً ومن قوله: ((وله الحمد ممزوجاً به الدَّمع.... وصلى الله على سيدنا محمد وعترته، صلاةً يثقل بها لساني حُزناً، وترجُح في المحشَر قدْراً ووزناً. ثم أذكر قصصي بعد ذلك:

الا يا ليتني والمرءُ مَيْتٌ وما تُغني من الحدثانِ لَيْتُ رحمك الله من ساكنة رمس أصبحَتْ حياتك كأمس فإنْ ينقطع منكِ الرّجاء فإنه سيبقى عليكِ الحزنُ ما بقي الدَّهرُ.

---

(1) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ): 302/11. ويعلق ابن كثير: وهذا من أفكه وقلة عقله، وينظر تعريف: 302 وأتناول الموضوع عند الحديث عن الأديان في المبحث الرابع من هذا الفصل.

(2) اللزوميات: 1/ 544.

(3) وسائل أبي العلاء – مارجليوث: 34– 35.

(4) دار السلام في حياة أبي العلاء: 8– 9، والقصيدة (58) في شروح السقط تصور حالته أفضل تصوير، ينظر شروح السقط: 1162/3.

... يا سلوة الأيام، موعدُك الحشر. موعد والله بعيد... على أني والله قد أعلمتُها أني مرتحِل، وأنّ عزمي على ذلك جادّ مزمع، فأذِنتْ فيه... وحزني لفقدها كنعيم أهل الجنّة، كلما نَفِد جُدّد...)) [1].

واستمرت مراثيه الشجية نيراناً متأججة في صدره الممزق وقلبه الحزين، وظل يحمل لها من الحب الذي أتعبه كثيراً إلى أيام شيخوخته، فندرك مقدار تعلقه بأمه وأثر وفاتها في نفسه، فيقول:

مضتْ وقدْ اكتَهَلْتُ وخِلْتُ أنِّي ... رَضيعٌ ما بَلَغْتُ مَدَى الفِطَامِ

فيا رَكْبَ المَنونِ أمَا رَسُولٌ ... يُبَلِّغُ رُوحَها أرَجَ السَّلامِ [2]

قرار العزلة:

أصدر قراره بالعزلة عن الدنيا [3]. فيقول: ((ولما فاتني المقام بحيثُ اخترت، اجمعتُ على انفرادٍ يجعلني كالظّبي في الكِناس، ويقطع ما بيني وبينَ الناس، إلاّ من وصلني الله به وصلَ الذِّراع باليد والليلة بالغد)) [4]. وكان قرار هذه العزلة بعد عودته من بغداد. ولا نعدم آثاراً حول هذا القرار فهو يقول: ((طُفتُ الآفاقَ فإذا الدنيا نفاقٌ، ومللت من مداراة العالم بما يضمر غيره الفؤاد فاخترتُ الوحدة على جليس الصدقِ. ليتني مع الظليم الهَجهَاج)) [5].

وسمى نفسه رهين المحبسين [6]. ويقول: ((لزمتُ مسكني منذ سنة اربعمائة واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده إلا أن أضطرَّ إلى غير ذلك)) [7].

---

(1) معجم الأدباء، تعريف: 83– 84، وينظر رسائل أبي العلاء – مارجليوث: 28.

(2) شروح السقط: 1420/4 (يقول اشتد فقدها عليّ حتى احسبني رضيعاً يخشى عليه أن يضيع، وقد فقد حفاوة أمه به. وركب المنون: الذين ركبوا الموت إلى الآخرة وهم الأموات) تعليق الخوارزمي. م. ن والصفحة.

(3) الانصاف والتحري . تعريف: 546.

(4) معجم الأدباء، تعريف: 91.

(5) الفصول والغايات: 273 (ومعنى الهجهاج: النفور وقيل الكثير الصياح).

(6) نزهة الألباء: 7.

(7) انباه الرواة، تعريف: 38.

إذن كان ذلك بعد عودته إلى المعرة [1]، ولو استطاع البقاء في بغداد لأنفق بقية عمره هناك وقد استكشف ((سجنه الفلسفي، واضطر بحكم هذا الاستكشاف نفسه إلى أن ينشئ لنفسه سجنا مادياً ثالثاً هو بيته الذي أقام فيه حتى مات)) [2].

آراء حول أبي العلاء:

اختلط امره على الناس ((رفض الدنيا وما سلم... وداري الناس بترك حظه لهم ومع هذا ظلم)) [3]. اتهموه بالكفر والزندقة والإلحاد [4]. وإنه عارض القرآن الكريم [5]. وقالوا عنه حكايات في اعتقاده [6]، منها أنه كان برهمياً [7]، ونسبوه إلى مذهب الهنود [8]، وأنه لا يؤمن بالرسل والبعث والنشور. ومن جانب آخر وصفوه بأنه مجنون، معتوه، جاهل، حمار لا يفقه شيئاً. ويتعدى الأمر ذلك إلى اقتحام عزلته، والتحرش فيه فعندما دخل عليه القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني شيخ المعتزلة (ت 488هـ). يقول: قال لي المعري: لم أهج أحداً قط: فقلت له صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام: فتغير وجهه: فضلا عن المكاتبات التي كانت تصله تتضمن المجادلات في عزلته وزهده ويحاول دفعهم بالحسنى [9].

---

(1) ينظر مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 739 هـ) وهو مختصر معجم البلدان، تحقيق وتعليق على محمد البجاوي: 1288/3.

(2) مع أبي العلاء في سجنه – د. طه حسين: 57 (السجن الأول العمى والثاني النفس في الجسد).

(3) مسالك الأبصار، تعريف: 217.

(4) ينظر المنتظم لابن الجوزي: 158/8 والبداية والنهاية: 72/12 وينظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) تحقيق محمد علي البجاوي: 112/1، وعقدة الجمان في تاريخ أهل الزمان – محمود بن أحمد بن حسين العيني (ت 855 هـ)، تعريف: 319. والنجوم الزاهرة – تعريف:329.

(5) دمية القصر وعصرة أهل العصر، أبو الحسن علي أبي الطيب الباخرزي، الشاعر(ت 467 هـ)، تعريف: 8.

(6) الأنساب، تعريف: 8.

(7) نزهة الألباء: 258، وتعريف: 17.

(8) المختصر في أخبار البشر، إسماعيل بن علي الأفضل أبو الفداء (ت 732 هـ) تعريف: 186.

(9) معجم الأدباء – الحموي: 169 وتعريف: 76، 77، 115، 118. وحادثة أخرى مع الشاعر أبي نصر أحمد المناوي (ت 477 هـ) ينظر انباه الرواة، تعريف: 63.

والناس قديماً وحديثاً ((مختلفون في أمره والأكثرون على أكفاره وإلحاده))[1] كما يقول الصفدي. فيما يرى الذهبي أنه تعرض للمدح والقدح والتقريض والذم معاً[2]. بينما المعري يقول: ((أنا شيخ مكذوب عليه)) [3].

وكان حديث المؤرخين الأقدمين أنفسهم وغيرهم من الوجه الآخر يأتي بصيغ مختلفة. فبعد أن كانوا يقولون لعنه الله، وقاتله الله نجدهم يقولون رضي الله عنه ورحمه الله. وفي الوجه الآخر يشنون هجوماً عنيفاً عليه، وفي الوجه الثاني يدافعون عنه، ويلتمسون له الأعذار. فيقولون عنه: فضله ينطق بسجيته، كان زاهداً، عابداً، متقللاً، يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير، والأعراض عن الدنيا. وأن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء ما ببيت المال بالمعرة من الحلال، فلم يقبل منه شيئاً تعففاً. ويضيف الحموي: ((وكان رضي الله عنه يُرْمى من أهل الحسد له بالتعطيل، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمِّنونها أقاويل الملحدة، قصداً لهلاكه، وإيثاراً لإتلاف نفسه)) [4]. فيما يقول عنه الذهبي من جملة ما يمتدح به المعري: ((سمع الحديث بالشام على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوة...)) [5]. أما ابن فضل الله العمري فيقول عنه ((ما ولدت مثله الليالي ولا أوجدت شبيهة المعالي))[6].

ثم يأتي ابن العديم فيضع كتاباً خاصاً بالمعري والموسوم بـ ((كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري)) فأنصف المعري فعلاً. ومن جملة قوله في مقدمة الكتاب، وأسباب التأليف: ((قصده جماعةٌ لم يعوا وعيه، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد، فحين علموا سلامتها من العيب والشين، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين، ورموه بالإلحاد والتعطيل، والعدول عن سواء السبيل، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه

---

(1) الوافي بالوفيات، تعريف: 267.

(2) تاريخ الإسلام، تعريف: 200.

(3) شروح السقط: 5/1 وقد كتبت رسالة دكتوراه عن المعري بين النقاد القدامى والمحدثين – على الآلة الكاتبة –للطالبة سوسن صائب المعاضيدي – جامعة بغداد – كلية التربية – ابن رشد – 1995.معجم الأدباء، تعريف: 67، 99 – 100.

(4) معجم الأدباء، تعريف: 67، 99 – 100.

(5) تاريخ الإسلام،تعريف: 200.

(6) مسالك الأبصار، تعريف: 2018.

عيوباً، وحسناته ذنوباً، وعقله حمقاً، ورشقوه بأليم السهام، وأخرجوه عن الدين والإسلام، وحرفوا كلمه عن مواضعه، وأوقعوه في غير مواقعه...)) [1].

فهل حسم ابن العديم الأمر ؟ الجواب بلا النافية،حيث ما زال الخلاف بين المحدثين قائماً، ويكفي أن نسوق الدليل من نماذج على سبيل التمثيل: منها رأي العقاد الذي يريد أن يثبت أن المعري يشرب الخمر، فيقول: ((لا أستبعد أنه كان يذوقها من حين إلى حين في بعض أيام العزلة))[2] معتمداً على بعض الروايات التي تشير إلى نزوله في بعض الأديرة في صباه خلال سفره لطلب العلم. وهذا أمر قد ثبت بطلانه [3] واعتمد العقاد أيضاً على أبيات من الشعر قالها المعري منها:

تمنَّيْتُ أنَّ الخَمْرَ حُلَّتْ لنَشوَةٍ　　　تُجَهِّلُني كَيْفَ اطمأنَّتْ بيَ الحَالُ [4]

والأمر كما يبدو لا يصمد أمام النقاش العلمي، فقد ألف المعري كتابا((خماسية الراح)) في ذم الخمرة. وهذه الأبيات أوما يماثلها غير كافية لاتهام الرجل. فلم نقف على أي مصدر خلال بحثنا يشير إلى أن المعري شرب الخمر، أو ارتاد أماكن شربها فهو ((لم يشرب الخمرة)) [5] كما يقول عمر فروخ. فيما يؤكد الدكتور طه حسين ((عدم شربه للخمرة أيام العزلة)) [6].

لو كانتِ الخمرُ حِلاً ما سمَحتُ بها　　　لنفسِيَ الدّهرَ لا سِراً ولا عَلَناً
فليَغفِرِ اللهُ كم تطغَى مآرِبُنا　　　وربُّنا قد أحلَّ الطيباتِ لنا [7]

وحذر أبو العلاء من شرب الخمرة كثيرا [8]. وان امتناعه عن الخمر كان نوعاً من تقديس العقل، وأحجامه عن كل ما يشينه أو يضعفه [1]. وأكد باحث آخر أن

---

(1) الانصاف والتحري، تعريف: 484.
(2) رجعة أبي العلاء: 34.
(3) ينظر صفحة: 20 من هذا المبحث الهامش (5).
(4) شروح السقط: 1251/3.
(5) حكيم المعرة: 27 و 91.
(6) فصول في الأدب والنقد – طه حسين: 27– 28.
(7) اللزوميات: 515/2.
(8) مما يقوله أبو العلاء:
عدِّ عن شارب كأس اسكَرتْ　　　فهو مثلُ الكلبِ في الرجس ولَغْ

المعري ((يكره الخمر لأنها تزيل القوة العاقلة من شاربها)) [2]. ومن اللطيف حقاً أني عثرت على رأي لمارون عبود يقول: ((أبو العلاء عرف جميع ملاذ الدنيا وذاق ضروب حلاوتها كلها إلا الخمرة)) [3].

ومثل هذه الأحكام على أبي العلاء والخلافات حوله كثيرة. نذكر منها أيضاً على سبيل المثال بعض النماذج، لتكون لنا كصارية الطريق، في عدم الخوض في هذه الخلافات وأن وجود حالة عند المعري. قد نجد من يتصور النقيض من وجهة نظر الناقد الآخر أو لأن المعري كانت له وجهات نظر متغيرة على مدى سني حياته الطويلة فإن أدب أبي العلاء يصعب ترتيبه زمنياً.

يقول أحد الباحثين عن المعري: ((حري به أن يوصف بأنه إنسان قلق وتوصف شخصيته بأنها قلقة، وهو أفضل وصف يمكن أن يبين لنا بلبلة أفكاره)) [4]. ويعده باحث آخر ((معتصماً بنفسه، محتضناً قدره في خوف من أن تبتذل مكانته وسط أخلاقيات عصره المهترئة)) [5].

وهناك من وصفه بأنه ((تنقصه الجرأة، والثقة في النفس والاطمئنان إلى صواب ما يرى والحزم في الأمور وانتفاء الحيرة والاقتناع بأن فهمه للناس والحياة

ينظر اللزوميات: 146/2، ومثله: 147/2. ويقول أيضاً:

وهيهات لو حلت لما كنت شارباً مخففة في الحلم كفه ميزاني

ينظر اللزوميات: 540/2 ويقارب هذا المعنى أيضا: اللزوميات: 572/2، وله في ذم الخمرة حول هذه المعاني ينظر: اللزوميات: 558/1، 580، 598، 610، 623، و627، 13/2، 38، 62، 65، 70، 85، 169، 194، 199، 204، 244، 260، 297، 322، 350، 369،، 381، 400، 413،، 444، 466، 474، 492، 520، 508، 535، 539، 540، 548، 557، 565، 572، 574، 585، 611، 617، 626، و 132/1، 222، 240، 281، 294، 298، 301، 302، 303، 335، 345، 387، 402، 410، 413، 432، 467، 470، 480، 483، 485، 532، 534، 539 / 546، 548، 550، وينظر سقط الزند: 1878/4.

(1) من الذي سرق النار، خطرات في النقد والأدب، د. إحسان عباس. جمع وتقديم وداد القاضي: 410.

(2) لزوميات أبي العلاء ورباعيات الخيام، د، علي عبد الحسين زوين، مجلة القادسية جامعة القادسية، مجلد 2، العدد 2، 1417 هـ - 1997 م: 45.

(3) زوبعة الدهور – مارون عبود: 27.

(4) لزوميات أبي العلاء ورباعيات الخيام: 36.

(5) قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، د. عبد القادر زيدان: 314.

صحيح لا يرتقي إليه الشك [1] فيما يصفه باحث آخر بأنه: ((اتخذ من أوهام الناس ألهية (من اللهو) تمده بالعبث والنشوة الساخرة موضوعاً للنكاية في التعريض)) [2].

وهناك من يقول عن المعري بأنه فليسوف عميق الفلسفة [3] ويحق فيلسوف العرب [4] وفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة [5] والفيلسوف الحر [6]. ثم يأتي من يحكم أن المعري لم يكن فيلسوفاً [7]. وما كان فيلسوفاً بالمعنى العلمي [8].

والمعري ((رقيق القلب شديد الرحمة بالناس)) [9] ((يريد أن ينتقم منهم ويسجل مخازيهم ويفضحهم)) [10].

((متشائم)) [11] – ((متفائل)) [12].

((من إخوان الصفا)) [13] – ((ليس منهم)) [14].

((تأثر بالمذهب الهندي)) [15] – ((لم يتأثر بالمذهب الهندي)) [16].

((فاطمي)) [17] – ((لم يكن كذلك)) [18].

---

(1) مجلة الحديث – إبراهيم المازني: 351.
(2) المعري ذلك المجهول، عبد الله العلايلي: 3.
(3) صوت أبي العلاء، د. طه حسين: 7، وينظر: المرايا المتجاورة، دارسة في نقد طه حسين، جابر عصفور: 9.
(4) أبو العلاء في بغداد، طه الراوي: 53.
(5) أبو العلاء المعري – رسالة الغفران – درس ومنتخبات، فؤاد أفرام البستاني: المقدمة: أ.
(6) كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 240.
(7) جبران خليل جبران– مجلة الهلال (ج 46): 887.
(8) دراسات في النقد، د. رشيد العبيدي: 138/2.
(9) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: 585.
(10) زكي مبارك – مجلة الهلال (ج 46): 892.
(11) ينظر أمراء الشعر العربي في العصر العباسي: 400 وقضايا الشعر المعاصر: 17.
(12) التفاؤل والأثرية في كلام الشيخ، محمد أسعاف النشاشيبي، كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 240 – 244.
(13) ظهر الإسلام – أحمد أمين: 146/2.
(14) قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري: 227.
(15) حكيم المعرة: 41.
(16) نصيب المعري من الفلسفة الشرقية، محمد فريد وجدي، الهلال (ج 46): 866.
(17) زوبعة الدهور – مارون عبود: 78– 79.
(18) تجديد ذكرى أبي العلاء: 57.

ومثل هذا كثير جداً. فلم يدع الباحثون فرقة أو مذهباً إلا وانقسموا على قسمين: قسم ينسب المعري إليها والقسم الآخر ينقض ذلك، ومثل ذلك حول الآراء التي يقولها. ومهما يكن من أمر فليس من هدف البحث مناقشة هذه الآراء ولكن نشير إلى العقبة الكأداء في دراسة آثار هذا الأديب لاختلاف الرؤية الحادة من الباحثين والدارسين في أدب المعري، وأن استخلاص فكر جديد يتطلب الحذر والتأني الشديدين في البحث، وصدوراً واسعة وعقولاً نيرة، ونظراً ثاقباً شاملاً لاستقباله. لذلك ما نقوله في هذا البحث قد يأتي من ينظر إلى الرأي من زاوية أخرى فيأتي بالحكم المناقض. وبناء على ذلك يسير هذا البحث بخطوط مستقيمة ويتجرد للوصول إلى الهدف الذي نسعى إليه.

وفاته:

أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت يوم الجمعة الثالث عشر من شعر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة [1]. واستراح المتعب. ورحل ((شيخ الأدب)) [2] عن عالمنا مقطوع النسل، وأنشد على قبره بعد موته أربعة وثمانون شاعراً، مراثي حزينة تمجده وتخلده [3]. وقد ترك فينا آثاراً ضاع أكثرها، وما بقي هو مجال بحثنا وتنقيبنا، وصوت أبي العلاء من وراء قبره ينادينا:

لا تظلموا الموتى وإن طالَ المَدى ... إنّي أخافُ عليكمُ أن تَلتَقوا [4]

---

(1) ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب – لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089): 280/3 وينظر مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي – تعريف 143.

(2) تذكرة الحفاظ للذهبي: 1127/4.

(3) معجم الأدباء – تعريف: 27 وينظر معاهد التنصيص – عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت 963): 50.

(4) اللزوميات: 188/2.

المبحث الثاني
الأحوال العامة في عصر أبي العلاء

لا نريد أن نتجاوز القصد هنا، إلى موضوع مفصل لتاريخ المسلمين في هذا العصر. وإنما لنتعرف الوضع العام وننتقل منه إلى الأمر المهم، وهو فهم الفكر السياسي لأبي العلاء من خلال الدراسة المتأنية لأدبه، الذي يدلنا على أنه تأثر بسوء الأحوال السياسية التي اكتنفت حياته وحياة معاصريه.

والمعري يمثل ظاهرة تمتاز في نفسها، لها مقدمات أدت إلى ظهورها ولا تخضع إلى تقييدها بالسنة والشهر، تبعاً للتقسيم السياسي. وإنما في آرائه التي شملت نواحي مختلفة من الحياة. لذلك نسبق الأعوام التي أظلت المعري إلى بداية العصر العباسي الثاني. فقد عاصر أبو العلاء ثلاثة [1] من الخلفاء العباسيين في جو سياسي معقد.

وإذا كان المعري قد أسلم نفسه إلى سجنه الذي استغرق نحو نصف قرن من الزمان. إلا أنه كان يشعر بما تعرضت إليه البلاد الإسلامية، من العداء والضعف والاضطراب ((ومن ثم لم يكن في طاقته أن يجمد إحساسه بشرور العصر، ويعطل تفكيره في فساد المجتمع، وهو قد عاد مع العزلة مرهف الحس، يقظ الوجدان، طليق التأمل، نافذ البصيرة، ولا كان بمستطيع أن يلجم لسانه)) [2]. بل إن ذلك كان مدعاة لأمثال المعري أن يتألموا من تلك الأوضاع.

أما أبو العلاء فإن عنايته ((بالحياة السياسية للمسلمين لم تكن بالشئ اليسير وعلى الجملة فإن عنايته بهذه الحياة السياسية لم تكن تنتج له إلا الحزن والأسى)) [3].

فالسلطة أصبحت بيد الوزراء والأمراء وقادة الجيوش، ويتدخل النساء والصبيان وكان الصراع مستمراً بين الخلفاء العباسيين وبين الحاقدين على العروبة والإسلام. هذا الصراع مما لا شك فيه ترك أثره في تعجيل الانهيار لأركان الدولة الإسلامية الواسعة. وهذا ما حصل فعلاً، فقد زال سلطان الخلافة من مناطق كثيرة من البلاد الإسلامية. ونشأت كيانات مستقلة في المغرب والأندلس ومصر والشام ومثلها

---

(1) وهم الطائع (363 – 381 هـ) والقادر (381– 422 هـ) والقائم (422– 467 هـ) وسيأتي الحديث عنهم في هذا المبحث.
(2) أبو العلاء المعري، بنت الشاطئ: 191.
(3) تجديد ذكرى أبي العلاء: 69.

في المشرق: دولة العلويين بطبرستان والدولة السامانية في ما وراء النهر، وآل سبكتكين في افغانستان. انفصلت عن حكومة بغداد [1] التي شهدت انتكاسات سياسية [2]، أدت إلى خلق واقع سئ، وتدهور لم تشهده الخلافة من قبل. انتهت بدخول بني بويه وأحكام سيطرتهم على بغداد عام 334 هـ حين اقبل معز الدولة ابو الحسين أحمد بن بويه، ولبس الخلع، وعقد له اللواء، وجعل أمير الأمراء، وهو أول ملوك بني بويه [3].

ونزل الديلم والأتراك في دور الناس وضايقوهم [4] ((وهو أمر لا سابق له، وقاسى الناس من ذلك كثيراً وأصبح إنزال الجند فرضاً عليهم)) [5].

واحتاج معز الدولة إلى من يترجم له الكلام، فكان بنو بويه بعيدين عن الثقافة العربية [6]. فيما أبقى بنو بويه على منصب الخلافة لتفادي المصادمة [7].

وتفاقم خطر معز الدولة، عندما اعتقل المستكفي وخلع من الخلافة وسملت عيناه وأودع السجن إلى أن مات سنة 338 هـ [8].

وأحضر الفضل بن المقتدر فبويع ولقب المطيع لله، ولكن معز الدولة حصر المطيع، ووكل به، وأخذ يحارب من يناصره.

---

(1) ينظر السلطة والمجتمع والعمل السياسي – الدكتور وجيه كوثراني: 36.

(2) ينظر النظم الإسلامية – الخلافة، الوزارة، النظم المالية، النظم الإدارية – الدكتور عبد العزيز الدوري: 59.

(3) ينظر المنتزع من كتاب التاجي لأبي إسحق الهلال بن حسن الصابي (ت 448 هـ) تحقيق وشرح د. محمد حسين الزبيدي: 15 وينظر رسوم دار الخلافة للصابئ، تحقيق وتعليق ميخائيل عواد: 131، وأقسام ضائعة من كتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) للصابئ، جمع وتعليق ميخايل عواد: 5 وتاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني، السيد توماس آرنولد، ترجمة حسن حيدر اللبناني: 42 – 45 والإدارة الإسلامية في عز العرب، محمد كرد علي: 185.

(4) ينظر: المنتظم: 34/6، 350، وينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، د. حسن إبراهيم حسن: 245/3. وينظر: بغداد في عهد الخلافة العباسية،غي لسترانج، ترجمة عن الانكليزية وعلق عليه بشير يوسف فرنسيس: 178.

(5) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري – الدكتور عبد العزيز الدوري: 287.

(6) ينظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: 52/1.

(7) ينظر الفكر السياسي عند أبي الحسن الماوردي – دكتور أحمد مبارك البغدادي: 16.

(8) لتفصيل تفاقم خطر البويهيين وضغوطهم على الخلافة العباسية ينظر: المنتظم: 344/6 – 345 والمختصر في أخبار البشر: 119/30 والبداية والنهاية: 212/11. وتاريخ الخلفاء للسيوطي: 397 وينظر: العراق في العصر البويهي – التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية 334– 447) د. محمد حسين الزبيدي: فصول الكتاب وينظر الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر – دراسة بنائية مقارنة – د. خلدون حسن النقيب: 107 وينظر الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري – رسالة دكتوراه – علي الآلة الكاتبة – عبد الكريم توفيق العبود: 64.

وتوسع ملك بني بويه، وكان معز الدولة هو المستولي على العراق والخلافة إلى أن مات ببغداد سنة 356 هـ [1].

وفي هذه الظروف خلع المطيع نفسه مستكره وترك الخلافة لابنه الطائع لله عبد الكريم ثم خلع الطائع بعد ثماني عشرة سنة من حكمه. وقبض عليه بهاء الدولة سنة 381 هـ واعتقله حتى مات. وبويع بعده القادر بالله أحمد بن إسحق بن المقتدر واستمر خليفة إلى أن توفي سنة 422 هـ [2].

ودخل أبو العلاء المعري في بغداد في أيامه، وكانت السلطة لبهاء الدولة ووقف على الاضطراب السياسي مثل ما هو في اشام.

ثم ولي الخلافة القائم بأمر الله عبد الله سنة 422هـ وكان سلطان العراق جلال الدولة ابن بهاء الدولة. ولم تجئ سنة 426 هـ إلا وقد انحل أمر الخلافة والسلطنة في بغداد جميعاً لكثرة الشغب، وانهزم جلال الدولة [3].

وتسلم السلطة عز الملوك أبا كاليجار والمرزبان ثم ابنه أبو نصر خسرو وطلب من الخليفة القائم بأن يلقبه بالملك الرحيم – ومع المعارضات – كان له ما أراد، وقد استمر سلطاناً حتى ورد بغداد السلطان طغرلبك فأزاله عن ملكه [4]. وانقرض آل بويه على يد السلاجقة سنة (447هـ) [5]. وقد ساعد الوضع الجديد الخليفة القائم أن يتنفس الصعداء، ومحاولة القيام ببعض الإصلاحات إلى أن توفي سنة 467هـ. وليس لنا أن نعرض لما بعد هذا التاريخ لأن عصر أبي العلاء قد انقضى.

إن الحياة السياسية للمسلمين قد تأثرت بحال هؤلاء الخلفاء وتركت آثارها السلبية عندما لم يبق منهم إلا الألقاب والأسماء بعد تلك الصور المشرقة للخلافة

---

(1) ينظر المنتظم: 364/1 والبداية والنهاية: 212/11 وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك – أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم المقريزي (ت 845 هـ صحح ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة: 28/1.

(2) ينظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، الشيخ محمد الخضري بك: 398.

(3) وقد افتقر جلال الدولة وباع بعض ثيابه في الأسواق، ومع ضعفه وسقوط هيبته في الأيام الأخيرة طلب من الخليفة القائم بأن يمنحه لقب (ملك الملوك) واستجاب له فعلاءوتوفي جلال الدولة سنة 435 هـ، ينظر: البداية والنهاية: 33/12.

(4) ينظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري: 2/8 وينظر: العبر في خبر من غبر – الذهبي – تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن محمد بسيوني زغلول: 289/3، وينظر: البداية والنهاية: 33/12.

(5) (بعد مدة حكمهم مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ينظر: الكامل في التاريخ: 21/8 وكتاب السلوك / 15/1 وينظر تاريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان: مج 2: 9/3.

العباسية الزاهية، وكانت بغداد قبلة العالم، فتمزقت البلاد وانقسمت إلى ((عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر)) [1]. واتخذت الأمم المجاورة للبلاد الإسلامية من البيزنطيين والروم وغيرهم من سوء الأحوال فرصة مناسبة للإغارة على هذه البلاد ونهبها واحتلالها، وخاف الناس منهم ومن هجماتهم [2].

وعلى قدر ما يتعلق الأمر بأبي العلاء فقد كان اتصاله بثلاث دول هي دولة بني بويه في بغداد، ودولة الفاطميين في مصر [3] والحمدانية في حلب. والذي نجتهد فيه التركيز على حلب لأن المعرة موصولة بها.

أقام الدولة الحمدانية في حلب سيف الدولة علي بن حمدان عام 333 هـ حيث انتزعها من الاخشيديين، وكانت قبل ذلك مسرحاً للنزاعات والصراعات [4]. وفي سنة 337 هـ بدأ سيف الدولة الدفاع عن حلب، بعد أن تملكها وقام بهجمات على بلاد الروم وتفاوتت بين نجاح وإخفاق أكثرها له وبعضها عليه [5].

وفي سنة 351 هـ استولى الدمستق ملك الروم على مدينة حلب ولم يستطع سيف الدولة مقاومته ((ففر منهزماً في نفر يسير من أصحابه... واستحوذ على دار سيف الدولة وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وانتهبوا الأموال، وأخذوا الأولاد

---

(1) كتاب السلوك: 15/1.

(2) ينظر: المنتظم: 7/7 والبداية والنهاية: 277/11.

(3) نقل الفاطميون دولتهم إلى مصر سنة (358 هـ) وظلوا يحكمونها إلى سنة (567 هـ) هذه الفرقة تعرف بالإسماعيلية، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (رضي الله عنه) وتعرف أحياناً بالباطنية، وكانت المدة (358– 362) منذ دخول المعز للقاهرة والمدة (365– 386) العزيز بالله أبو منصور نزار و(386– 411) الحاكم بأمر الله علي منصور، (411– 427) الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي و(427– 487) المستنصر بالله أبو تميم معد. ينظر تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي: د. جمال الدين الشيال: 188/1. وينظر: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، الفرد بل، ترجمة إلى العربية عبد الرحمن بدوي: 126.

(4) ينظر: زبدة الحلب من تاريخ حلب – ابن العديم – تحقيق سامي الدهان: 120/1. وكانت إمارة بني حمدان قبل هذا التاريخ تقع في الموصل.

(5) ينظر: م. ن: والصفحة.

والنساء... فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب)) [1] يحدثنا عنها بمرارة ابن الجوزي عندما استباح الروم دماء المسلمين في حلب ونهب الأموال وسبي النساء[2].

ثم عاد إليها سيف الدولة، وأعاد البناء والتعمير فيها، وقد أرسى خطوات في السياسة القومية وازدهرت في أيامه الحياة العقلية والأدبية إلى أن مات سنة (356هـ)، ليقيم بحلب ولده أبو المعالي الشريف المعروف بسعد الدولة [3]. ثم يتغلب عليه مولى أبيه قرعويه ويخرجه من حلب سنة (381هـ) [4]. واصطلحا فيما بعد وليقع النزاع بين الحمدانيين وبين قوادهم وقيام الحروب الأهلية وأصبح سعد الدولة يستعين بالروم [5]. فيعلق أبو العلاء على هذا الوضع ولا يؤيده لأن ((زعيم الروم قد ألف الغدر ونشأ عليه من شُبَّ إلى دُبَّ...)) [6] ثم يذكر أبو العلاء حوادث (385هـ) مع الروم وغدرهم ويستشهد بحكايات وأشعار مماثلة على الغدر وعدم الوفاء [7].

وعند موت سعد الدولة سنة (382هـ) عهد لابنه أبي الفضائل وأوصى به لؤلؤاً أحد مماليك أبيه سيف الدولة، فكانت له الوصايا إلى أن مات لؤلؤ سنة (399هـ) [8].

---

(1) ينظر الكامل: 7 /2- 3 والبداية والنهاية: 11/339- 340 وتاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت808 هـ): 6/746، 892.

(2) ينظر لتفصيل هذه الحوادث المنتظم: 7/908.

(3) ينظر: زبدة الحلب: 1/169 ويذكر ابن العديم أن ذلك كان بعد أن أقام سعد الدولة بمعرة النعمان ثلاث سنين، واستولى على حلب سنة 363 هـ. ينظر م.ن والصفحة. وينظر: الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (359- 567 هـ) للدكتور خاشع المعاضيدي: 63.

(4) ينظر: البداية والنهاية: 11/263 وينظر: زبدة الحلب: 1/175.

(5) الكامل: 7/85.

(6) رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، نص محقق، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: 556.

(7) م.ن: 556 - 557.

(8) ينظر: زبدة الحلب: 1/197 ويذكر ابن العديم أن أبا الفضائل مات سنة 392 سقته جارية سماً. ينظر م.ن: 1/192. وملّك لؤلؤ ولديه أبا الحسن علياً وأبا المعالي شريفاً ابن سعيد الدولة واستولى لؤلؤ على تدبير ملكهما وليس إليهما شئ. ينظر: م.ن 1/195. وبعد موت لؤلؤ تقررت إمارة حلب بعده لابنه أبي نصر منصور بن لؤلؤ ولقب مرتضى الدولة وكان ظالماً عسوفاً. ينظر: م.ن: 1/198 وينظر: نهر الذهب في تاريخ حلب - لكامل بن حسين الحلبي بن محمد بن مصطفى الغزي: 67.

ويمكن أن يقال أن نفوذ الفاطميين امتد إلى حلب منذ ذلك الحين، حتى تمكن الفاطميون من القضاء على حكم الحمدانيين في حلب [1]. التي أخذت تلفظ انفاسها الأخيرة لتنتقل إلى يد المصريين.

ومها يكن من شئ فقد اشتدت على عهد أبي الفضائل محاولات الفاطميين لغزو حلب، وكان الحاكم الحقيقي هو لؤلؤا فحاصرها الجيش المصري إلى أن بدأت غزوات صالح بن مرداس سنة (402 هـ). وقد كره أبو العلاء المعرة وحرص على تركها ومفارقتها. ويتساءل الدكتور طه حسين: أليس يمكن أن يكون الاضطراب السياسي أحد الأسباب التي أخرجته عن بلده ؟ يجيب: لا نشك في ذلك. ويضيف: أن المعرة في تلك السنة قد كانت على حال سياسية لم يرضها صاحبنا، فانصرف عنها، وأن حلب كانت على حال سياسية سيئة غير مألوفة في سنة (398هـ)، السنة التي رحل بها أبو العلاء إلى بغداد [2].

وعندما زالت الدولة الحمدانية قامت على انقاضها الدولة المرداسية بعد عدة حروب ونزاعات مع أطراف الروم والمصريين حتى استطاع أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس الكلابي ((أول ملوك بني مرداس بحلب انتزاعها من يد نائبها عن الظاهر بن الحاكم العبيدي سنة 417 هـ))[3] ويمتدحه أبو العلاء لموقفه من حمل (الرباب) بتكليف من السيد عزيز الدولة فيقول: ((أن كلف (أسد الدولة) أدام الله تمكينه أن يحمل إلى (حلب حرسها الله) والدته (الرباب) إيثاراً لسكون الأنفس وإعلاماً للسواد الأعظم بالتئام الكلمة والتظافر على صدِّ الأعداء...[4].

---

(1) ينظر: الكامل: 154/7 ويعلق ابن العديم بقوله: طمع العزيز صاحب مصر في حلب فاستصغر سعيد الدولة بن سعد الدولة. ينظر: زبد الحلب: 185/1. ويعلق الذهبي بقوله (انقرض ملك سيف الدولة) ينظر العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي: 158/3.

(2) تجديد ذكرى أبي العلاء: 51 – 57.

(3) ينظر: الكامل 260/7 والبداية والنهاية: 27/12. ويذكر ابن العديم أنه ((تسلم صالح الأعمال والضياع التي تقرر مع ابن لؤلؤ أن يدفعها إليه سنة 406 هـ)) ينظر: زبدة الحلب: 213/1.

(4) رسالة الصاهل والشاحج: 520 و 527.

وكانت لأبي العلاء مواقف مشهودة مع صالح بن مرداس [1].

إلا أن الأمر لم يسلم [2] حيث جهز صاحب مصر سنة 419هـ ((جيشاً لقتال صالح بن مرداس صاحب حلب، وبعث الجيش مع أنو شكتين التزيري... وقتل صالحاً وابنه وأنفذ رأسيهما إلى مصر وأقام نصر بن صالح بحلب)) [1] وعرف بشبل الدولة.

---

(1) فقد نقل القفطي: أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج إلى المعرة وقد عصا عليه أهلها، فنزل وشرع في قتالها ورماها بالمجانيق. فلما أحس أهلها التغلب سعوا إلى أبي العلاء، وسألوه الخروج إليه والشفاعة فيهم عنده فخرج متوكئاً على يد قائد له. وقيل لصالح أن باب المدينة قد فتح وخرج منها رجل يقاد كأنه أعمى، فقال صالح: هو أبو العلاء: بطلوا القتال، إلى أن نرى في أي أمر جاء. فلما وصل إلى الخيمة أذن له، وأكرمه عند دخوله عليه وعرفه شوقه إلى نظره، ولما استقر بمجلسه قال له: ألك حاجة ؟ فقال أبو العلاء: الأمير أطال الله بقاءه، كالسيف القاطع لان متنه وخشن حداه، وكالنهار الماتع، قاظ وسطه وطاب أبراده (الغداة والعشي)، ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) فقال له صالح: قد وهبتها لك يا أبا العلاء. ثم قال له صالح: انشدنا شيئاً من شعرك يا أبا العلاء لنرويه عنك فأنشد ارتجالاً في المجلس:

تغيّبتُ في منزلي بُرْهَةً	ستير العيُوبِ فقيدَ الحَسَدْ
فلمّا مضى العُمرُ إلا الأقلَّ	وحُمَّ لروحي فِراقُ الجّسَدْ
بُعثتُ شفيعاً إلى صالحٍ	وذاكَ منَ القومِ رأيٌ فسَدْ
فيسمعُ مني سجْعَ الحمامِ	وأسمَعُ منهُ زئيرَ الأسَدْ
فلا يعجبني هذا النفاقُ	فكم نفقتْ محنةٌ ما كسَدْ

(اللزوميات: 404/1).

فقال صالح: بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام، وأنت الذي نسمع منك زئير الأسد. ثم أمر بخيامه فوضعت، وبأثقاله فرفعت ورحل عنها. ينظر زبدة الحلب: 234/1 وتعريف: 35.

– فرجع أبو العلاء إلى المعرة وهو ينشد:

نجيَّ المعاشرَ من براثنِ صالحٍ	ربٌ يفرّجُ كلَّ أمرٍ مُعضلِ
ما كانَ لي فيها جناحُ بَعوضَةٍ	واللهُ ألبَسَهُمْ جَناحَ تفضلِ

وتصور لنا هذه الحادثة المشهورة ما يتمتع به أبو العلاء من لطف بالغ وإنسانية جمة، وإشفاقه على بني جلدته، ورغبته في السلام بحيث خرج من عزلته وكانت المرة الأولى والأخيرة. فيما كانت له مراسلات مع المرداسيين وغيرهم بعد ذلك. ينظر: نهر الذهب في تاريخ حلب: 69/3.

(2) فقد كان أبو شجاع فاتك بن عبد الله الرومي مولى بنجوتكين العزيزي هو والي حلب من قبل المصريين في أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر. ولقب أمير الأمراء عزيز الدولة وتاج الملة. وكان قد دخل حلب سنة 407 هـ. وكان محباً للأدب والشعر وصنف له أبو العلاء رسالة الصاهل والشاحج وكتاب القائف. لكن عزيز الدولة تغير عليه الحاكم فقضى عليه ودعا لنفسه. إلا أن غلامه قتله سنة 413 هـ. ينظر زبدة الحلب: 215/1، 218. وولي بعد عزيز الدولة سند الدولة أبو محمد الحسن بن ثعبان الكتامي الجيملي وهو الذي كتب إليه أبو العلاء (الرسالة السندية) في مجلد واحد وتوفي سند الدولة بمرض بحلب سنة 415 هـ. وجاء بعده أخوه سديد الملك أبي الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان سنة 415 هـ. وهنا حالف الأمير أبو علي صالح بن مرداس ابن إدريس الكلابي سنان بن عليان الكلبي، وحسان بن المفرج بن الجراح الطائي على الظاهر. وتحالفوا على احتواء الشام وتقاسموا البلاد فتكون فلسطين وما يرسمها لحسان ودمشق وما ينسب إليها لسنان

ترتبت على هذه الحروب نتائج سيئة وزادت في ضعف البلاد والعباد بسبب التفرقة والتحالفات مع الروم ليحظى كل فريق منهم بحلب.

ومع كل الأحداث المريرة حرص العبيديون على أخذ حلب من شبل الدولة وفعلاً فقد ظفر بها القائد التزيري وقتل شبل الدولة سنة 429 هـ [2].

لكن المستنصر خليفة بني عبيد لم تتم له الفرحة بسبب الوشاية على قائده الأمر الذي مكن أبا علوان ثمال بن صالح بن مرداس فملك حلب سنة 434 هـ ولقب بمعز الدولة. ويذكر ابن العديم أنه ((وصلت الخلع والتشريف من مصر لثمال في محرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة على يد أبي الغنائم صالح بن علي بن أبي شيبة)) [3] إلى أن استلم حلب ((محمود بني كلاب (ناصر الدولة) فسلموا إليه حلب يوم الاثنين مستهل جمادى الأخرة سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة)) [4]. وفي سنة 452 وصل أسد الدولة أبو ذؤابة عطية بن صالح بن مرداس إلى حلب وتسلم المدينة في هذه السنة (452 هـ) من المغاربة. ثم قدم الأمير محمود بن نصر إلى المدينة فانهزم عطية فيه آخر النهار. ويعلق ابن العديم ((وهذا من أغرب الاتفاقات أن يملك حلب ثلاثة من الملوك في ثلاثة أيام متتابعة)) [5]. لكن على أية حالة هذه الاضطرابات بعد وفاة المعري... فنتوقف عن متابعتها.

هذه الحياة السياسية المضطربة، ساهمت بلا شك من جملة ما أسهم في تكوين الفكر السياسي عند أبي العلاء من خلال ثلاث دول أظلته في المعرة هي الحمدانية والفاطمية والمرداسية فضلاً عن البلاد الإسلامية عامة. لكن

وحلب وما معها لصالح: ينظر زبدة الحلب: 222/1– 223 وينظر رسالة الصاهل والشاحج حيث يذكر المعري على هذه القسمة 663.

(1) المنتظم: 45/8 وينظر: زبدة الحلب: 232/1، 237.

(2) زبدة الحلب: 250/1.

(3) م. ن: والصفحة وينظر سيرة المؤيد في دين داعي الدعاة – هبة الله بن موسى بن دواد الشيرازي (470 هـ) تقديم وتحقيق محمد كامل حسين: 171.

(4) زبدة الحلب: 278.

(5) م. ن: والصفحة.

((الحوادث السياسية التي تقلبت على حلب منذ نشأة المعري إلى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقاً في نفسه وبالتالي في شعره)) [1] ونثره.

تلك إذن الأوضاع السياسية. فإذا تعرفنا الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فإن ذلك يساعدنا بلا شك على فهم أفكار المعري، ولعلنا ننصفه فيما يقول ونوفيه الحق، ونجد له العذر.

الحالة الاقتصادية:

انتهت البلاد إلى ما انتهت إليه من الضعف والاضطراب، ومن جملة ذلك الأحوال الاقتصادية [2].

((والفكر الاقتصادي هو جزء من الفكر السياسي يعطي ويأخذ ويمثل أحد الأسس القوية التي قامت وتقوم عليها المذاهب السياسية والاجتماعية)) [3].

وكانت الأزمات الاقتصادية التي اضطرت الناس إلى أكل لحوم البشر والجيف والميتة وارتفاع الأسعار. تهيج الناس في كثير من الأحيان وهم يشاهدون ويسمعون مجاميع من الخلق تموت جوعاً في الطرقات [4]. فكانت كثيراً ما تمر الأيام على بغداد والشام والقاهرة وغيرها من البلاد الإسلامية في أوضاع مأساوية وصلت أن يقتل الناس أولادهم تخلصاً من ألم رؤيتهم يتعذبون جوعاً [5]. وتفاقم الوضع خلال حياة أبي العلاء (363– 449) وشهد أهل بغداد والشام الكثير من المصائب [6]. وخربت البلاد نتيجة المنازعات وارتفعت الأسعار، وزالت العناية بالزراعة [7]. وازدادت الضرائب

---

(1) بيئة المعري، أنيس المقدسي: مجلة الهلال، ج46: 962.

(2) وللتوسع في الموضوع ينظر، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، فالكتاب يغني عن التوسع في هذا المجال.

(3) الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة، د. محمود عبد الفضيل: 13.

(4) ينظر: المنتظم: 120/7.

(5) ينظر: البداية والنهاية: 213/11.

(6) ينظر: المنتظم: 7/7– 8، 167، 168، 238، والبداية والنهاية: 213/11، 276، 355، و 701/12.

(7) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجي: 62 – 65.

وتنوعت على عهد جلال الدولة [1]. من ذلك ضريبة الموتى حيث يستولي على أموال الأغنياء سواء كان لهم ورثة أم لا. وضريبة الحمالين، وانتشار مراكز المكوس [2].

واستعمال وسائل قاسية في التحصيل ((عنيفة ومرهقة)) [3]، تمثل مدى الحقد على العرب والمسلمين. حيث لم يرق للأعداء الزهو الذي كانت عليه بغداد.

وهذه الضرائب ليس هناك ما يشير إلى انها كانت تصرف لتحسين أوضاع العامة بل تصرف لشهوات الأمراء والوزراء ومناسباتهم في الزواج والأفراح وبناء القصور الضخمة وتزيين الحدائق [4]. على حساب حق الرعية التي أصبحت متدهورة اجتماعياً.

الحالة الإجتماعية:

وفي العصر البويهي كان المجتمع ينقسم على ثلاث طبقات: الطبقة العليا للأمراء والوزراء وكبار الاقطاعيين والملاك. والطبقة الثانية وهي المتوسطة من تجار وملاك الأراضي والطبقة الثالثة للفلاحين والصناع [5].

ومن آثار هذه الطبقية الاجتماعية كانت الفجوة القوية بين أفراد المجتمع فقد كان أغلب الناس يعانون من الحرمان الشديد، وكان أفراد الطبقة العليا في عالم آخر من اللهو والترف، غير مبالين بما يقاسيه معظم الناس من الجوع والفقر [6].

وإذا كانت ثمة محاولات للإصلاح هنا أو هناك في هذه السنة أو تلك. فهي لا تؤثر تجاه الوضع المتردي.

---

(1) ينظر: المنتظم: 8/78– 79 وينظر: تاريخ العراق الاقتصادي في اقرن الرابع الهجري: 223 – 224.

(2) ينظر: المنتظم: 1/223، 249، وينظر: الحضارة الإسلامية، متز: 1/229.

(3) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 229،ويذكر د. عبد العزيز الدوري بأنه كانت سياسة الحمدانيين لغاية سنة 368 هـ تهدف إلى تعبئة جميع الموارد المالية لخدمة الأمراء عندما كانوا محاصرين بين البيزنطيين وحكومة بغداد. ينظر: م.ن 65.

(4) ينظر: المنتظم: 7/78– 79.

(5) ينظر: ظهر الإسلام: 1/107، وتاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 259.

(6) ينظر الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (ت 400 هـ) – صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين: المقدمة: وينظر: المنتظم: 6/344 والبداية والنهاية: 2/180.

الحالة الثقافية:

وليس من المفاجئ أن يرافق انقسام الدولة الإسلامية الكبرى بسبب الضعف والوهن السياسي في بغداد، رقي في العلوم والآداب والحياة الثقافية. حيث تنافس الملوك والأمراء للدعاية إلى حكمهم والتفاخر في تقريب العلماء والأدباء والشعراء. ويتفاخر الملوك لجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرابع الهجري ولع شديد بالكتب. ففي مصر كانت للخليفة العزيز (ت 386 هـ) خزانة كتب كبيرة [1]. ((وقد استدعى السلطان نوح بن منصور الساماني الصاحب بن عباد (ت 384 هـ) ليوليه وزارته. فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله، وإن عنده من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات))[2] ولعله ليس من المبالغة إذا علمنا أن من الكتب ما كتب بالذهب والفضة [3]. وكان من بني بويه شعراء استعرضهم الثعالبي [4].

ومما يؤكد ازدهار الحياة الثقافية انتشار دور العلم وخزانات الكتب، فقد عمل القاضي ابن حبان (ت 354 هـ) في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومسكناً للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق، وانشأ أبو علي بن سوار الكاتب أحد رجال حاشية عضد الدولة (ت 372 هـ) دار كتب في مدينة رام هرمز وأخرى في البصرة[5].

ودخل العلماء في هذا العصر في جملة العظماء وأصحاب الألقاب مثل لقب ركن الدين للاسفراييني (ت 418 هـ) العالم المشهور [6].

---

(1) الحضارة الإسلامية، متز: 320/1، وينظر: دائرة المعارف الإسلامية – كتاب الشعب لمجموعة من المستشرقين: 548/1.

(2) الحضارة الإسلامية، متز: 326/1.

(3) م. ن: 327/1.

(4) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – الثعالبي – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: 214/1.

(5) م.ن: 329/1 وسنأتي على تفصيل هذا الموضوع في مبحث المؤسسة التربوية من الفصل الثاني.

(6) الحضارة الإسلامية، متز: 330/1.

وغني عن الذكر في مجال ازدهار الشعر حيث يعد المعري ((مرحلة مده العظيمة)) [1].

هذا العصر أظل مجموعة من مشاهير العلماء امثال: أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) والمسعودي (336) والبيروني (440) وإضافة إلى هؤلاء الأعلام الكبار فقد ظهر في هذا العصر على سبيل المثال: ابن دريد (321) والمفسر البلخي (322) وغلام ثعلب (345) والقالي (356) والأصفهاني (356) والخوارزمي (383) والرماني (385) والجوهري (390) وابن جني (392) وابن المعتز (396) وأبو حيان التوحيدي (400) وابن رشيق (463).

إذن من اليسير أن نحكم بازدهار الثقافة في عصر أبي العلاء.

وبعد فإن فكر أبي العلاء كان نتيجة للظروف المحيطة لما استعرضناه باختصار، عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فضلاً عن الجوانب الأخرى التي اسهمت في تكوين آثاره.

ونريد أن نخلص إلى القول أن أفكار المعري صورة ذلك العصر سياسياً واجتماعياً وأخلاقياً تصدى لها أبو العلاء مبتدئاً بنفسه:

بني الدهر مهلاً إنْ ذَممتُ فِعالكمْ   فإني بنفسي لا محالةَ أبدأُ [2]

وأراد أن يبين الحقيقة لما كان من الخداع والنفاق وأن الجميع في دائرة التقصير:

أعاذِلَ أن ظلمتنا الملوكُ   فنحن على ضُعفنا أظلمُ [3]

فالأدب ((تعبير عن شخصية صاحبه وخلاصة لعصره)) [4] وكان المعري ينشد حرية الفرد وحرية الجماعة وكرامة العقل. سنجتهد في تجميع الأشياء إلى قرائنها لاستنباط قضية جديدة أو توضيح فكرة معتمة على ما سنقف عليه في الفصول القادمة إن شاء الله.

---

(1) الشعر العربي المعصر، الجماليات المتحددة للقصيدة العربية في علاقتها بالحقائق التاريخية والاجتماعية المتطورة – مدحت الجيّار: 61.

(2) اللزوميات: 46/1.

(3) اللزوميات: 414/2.

(4) المرايا المتجاورة: 80.

المبحث الثالث
الاتجاهات الفكرية السائدة

أن الأسباب التي أدت إلى ضعف السياسة، عملت على تشيط العقل واللسان عند العرب والمسلمين، ((وجعلت لهم سمات عامة في أساليب التفكير واهتماماته، وهذه السمات العامة تتعرض إلى ما قد يجعلها نشطة نامية)) [1] فازدهرت الحياة الفكرية والثقافية في زمن أبي العلاء، الذي أقام بحلب، وأفاد من الفكر الثقافي السائد فيها ((فحركة الأدب واللغة والفلسفة التي أحياها سيف الدولة لها فضل على أبي العلاء)) [2].

فسمع من علماء ذلك العصر مباشرة ورحل في طلب العلم [3]. فكان واسع الاطلاع، طويل الباع بأخبار الأيام والأقوام، والمثالب والمناقب فيقول:

ما كانَ في هذه الدنيا بنو زمنٍ　　　إلا وعنديَ من أخبارِهمْ طَرَفُ [4]

فهو يتحدث عن الأنبياء [5]. وعن مصارع الملوك [6]. وكثيراً ما يشير إلى تصحيح المعلومات [7].

---

(1) الأصول التاريخية للعقل في الفكر العربي، صالح أحمد العلي،مكانة العقل في الفكر العربي: 13.

(2) ظهر الإسلام: 187/1 وينظر: من تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني – القرن الرابع الهجري – طه حسين: 176/3.

(3) ينظر المبحث الثاني من هذا الفصل.

(4) اللزوميات: 148/2.

(5) ينظر اللزوميات: 442/1، 454 و295/2.

(6) م. ن: 581/1 و12/2.

(7) من ذلك مثلاً عندما علق على بيت البحتري:

ومن أرتكم أعطت صفية مصعباً　　　جميل الأسى لما استحلت محارمه

يقول: ((بني أبو عبادة (كنية البحتري) هذا المعنى على أن الزبير بارز رجلاً بين يدي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). فجزعت أمه.. فقتله الزبير. فيطلق أبو العلاء المعري مصححاً: ((وإنما الموصوفة بالصبر أسماء بنت أبي بكر وهي أم عبد الله بن الزبير= =وليست أم مصعب ((ينظر عبث الوليد لأبي العلاء: 205 وينظر أسس النقد الأدبي عند العرب – د. أحمد أحمد بدوي: 381.

ويتعقب الحيوانات والطيور، ويتابع علم النجوم [1]، فضلاً عن علوم اللغة والنحو والعروض والقراءات وكأنه يريد ((أن يحفظ للغة القرآن جلالها وروعتها وأصولها)) [2].

فأبو العلاء اطلع على العلوم المختلفة عن طريق الكتب [3] أو ما ينقل إليه فهو يقول مثلاً ((وحدثني الثقة انه كان في مجلس أبي عبد الله بن خالويه...)) [4].

ويقول أيضاً ((وقد سمع العبد الضعيف شيئاً من اختلاف القدماء...)) [5].

ومن جملة ما اطلع عليه: الأفكار والآراء التي كانت سائدة على أيامه، وتمثل وجهات نظر الفرق والحركات التي كانت منتشرة على عهده. فقد كانت لهذه الفرق على ما يبدو كتب تتضمن ما تعتقده من أفكار ومبادئ [6]. ولعلها تسئ إلى العرب والمسلمين وقد حذر منها المعري بقوله:

ولا تقرأ الكُتبَ المضلِّلَ دَرْسُها   وقد وَضُحتْ طرْقُ الهداية فاقرُها [7]

وهناك من تولى الرد على تلك الكتب [8]. وكثرت التصانيف [9]. ولكن هذه الردود لم توضح – كما كشف أحد الباحثين ((كيفية انتظام هذه الفرق تاريخياً

---

(1) ينظر نواحي التجديد والتقليد في نثر أبي العلاء – سليم الجندي (الهلال 46): 946 وينظر: في اللزوميات حول المعنى: 189/1، 431، 599، و 18/2، 72، 295، 477.

(2) تعريف: 447. وينظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب – أحمد محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ) حققه محي الدين عبد الحميد: 6/ 25. وينظر: الموجز في الأدب العربي القديم – حنا الفاخوري: 483/2. وينظر حديقة أبي العلاء – كامل كيلاني: 45.

(3) هذه الكتب التي كانت سائدة في المنطقة وتضم أنواع الفلسفة والحكمة لتفصيل ذلك ينظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن بدوي: 53 وينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية – بروكلمان – ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي: 38/2.

(4) الغفران: 551.

(5) معجم الأدباء،تعريف: 122.

(6) ينظر: الغزالي – البارون كارادوفو – ترجمة عادل زعيتر – مراجعة محمد عبد الغني حسن: 25.

(7) اللزوميات: 425/1 (وأقرها: أقصدها).

(8) أمثال أبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ) والشهرستاني (488هـ) وابن حزم الأندلسي (459هـ والاسفراييني (ت 470هـ) وممن كتب بوقت مبكر الإمام أبو حنيفة في الرد على القدرية. ينظر: أبو يوسف، حياته وآثاره وآراؤه الفقهية – محمد مطلوب: 99.

(9) ينظر: تذكرة الحفاظ: 160/1.

ومكانة كل فرقة في الحياة الفكرية والسياسية العامة للمجتمع الإسلامي)) [1]. وهناك من كتب بروح عدائية للمسلمين [2]. أو من كتب وتفصله عن هذه الفرق العصور والدهور. فيما تعرض من هذه الفرق للاندثار أو الانشطار، وظهور فرق جديدة متناحرة.

((ومهما كانت سعة وعمق آراء الفرق والأحزاب وكثرة عدد المنتمين إليها، فإنها لا تكون إلا جزءاً من ميادين الثقافة في الأمور السياسية)) [3].

ونستطيع أن نقسم الأفكار السائدة باتجاهين هما:

أ) الداخلية: وقد اعتمد مؤرخو هذه الفرق كما يقول الشهرستاني على الحديث الشريف ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)) [4]. هذا من وجهة نظر أهل السنة [5].

إذن ثلاث وسبعون فرقة كلها في النار إلا واحدة. ((ولكل فرقة مقالة على حيالها، وكتب صنفوها، ودولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم)) [6].

وماذا ننتظر من الذي يتحدث عن فرقته إلا أن يعدها هي الفرقة الوحيدة الناجية من النار، ويجعل الفرق الأخرى على ضلالة. فيقول أبو العلاء مشيراً إلى الدعاة الذين يدعون إلى أمير يشايعونه أو مذهب يتبعونه:

---

(1) طبيعة الدعوة العباسية (132– 429) د. فاروق عمر: 55

(2) كما فعل ابن العبري في النسخة السريانية بكتابه مختصر تاريخ الملوك: م. ن: 55 وينظر: تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي، المعروف بابن العبري، وقف على طبعه ووضع حواشيه الأب انطون صالحاني اليسوعي: 95 وما بعدها.

(3) المكونات التاريخية الأولى لوحدة الثقافة العربية – صالح أحمد العلي – وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات: 82.

(4) الملل والنحل – للشهرستاني: 5/1 والحديث رواه ابن ماجه بالصيغة التالية: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة. فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعين في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله: من هم ؟ قال (الجماعة) ينظر: سنن ابن ماجه – باب الفتن: 377/2.

(5) ينظر: نشأة الأشعرية وتطورها. د. جلال محمد موسى: 85.

(6) الملل والنحل للشهرستاني: 54/1.

عَلِـمَ الإمــامُ ولا أقــولُ بظنِّــهِ إنّ الــدُّعاةَ بســعيها تتكسَّـبُ [1]

ومن هذه الفرق:

المعتزلة:

وهـي حركـة فكريـة محضـة لم تكوّن جيشاً ولم تشهر سيفاً، وعنـدما كثـر اتباعها، وقويت لم تأنف أن تستعمل الضغط على مخالفيها ((ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى...)) [2] وقالوا أن كلام الله ((محدث مخلوق)) [3] وأن ((العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة)) [4].

فهم يحملّون الإنسان مسؤولية تصرفاته كاملة، لأن الله أعطاه عقلاً يميز بين الحسن والقبح [5].

وازدهرت في عصر المأمون، حيث وافقهم على مسألة خلق القرآن. فيما أراد الخلفاء العباسيون أن يقوموا سلطانهم، فشجعوا العلماء والمتكلمين. وفي كل ذلك اعتمدوا على الدين وترجمة الكتب اليونانية فنشطت الحركة العلمية [6].فالسياسة

---

(1) اللزوميات: 106/1.

(2) الملل والنحل للشهرستاني: 54/1 وينظر: ضحى الإسلام: 21/3 والمعتزلة وأصول الحكم – د. محمد عمارة: 125.

(3) الملل والنحل للشهرستاني: 54/1 وينظر:ضحى الإسلام: 21/3.

(4) الملل والنحل للشهرستاني: 55/1- 56.

(5) كتاب السلوك: 20/1 وينظر مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه – محمد أبو زهرة: 175 وينظر: العقل عند الشيعة الإمامية – رشدي محمد عرسان عليان: 79 وكثير من المفكرين أعطوا مثل هذه المنزلة للعقل،ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام – د. محمد عبد الرحمن بدوي: 166.

(6) ينظر: تاريخ الموصل، للشيخ زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم (ت 334 هـ) تحقيق دكتور علي حبيبة: 412. وذهب أحد الباحثين للقول أن المأمون كان يستهدف من مناظرته لمقولات المعتزلة أن يضعف نفوذ الفقهاء وسلطانهم. ولعله ينفرد بهذا الرأي، ينظر: من أعلام العلماء في القرن الثالث الهجري، أحمد عبد الباقي: 22.

أسهمت في ظهور المذهب الاعتزالي وانتشاره [1]. وكان لها دور بارز في الذود عن الإسلام، وتأسيس القواعد الفكرية [2].

وكان أتباع السلف يناهضون المعتزلة في صفة الكلام وخلق القرآن، ويأخذون ظواهر النصوص من غير تأويل [3]. وأبو العلاء يعرّض بالذين يقولون أن للقرآن ظاهراً وباطناً فيقول:

لقد كَذَبَ الذينَ طغَوا فقالوا: أتى من رَبِّنا أمرٌ برمز [4]

لأنهم كانوا يحرصون على وحدة الأمة. ويبتعدون عن الجدل ويأخذون الأحاديث والآثار الصحيحة، فهم يقولون – مثلاً – القرآن الكريم كلام الله فما الداعي لإثارة هذه المشكلة والقول مخلوق وغير مخلوق وأبو العلاء من جانبه يعلق:

وجدتُ الناسَ في هرجٍ ومَرْجٍ غُواةً بين مُعتزلٍ ومُرجي [5]

ويقول: ((كم متظاهر باعتزالٍ، وهو مع المخالف في نزال: يزعمُ أنَّ ربَّهُ على الذّرة يُخلدُ في النار، بلْهَ الدرهم وبلْهَ الدينار،... قد صيَّرَ الجَدلَ مصيدةً، ينظِمُ به من الغيِّ قصيدة)) [6] ويقول:

ومعتزليّ لم أوافقه ساعةً أقول له: في اللفظ دينكَ أجزلُ [7]

وتأثر المعتزلة بالفلسفة الإغريقية واكتسبوا المعارف النافعة ولاءموا بينها وبين الفلسفة اليونانية ليكونوا مزيجاً يتفق مع تعاليم الإسلام وجعلوا كلا من التوحيد والعلوم الطبيعية وما تحويه من الفلسفة مناطق ذات حدود واضحة للرد على المذاهب التي تقول بتشبيه الله بالصفات، وما تركته المانوية من تأثير في معتقدات

---

(1) ينظر: ابن حزم حياته، عصره وآراؤه الفقهية – محمد أبو زهرة: 132.

(2) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية – د. عرفان عبد الحميد: 170.

(3) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم – الفرد بل، ترجمة عبد الرحمن بدوي: 118.

(4) اللزوميات: 630/1.

(5) اللزوميات: 273/1.

(6) الغفران: 465 – 466.

(7) اللزوميات: 260/2.

الطبقة المثقفة [1]. وكانت لهم مسائل مع المرجئة وهم الذين يؤخرون العمل عن النية والقصد، وإرجاء الحكم إلى الله يوم القيامة. ومن هنا جاءت كلمة المرجئة ومن المرجئة ظهرت فرق أخرى منها القدرية والجبرية. واشتهرت بينهم الخلافات [2] مع المعتزلة فينصح شاعرنا:

لا تعش مُجبراً ولا قَدَرياً   واجتهدْ في توسّطٍ بين بيْنا [3]

ويقول عن نفسه:

وإن سألوا عن مذهبي فهو خَشيَةٌ   من الله لا طَوقاً أبثُّ ولا جبراً [4]

ويرى الدكتور طه حسين أن أبا العلاء (جبري)، وإن أظهر آرائه في الفلسفة هو الجبر، وأحصى عليه ذكر الجبر في اللزوميات أكثر من مائتي مرة ويقول ((إن حياته المادية وشعره ينطقان به ويدلان عليه، لا يحتملان شكاً ولا تأويلاً [5].

وإذا كان الأوفق ألا ندخل في ردود ربما لا تثري هذا البحث، إن لم تحوله إلى مناظرات في الآراء. لكنه الدكتور طه حسين !!.

من المعلوم أن الصراع كان قائماً بين القائلين بالجبر: إن الله هو الفاعل ودعاة الإرادة الحرة أن الإنسان هو الفاعل. والمعري كثيراً ما ينتهي – مع حيرته – إلى أحكام نهائية، وهي التي تهمنا في النتيجة، دون البحث عن آراء أخرى تناقض ما قاله في مناسبة أخرى، ولا نصل معها إلى شئ.

وحتى لا نقع في شباك السؤال القائل الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة. فنحدد بأن: الجبرية فرقة تقول أن الإنسان لا يقدر على شئ ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور [6]. وأبو العلاء حينما يذكر الجبر فهو يكشف لنا عن

(1) ينظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم: 78/1.

(2) الملل والنحل للشهرستاني: 186/1 وينظر كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده – لابن حزم – دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن محمد الحمد وسعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزني: 435.

(3) اللزوميات: 535/2 ومثله: 437/1، 439، 445، 459، 506، 273/2.

(4) اللزوميات: 484/1 (والطوق: الطاقة أي حرية الاختيار ضد الجبرية).

(5) تجديد ذكرى أبي العلاء: 280 – 281.

(6) الملل والنحل: 108/1.

الواقع الغامض والمصير المجهول. ولكن دون أن ينضم إلى هذه الفرقة من الجانب الفكري، فهو لم يحسم أمره بالانضمام إلى الجبر كما يرى الدكتور طه حسين بهذه السهولة. فالمعري لم يصور لنا الإنسان جثة هامدة بين يدي الذي يغسل الموتى، ولم يرض أن يكون مثل الطفل في المهد لا حول له ولا قوة، ولم يطالب بقتل الإبداع والابتكار بل أراد أن يحكم الإنسان عقله. فأبو العلاء أفنى عمره وهو يعيد ويزيد في القول أنه جاء إلى هذه الحياة مكرهاً وسيخرج منها لا محالة فيقول:

خرجتُ إلى ذي الدارِ كُرهاً ورحلتي　　　إلى غيرها بالرغم واللهُ شاهدُ
فهل أنا فيما بينَ ذينْك مُجبرٌ　　　على عملٍ، أم مُستطيعٌ فجاهدُ ؟ (1)

وهذا ما نؤمن به جميعاً. فإنه لم يأت أحد منا باختياره. وسنخرج منها سواء رضينا أم كرهنا فيقول أبو العلاء: ((فإن أقدارَ الله جرت على الأذلالِ، وهل يملك أحدٌ ردَّ الأقدار)) (2) وهذا الإيمان لا يعني انضماما إلى الجبرية بمفهومها السائد على ساحة الفكر الإسلامي. فلا يقول بجبر ولا باختيار أمام حيرته فيقول:

كيفَ احتيالُكَ والقضاءُ مدبِّرٌ　　　تجني الأذى وتقولُ انّك مجبرُ ؟ (3)

وأبو العلاء يؤمن بعدالة الله الواحد الأحد ((أعدلْ بالحاكِمِ على خَلْقهِ بالمنيَّةِ يحيدونَ منْ خطْبٍ إلى سواهُ)) (4).

والمعري من حقه أن يتساءل ولكن لا يريد للبشرية العبودية، أو يقيد حريتهم من العمل الصالح. إلا أن الدكتور طه حسين يعلق بقوله: فقد أثبت الجبر .. وسأل عنه فيما بين هذين، سؤال المستيقن به البات لرأيه فيه)) (5). وأشار الدكتور عبد القادر زيدان إلى أن المعري لم يكن في معنى اليقين والفصل في صالح الجبر بل يحمل معنى الحيرة والضياع الذي لا تهدأ معه النفس ولا تستقر. ويضيف: لو كان أبو العلاء يؤمن

---

(1) اللزوميات: 311/1.

(2) الصاهل والشاحج: 114 – 115 (الأذلال: جمع ذل بالكسر. وقولهم أمور الله جارية على أذلالها، أي على مجاريها وطرقها، وجاء فلان على إذلاله: أي على وجهه وحاله).

(3) اللزوميات: 448/1.

(4) الفصول والغايات: 169.

(5) تجديد ذكرى أبي العلاء: 281.

بالجبر، لما كانت هذه الحيرة الفكرية التي ملأت عليه نفسه ويؤكد أن المعري يقول بالفعل الإلهي والفعل الإنساني، وما أبعد ما بين الفعلين [1].

واستطرد الدكتور عبد القادر كثيراً لمناقشة موضوع الجبر في حين أن العودة إلى اللزوميات [2] والفصول والغايات [3] والصاهل والشاحج [4] فيها شواهد كثيرة توضح رؤية أبي العلاء عن القدر ولا يتحدث من منطق الإنسان الذي يؤمن بالجبر لكنه يوازن بين الأمرين في مواجهة القدر فقد ((سبقَ علمُ اللهِ بذلكَ والقدرُ بأمره متاحُ)) [5] ويستبعد الدكتور المحاسني أيضاً أن يكون أبو العلاء جبرياً وهو القائل:

وتخالفُ الأهواءُ: هذا مُدّعٍ فعلاً وذلكَ دينُهُ الإجبْارُ [6]

فهو لم يعتقد تعطيل إرادة العبد، وإنما بنى كل نقده الاجتماعي على اختيار الأعمال، فلو قال بالجبرية لبطل نقده كله وانتقض. وهو أن قال بالإجبار فقد جعله في الأمور التي لا قبل للإنسان بها كالولادات والموت والحظوظ [7].

ما باختياريَ ميلادي ولا هَرَمي ولا حياتي، فهل لي بعدُ تخييرُ ؟ [8]

ونكتفي من أقوال أبي العلاء:

ودعواكَ الطبيبَ لجَبْر عضْوٍ أخفُّ عليكَ من دَعواكَ جبراً [9]

ومهما يكن من أمره فإن المعتزلة في زمن أبي العلاء كانوا قد أخذوا بالتراجع لأنه انتصر مذهب أهل السنة، بظهور أبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ). الذي خرج على المعتزلة في الأربعين من عمره ؛ بعد ان تربى بأحضان هذا المذهب وتسلح بالأسلحة

(1) ينظر قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 131 – 132.
(2): 273/4.
(3): 33، 34، 416.
(4): 107، 108.
(5) الفصول والغايات: 365 (والمعنى أن الإنسان يفعل الفعل فيحظى به مرة ويشقى به مرة) م. ن: 366.
(6) اللزوميات: 459/1 (الإجبار: الجبرية).
(7) أبو العلاء ناقد المجتمع – زكي المحاسني: 26، وينظر: فيض الخاطر – أحمد أمين: 178/4.
(8) اللزوميات: 439/1.
(9) م. ن: 506/1.

المنطقية التي امدوه بها وحمل على آرائهم في كتابه(اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع) وهذا رد فعل في مواجهة الفرق المتطرفة من الخوارج والمعتزلة والباطنية والدفاع عن الخلفاء الراشدين [1]. بالمفهوم المعاكس وتوضيح منهج العقيدة الصحيح، ((ولكنها بعقلانية تقوم على ممارسة السياسة في الدين تجنباً لتسمية الأمور السياسية بأسمائها الحقيقية))[2] وسار الباقلاني (403 هـ) على منهج الأشعري في كتابيه التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به وكتب أخرى لعلماء آخرين [3]. لكن المعري لا يؤيد هذه المناظرات فيقول:

فعفّوا وصلّوا واصمتوا عن تناظُر فكـلُّ أمـيرٍ بـالحَوادثِ يُعَـزلُ[4]

حركة الزنوج:

أثارت هذه الحركة الرعب والقلق عند ظهورها خلال المدة (255ـ 270هـ) يتزعمها علي بن محمد بن عبد الرحيم حيث جمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ بالبصرة[5]. وهم طائفة من عبيد افريقية ابتدأت في المستنقعات بين البصرة وواسط وانضمت اليهم جماعات من العبيد الهاربين من القرى والمدن المجاورة وادعى زعيمهم انه من ولد علي زين العابدين بن حسين بن علي (رضي الله عنه)، ولقيت دعوته قبولا بين أهالي هجر والبحرين والعراق. وما زال الزنج يلتفون حوله حتى استولى على البصرة وخربوها واتخذ مدينة بناها وسماها المختارة، واتخذ منها منبرا كان يصعد إليه.

ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة على الرغم من ادعائه الانتساب إلى آل علي(رضي الله عنه) إلى أن قضى عليه الموفق[6].

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي، د. حسن إبراهيم حسن: 217/3 – 218، وظهر الإسلام: 39/1.

(2) المسألة الثقافية، محمد عابد الجابري: 153.

(3) لتفصيل الموضوع ينظر العقيدة الإسلامية وأثرها في وحدة الثقافة العربية الإسلامية – عرفان عبد الحميد، وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات: الإسلامية – عرفان عبد الحميد، وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات: 127.

(4) اللزوميات: 216/2.

(5) كتاب السلوك: 17.

(6) تاريخ الإسلام السياسي: 212/3 وينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية: 55/2– 56، وينظر: ابن المعتز العباسي – صورة ذلك العصر، د. سعد شلبي: 18.

ويعلق عليه ابو العلاء بقوله:" وأَما العلويُّ البَصريُّ فذكر بعضُ الناسِ أَنه كان قَبلَ خروُجهِ يذكر أَنه من عبدِ القَيس ثُم من أنمار. وكان اسمُه أحمد، فلمّا خرَج تسمّى علياً. والكذِبُ كثيرٌ جَمّ، كأنَّه في النُّظَرِ طَودٌ أَشمُّ" [1]. ونقل المعري أبياتاً من الشعر منسوبة إليه.

وأكثر المؤرخين يرون أنه دعي. وأن أصله عربي من عبد القيس وادعى إنه متصل بالله. ودعا إلى مذهب الخوارج. وخرب كثيراً من البلاد وأفنى كثيراً من الناس[2] بعد أن ((تمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه... وعلا العويل من نسائهم. وهذا يوم الشذا الذي ذكره الناس وأعظموا ما كان فيه من القتل)) [3].

والمعري في إنكاره لحركتي الزنج والقرامطة إنما يرى أن أصحاب هاتين الفرقتين يتخذون ذلك سبباً إلى الحكم والسيطرة وليس لخدمة البشرية، وما كان يعنيهم من أمر العدل شيئاً وان أوهموا اتباعهم عكس ذلك [4]. ومهما كانت أهداف صاحب الزنج فإن دوافع أتباعه الذين لا يفهمون حتى اللغة العربية كانت اقتصادية واجتماعية لذلك أكد صاحب الزنج على الناحية المادية [5].

القرامطة:

طائفة مشهورة من اتباع الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وماني. وكان أول أمرهم سنة (278هـ) والذي أظهر مذهبهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي الذي نفي إلى البحرين ودعاهم إلى مذهبه فاستجاب له أهل البحرين وما والاها [6].

---

(1) الغفران: 448.

(2) ظهر الإسلام/ 1/70- 71.

(3) تاريخ الطبري: 7/566، 595، 596.

(4) قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 263.

(5) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 94 وينظر: الخلافة الأموية – دراسة سياسية (65- 86 هـ) – الدكتور عبد الأمير عبد حسين دكسن: 238.

(6) ينظر الامتاع والمؤانسة: 2/77- 78 وينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان: 2/72- 75. وتجدر الإشارة إلى أن مقتل أبي سعيد كان سنة (301 هـ) وجاء بعده ابنه أبو طاهر، ينظر: كتاب دائرة المعارف – بطرس البستاني: 2/200، وينظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية: 350.

فيما يذكر ابن الأثير، كان ابتداء القرامطة من ناحية البحرين، بدعوة رجل يعرف بيحيى بن المهدي قصد قطيف[1].

والقرامطة لهم ((دعاوى وخرافات بلا دليل. وذهب هؤلاء أن التناسخ إنما هو سبيل العقاب والثواب. قالوا فالفاسق المسئ الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الأقذار والمسخرة المؤلمة الممتهنة...)) [2].

وأثرت هذه الدعوة سياسياً واجتماعياً، حيث انتشرت الدعوة بين الفلاحين الجهلة، لمعاناتهم من جشع الجباة. وانجراف هؤلاء للدعوة القرمطية بسهولة. يعلله الدكتور عبد العزيز الدوري لقلة الثقافة العامة والجهل. فكانت هذه الدعوة تعطي الوعود لمحاربة الفقر وتطعن بالسلاطين إلى حد أن تطرف القرامطة، يجعل الدين هو سبب استعباد الجماهير [3].

ومن جملة تعليقات المعري عنهم قوله: ((وحكي لي أنَّ للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أنَّ إمامهم يخرج منه، ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام... [4]. وأما الجنابي (يشير إلى ما جاء في رسالة ابن القارح عن الجنابي وفتنته ومعاركه) فلو عوقب بلد بمن يسكنه، لجاز أن تؤخذ به (جنابة) (وهي بلد صغير من سواحل فارس) ولا يقبل لها إنابة ولكن حكم الكتاب المنزل أجدر وأحرى: (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) {النَّجم:38} وقد اختلف في حديث الركن معه: (يشير إلى الجنابي الذي أخذ حجر الملتزم وظن أنه مغناطيس القلوب). فزعم من يدعي الخبرة به أنه أخذه ليعبده ويعظمه، لأنه بلغه أنه يد الصنم الذي جعل على خلق زحل. وقيل: جعله موطئاً في مرتفق، وهو تناقض في الحديث. وأي ذلك كان، فعليه اللعنة)) [5].

---

(1) الكامل: 92/8.

(2) الفصل في الملل والنحل: 90/1.

(3) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 95- 97 ويرجع الدكتور الدوري أن الدعوة المنظمة بقرامطة العراق بدأت حوالي 261 هـ وحلت بها الضربة الأخيرة سنة 316 هـ. وقدر ما يتعلق ببحثنا لا يهم الخلاف حول التاريخ. فيذكر الدوري خلاصة آراء القرامطة: ((إن الأنبياء والسلاطين أنزلوا الجماهير إلى مستوى العبودية الاجتماعية والشقاء المادي، وأعلنوا أنهم يريدون إرجاع العدل الاجتماعي وإنشاء الرفاه المادي)) ينظر: م. ن: 98.

(4) الغفران: 442.

(5) م. ن:447- 448. وأشار آدم متز إلى فقرات من رأي المعري في القرامطة. ينظر الحضارة الإسلامية: 71/2. وذهب أحد الباحثين إلى أن المعري يحب أهداف حركة القرامطة ولكنه يهاجم زعماءهم، لما بيتوه من نوايا سيئة وقد استوحى - أي المعري - بعض مبادئهم: ((العقل هو العلم المطلق. وأفضل العلوم هو العلم الذي يهدف إلى معرفة الله معرفة عميقة. والنبوات في الواقع نوع من السلوك السياسي)) وان ((القرامطة بناة إصلاح واسع بخلاف ما يذهب إليه المؤرخون كالطبري وابن الأثير وغيرهم))

وقد هجم أبو طاهر الجنابي على الكعبة سنة (317 هـ) ونهب جماعته الحجر الأسود وبقي عندهم أحدى وعشرين سنة. وقتلوا الجمع في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة [1]. وازداد خطرهم وتوسعت هجماتهم حتى وصلوا سنة (360 هـ) إلى دمشق فملوكها [2]. وقالت طائفة منهم بألوهية المقنع الأعور هاشم القصار القائم بثأر أبي مسلم [3]. وفي سنة (375 هـ) ملكوا الكوفة فكانت لهم حروب وصدامات [4].

وكثيراً ما كانوا يقولون بالألوهية لرؤسائهم، وقالت طائفة منهم بألوهية الحسين ابن منصور الحلاج أيام المقتدر... وكل هذه الجماعات ترى الاشتراك في النساء [5] والعياذ بالله. وفي مجال الذم لهذه الحركات يقول أبو العلاء:

كالذي قامَ يجمعُ الزنجَ بالبصـ	رة والقَرمَطيُّ بالأحساء
فانفردْ ما استطعتَ فالقائلُ الصا	دقُ يُضحي ثِقلاً على الجُلساءِ [6]

الفاطمية:

إن الاسماعيلية التي امتازت من الأثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، نصاً عليه وهو الابن الأكبر وإن الإمام بعده ولده التام أو

ينظر: القرامطة وأثرهم في أدب المعري، أسعد أطلس، الأديب، السنة 3، العدد 6 حزيران 1363 – 1944، بيروت (عدد خاص): 53 – 55، نقلاً عن كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 226. ومما تجدر الإشارة إليه أن كلام الطبري وابن الأثير له شواهد كثيرة ولا يحتاج إلى دفاعنا. وإذا كان أبو العلاء يعطي أهمية للعقل والعلم فذلك ما أشرنا إليه ومن جملة ما نهدف إليه من هذا البحث. وإذا كان للقرامطة مثل هذه الأهداف، فلم نجد فيما تيسر لنا من مصادر ما يشير إلى حب المعري لأهداف القرامطة لأنها أهدافهم وإذا كان ثمة تشابه في الآراء فهو يمثل فكر أبي العلاء الذي يعتقده دون التأثر أو التقليد لهذه الحركة. وهذه الحركة على أية حال واحدة من الحركات التي أرادت الإساءة إلى العرب والإسلام.

(1) البداية والنهاية: 160/11 – 161وينظر: ابن خلدون: 188/8 وتاريخ الخلفاء للسيوطي: 383، وينظر الموسوعة العربية الميسرة: 1373.

(2) الكامل: 43/7. وينظر زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم: 147/1، وينظر: المختصر في أخبار البشر: 140/3.

(3) الفصل في الملل والنحل: 487/4.

(4) ينظر:الكامل: 126/7– 136. ومن جملة الأذية التي لحقت بالمسلمين من هذه الجماعة: سلبتهم أمن الطريق إلى بيت المقدس. وخروجهم بشعلة النار المحرقة التي آذت المسلمين. وكان بداية ظهورهم في البحرين والعراق والشام بهذه الشعلة. ينظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: 322.

(5) الفصل في الملل والنحل: 187/4 وينظر فضائح الباطنية للإمام الغزالي: 19.

(6) اللزوميات: 66/1.

المكتوم[1]. وانفصلت هذه الفرقة عن الفرق الأخرى. فقد تمكنت هذه الفرقة من بناء دولتها الفاطمية في مصر.

وابرز من نشر هذا المذهب هو الذي يشير إليه أبو العلاء المعري بقوله:

مـا للمـذاهبِ قـد أمسَـتْ مُغـيرةً لهـا انتسـابٌ إلى القَـدَّاح أو هَجَـرِ[2]

فهو عبد الله بن ميمون القداح[3]. وبعض الباحثين أعتقد أن المعري كان تأثره بالمذهب الدرزي شديداً[4]. فيما تحمس اثنان من الباحثين[5] لإثبات أن المعري هو ذلك الفاطمي الذي لم يرتد ساعة. وإن أبا العلاء ذهب إلى بغداد ليكشف عن أحوال الدعوة هناك. وأنه اتصل بالجمعية السرية الفاطمية، اعتماداً على بعض العبارات التي وردت في رسالة المعري إلى أهل المعرة، وعلى أساس هذه الرسالة عد مارون عبود[6] المعري من كبار علماء الإسماعيلية، ولم يقف عند هذا الحد بل عد اللزوميات من الكتب الخاصة في أصول المذهب الفاطمي. وأيده مصطفى غالب مضيفاً أن المراسلة بين المعري وداعي الدعاة، تؤكد مدى احترام المعري وتقديره لهذه الدعوة والقائمين عليها[7].

وهذه الآراء ليس لها سند تاريخي، ومراسلة المعري كانت حافلة بمحاولات التخلص من المجادلة ودفعهم بالحسنى وابن العديم قد نفى هذه العلاقة، ويقول حيث أراد الحاكمون في هذه الدولة كسب أبي العلاء وتسخيره للدعاية لهم[8]. ويقرر الدكتور طه حسين في الأساس ((أن المعري لم يكن على وفاق مع حكام مصر من

---

(1) الملل والنحل: 27/2 – 28 وينظر: فضائح الباطنية – الغزالي: 16.

(2) اللزوميات: 540/1 وذكره في رسالة الغفران ينظر: 467.

(3) ينظر البداية والنهاية: 161/11، وينظر: طائفة الاسماعيلية تاريخها، نظمها، عقائدها، د. محمد كامل حسين: 91.

(4) ينظر: حكيم المعرة: 41 والأمر لا يحتمل كل هذه المداخلات وهناك من أشار إلى هذا الرأي قبل عمر فروخ وهو عارف أبو شقرا، ينظر: درزية المعري، عارف أبو شقرا الأديب، السنة 3، العدد 13637 – تموز 1944: 26 – كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 229 حيث ذكر هذا الباحث أنه وقع على موضوع لم يسبق أن عالجه أحد قبله هو وجه الشبه بين الدروز وبين أبي العلاء (زهد وامتناع عن الزواج وابتعاد عن الحكام).

(5) زوبعة الدهور: ط3: 68. وفلاسفة من الشرق والغرب: 250.

(6) زوبعة الدهور: 69.ومثل هذه الاتهامات نجدها تدور حول أعلام الفكر باستمرار. ينظر توفيق التطبيق في إثبات أن الشيخ الرئيس من الأمامية لعلي بن فضل الله الجيلاني (ت 1070) تحقيق محمد مصطفى حلمي: 15.

(7) فلاسفة من الشرق والغرب: 250.

(8) الانصاف والتحري – تعريف: 565 – 577.

الفاطميين ومع ما يذهبون إليه من دعاوى وأفكار)) [1] وإذا علمنا أن عقيدتهم ((اتخذت منهجاً لها تسير عليه وتدعو إليه)) [2] فهذا مما يعارضه المعري ولا يدعو إليه.

إخوان الصفا:

وهؤلاء يرون أن الشريعة دنست بالجهالات ولا سبيل إلى تطهيرها، إلا بالفلسفة، وصنفوا إحدى وخمسين رسالة [3] في جميع أجزاء الفلسفة سموها (رسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء) وكتموا أسماءهم، ونشروا رسائلهم في الناس ويقولون أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء لوجه الله، وليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضرهم. ويرى أبو حيان التوحيدي أن هذه المجموعة تألفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة، مبثوثة في كل فن. ولعل وراء هذه الجماعة من الطوائف التي لهم مآخذ أمثال مدعي السحر وصاحب الطلسم، ومستعمل الوهم وغير ذلك والدين نهى عن الخوض في هذه الأشياء من الخرافات، والكنايات والتلفيقات. وكانوا يريدون ربط الفلسفة بالدين ولكنهم فشلوا [4].

وكتّاب هذه الرسائل ((أرادوا أن يفهموا الجماهير ما يرمون إليه من الأغراض السياسية)) [5] ويؤكد هذا الدكتور طه حسين [6].

ويؤطر هذا المعنى الدكتور عبد العزيز الدوري بقوله: ((كانت تشتغل ضد الخلافة العباسية، وتسعى للتهذيب العام، جاعلة ذلك وسيلة لأحداث ثورة سياسية دينية عامة.. وهجوماً عنيفاً على الخلافة العباسية وعلى الأوضاع المعاصرة))[7].

---

(1) تجديد ذكرى أبي العلاء: 57.

(2) شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل – للإمام الغزالي، تحقيق: الدكتور حمد الكبيسي – المقدمة: 8. وينظر: أصول الاسماعيلية، بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية – تأليف الدكتور برنارد لويس نقله إلى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب، قدم له الدكتور عبد العزيز الدوري حيث يوضح المؤلف أن الاسماعيلية ((مزيج من نحل)): 48.

(3) هناك اختلاف في عدد الرسائل: 50– 53.

(4) الامتاع والمؤانسة: 5/2– 8، وينظر: أخوان الصفا – د. جبور عبد النور: 15، وينظر الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع: 45.

(5) النثر الفني في القرن الرابع – زكي مبارك: 175/2.

(6) كتب ومؤلفون – طه حسين: 239.

(7) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 99 و 103.

وذهب الباحث محمد عبد الله عنان إلى أن أخوان الصفا يعدون السياسة علماً مستقلاً بذاته [1]. ولكن ليس لهم منهج ثابت. ويؤيدون الاختلاف في الآراء [2].

ويقول أحمد أمين: ((أن من بين أخوان الصفا هؤلاء أبا العلاء المعري... فأنه لما ذهب إلى بغداد رأى هناك مجمعاً فلسفياً خاصاً، يجتمع يوم الجمعة من كل أسبوع بدار عبد السلام البصري أمين مكتبة سابور بن أردشير. وهذا هو النظام الموضوع لإخوان الصفا. فإن أتباعهم مأمورون أن يجتمعوا كل أسبوع للمدارسة والمذاكرة. فالمعقول أن يكون المجتمعون هم أتباع أخوان الصفا)) [3] ويستدل على ذلك بقول أبي العلاء:

تُهَـيِّجُ أشـواقي عرُوبَـةُ إنَّهـا ... إليكَ زَوَتْني عن حُضُورٍ بمجْمَعِ [4]

وقوله في موضع آخر:

كـمْ بلْـدَةٍ فارقتُهـا ومَعَاشِـرٍ ... يُـذرُوُونَ مـنْ أسـفٍ عَلَـيَّ دُمُوعـا
وإذا أضـاعتني الخُطُـوبُ فَلَـنْ أرى ... لـودَاد إخـوانِ الصـفَاءِ مُضـيْعا
خالَلْـتُ تَوديـعَ الأصـادِقِ للنَّـوى ... فمتـى أوَدِّعُ خِلِّـيَ التَّوديعـا [5]

ويعلق أحمد أمين ((أما المجمع فلا نستبعد أنه هو مجمع فرع إخوان الصفا)) [6] وفي مكان آخر يقول: ((وربما كان ما نراه في لزوميات أبي العلاء من الحملة على المرأة وفسادها، وطلب قصرها على منزلها دون القراءة والكتابة ورميها

---

(1) ينظر ابن خلدون – حياته وتراثه الفكري: 120 وقد استعرض عنان هذه الأقسام وهي خمسة: السياسة النبوية والملوكية والعامية والخاصية والذاتية والعامية هي الرياسة على الجماعات كرياسة الأمراء على البلدان والمدن. ورياسة قادة الجيوش على العساكر والخاصية معرفة كل إنسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته، والذاتية هي معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه وتحدثوا عن الملل وعن أنواع الرياسة والإمامة.

(2) ينظر: رسائل أخوا ن الصفا وخلان الوفاء: 3/ 490– 491.

(3) ظهر الإسلام: 146/2 (لم يشر أحمد أمين إلى المصدر).

(4) شروح السقط: 1543/4 (وعروبة يوم الجمعة وكان يجتمع أيام الجمع مع عبد السلام البصري.زوتني: منعتني. ومجمع: مكان الاجتماع، أراد أنه فراقه يوم الجمعة).

(5) م. ن: 1681/4.

(6) ظهر الإسلام: 146/2.

بالاعتقاد في الخرافات والأوهام، نتيجة للقسم الأول من حياة أبي العلاء، حينما كان على الأرجح يدين بتعاليم إخوان الصفا)) [1].

وحضور أبي العلاء إلى المجمعات العلمية لا يستبعد. لأنه كان شغوفاً للمزيد من الاطلاع، وطرق كل الأبواب الثقافية. وفي خصوصية الحملة على المرأة ليس كافياً للدلالة على أنه يدين بتعاليم إخوان الصفا. فإخوان الصفا لا يشجعون على قطع النسل، ولا يحبذون العزلة، ولكن صادف أن تتوافق الآراء فهو ينكر مثلاً ما ذهب إلهي إخوان الصفا في مسائل علم النجوم:

وإنْ صحّ أنّ النيراتِ محسّةٌ ... فماذا نكرْتم من ودادٍ ومن صهرِ ؟
لعلّ سُهَيلاً وهو فحلُ كواكبٍ ... تَزوجَ بنتاً للسمّاك على مهرِ [2]

أما فيما يتعلق بالأبيات لورود عبارة (لوداد إخوان الصفا) فإن الخوارزمي في معرض شرحه في سقط الزند يقول: عني بإخوان الصفا أصدقاءه الصافية الوداد، وكأنه يوهم أنه عني بهم أصحاب الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، وقد ذكر الخوارزمي نبذة عن هذ الجماعة وأسماء الذين صنعوها ولم يشر أن المعري كان يدين بتعاليمهم [3]. ويقول المعري:

ولي مَذهبٌ في هجريَ الإنس نافعٌ ... إذا القومُ خاضوا في اختيار المذاهبِ [4]

وهناك فرق أخرى كثيرة جداً يقول التوحيدي لا يحصى عددها إلا الله الذي لا يعجزه شيء [5] ولا نريد أن نثقل الهامش في التعريف بهذه الفرق وإنما الذي نعنيه كثرة الفرق وتعدد التيارات الفكرية، وأغلبها طابعه سياسي، تأتي عن طريق الدين

---

(1) م. ن: 160/2.

(2) اللزوميات: 519/1 (ممسة: أي لها الإدارك الحسي. وكان يزعم الفلاسفة أن الكواكب لها عقول ونفوس وأجسام فلكية).

(3) شروح السقط: 1681/4.

(4) اللزوميات: 145/1.

(5) ينظر الامتاع والمؤانسة: 78/2.ومن هذه الفرق على سبيل التمثيل الخطابية، الهشامية الراوندية، الرمزية الباطنية الحرفية، الكاملية، المغيرية، المنصورية، الجارودية، الكيالية، الواصلية، الهذيلية، الحايطية، البشرية، المعمرية، المزدارية، التمامية، الخياطية، النجارية، الصفافية، الصلتية، الميمونية، الشيبانية، المكرمية، والحفصية، الحارثيةوغيرها. وينظر: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية – لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي ملحق بكتاب الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية: 247 وما بعدها. وينظر: الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني (ت 786 هـ) تحقيق سليمة عبد الرسول: 1- 99.

لتحقيق غاياتها والكيد إلى الأمة العربية والإسلامية حسداً من عند أنفسهم وكتاب الملل والنحل فيه التفصيل لهذه الفرق.

وقد يتصور البعض [1] أن ورود أي أفكار لدى المعري يعني تأثره بهذا المذهب على أساس التأييد أو الانتساب. لذلك ما نريد أن نخلص له هو أن هذه الأفكار كانت سائدة على أيام المعري وتشكل بطريقة أو بأخرى إحدى مصادر الفكر عنده. أما حقيقة حكمه عليها فهي لاتخاذها أسباباً للمصالح الدنيوية[2]. وهو كثيراً ما يعلق على هذه الفرق، ويبدي رأيه أحياناً ونذكر على سبيل المثال تعليقه على النصيرية الذين يتصورون الروح تنتقل من مجال إلى مجال آخر في الأحياء والنبات وكانوا يؤلهون عليا (رضي الله عنه) وينسبون إلى رجل اسمه نصير [3].

فيقول المعري:

يا آكل التّفاحِ لا تَبْعدنْ ... ولا يُقمْ يومُ ردىً ثاكِلَكْ
قال النُّصيريُ وما قُلتُهُ ... فاسمَعْ وشجّعْ في الوغى ناكلَكْ [4]

وعلى لسان رجل من النصيرية:

أعْجَبي أُمَّنَا لِصَرْفِ الليالي ... جُعِلَتْ أُختُنا سكينةُ فاره
فازجُري هذه السنانيرَ عنها ... واترُكيها وما تَضُمُّ الغِرارَة [5]

ويعلق المعري: ((وهذه المذاهبُ قديمةٌ تنتقلُ من عسرٍ بعد عسرٍ، ويقالُ إنَّ (فرعونَ) كان على مذهب الحلولية فلذلك ادَّعى أنَّه ربُّ العزةِ [6].

---

(1) يرى عبد الله العلايلي مثلاً أن المعري تأثر بالرمزية الباطنية التي تستنطق الحروف من خلال الجناس في رسائله، وهذا بعيد فالمعري أراد أن يثبت قدرته اللغوية. ينظر: المعري ذلك المجهول: 23. وينظر العوامل السياسية في شعر أبي الطيب المتنبي – عصام السيوفي: 514.

(2) اللزوميات، ينظر: على سبيل المثال: 66/1، 457/2، 196/2.

(3) الامتاع والمؤانسة: 77/2، وينظر: النصيرية – دراسة تحليلية – تقي شرف الدين: 14.

(4) اللزوميات: 252/2.

(5) الغفران: 459 (السنور: الهر، الغرارة: وعاء الحبوب).

(6) م. ن: 457.

ويضيف قائلاً: ((وبنو آدم بلا عقول، وهذا أمرٌ يلقنهُ صغيرٌ عن كبير، فيكون بالهلكةِ أوفى صَبير: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[1] وعلق أيضاً على فرقة الصفوية [2]. وعن الفرق مجتمعة له أبيات منها قوله:

إن شِئتَ إبليسَ أن تَلقاهُ منصلتاً بالسيفِ يضرِبُ، فاعمدْ للجماعات[3]

ويقول أبو العلاء ((فكرتُ في المِلَلِ، فعدت بملل)) [4].

ب) الخارجية:

في ابان الحركة الفكرية، اتسعت اللغة العربية للأفكار الاجنبية. فما الذي عمل على تقابل هذه الثقافات؟ انها الرسالة الاسلامية السمحة" التي فتحت مبادئها الباب امام كل تفاعل فكري مفيد طالما انه لا يتعارض مع مبادئها الانسانية... في ظل الحرية الفكرية التي وفرتها الرسالة الاسلامية [5].

وساعدت الترجمة عن اللغات الاجنبية، وخاصة اليونانية والفارسية والهندية الى العربية، على انتشار الثقافة الاسلامية. فضلا عن نضج ملكات المسلمين انفسهم، في البحث والتأليف، وتشجيع الخلفاء والسلاطين والامراء لرجال العلم والادب واتساع افق الفكر الاسلامي بارتحال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها [6].

ومن يتتبع عصر ابي العلاء بعمق يستنتج ان هذا الازدهار الثقافي يرجع الى نجاح العرب المسلمين في الجمع بين الافكار التي اطلعوا عليها واخضاعها الى عقلهم والاستفادة منها في حياتهم العلمية. وانتظمت كل الصيغ الدينية والفلسفية

(1) م. ن: 458 (والآية من سورة الفرقان، الآية: 44).

(2) اللزوميات: 120/1.

(3) م. ن: 227/1.

(4) الفصول والغايات: 529.

(5) الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره: 26، وينظر: الأعمال القومية – ساطع الحصري: 344، وينظر: الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الإغريقية إلى الواقعية الاشتراكية – محمد مفيد الشوباشي: 58.

(6) تاريخ الإسلام السياسي: 322/3، وينظر: فجر الإسلام – أحمد أمين: 84.

والعلمية والفقهية والقانونية والسياسية والابداعية وكل السائد من الاعراف والعادات وانماط السلوك وما يفسرها من مثل عليا وقيم [1]. فالثقافة لا تكون حية متطورة متجددة الا اذا كانت تدخل في علاقة تواصل واخذ وعطاء مع الثقافات الاخرى[2]. والامم والشعوب التي اعتنقت الاسلام وهي الاخرى لها حضارات عريقة شتى ولها تجاربها في مجال الروح والمادة، فكانت للهند حضارة [3]، ولا إيران حكمة، ولليونان فلسفة، وللرومان شريعة، فضلا عن تنوع الآداب والعلوم. كل ذلك ساهم في الوجه الجديد للحضارة الاسلامية، وفي المزاج الفكري [4]. وكانت تباشير ذلك في القرن الاول للهجرة ايام الفتوحات، فشكلت الاساس للحضارة التي ازدهرت في عصر ابي العلاء. وتحمل معها ايضا بذور الاعاصير والفرقة التي تركت آثارها في الامة [5]. وهذا الخليط الثقافي الجاهز وجده المعري بين يديه. فكتب ارسطاليس وافلاطون وجالينوس وغيرهم في علوم الفلسفة والمنطق والتشريح والطبيعة والهندسة والفلك والاخلاق والسياسة كانت مشاعة ومعروفة اطلع عليها ابو العلاء في المعرة واللاذقية وحلب وطرابلس وبغداد.

والقدر الذي يعنينا من الاطلاع هو ان تكون هذه الثقافات من جملة مصادر الفكر لابي العلاء كما يرى المستشرق الفرنسي هنري لاوست [6]. وعلى ذلك يسوق فروخ الدليل حول موضوع التأثر يأتي من مذاهب متفرقة لأنه يستحسنها في مواضع مناسبة بما يتصل مع افكاره، فهو قد اطلع على هذه المذاهب، وهو قادر على الهضم والرفض والتحليل والتعليل، وليس أديباً منشئا ينظم، وينقل ما يقرأ وما يسمع من غير ان" يعتنق مذهبا بعينه [7]. فعندما يتحدث المعري لا نشعر بذوبان الشخصية عنده تجاه هذه الثقافات فيقول مثلا: والسُّكرُ مُحرّمُ في كل المِلَل، ويقالُ إن الهندَ لا يُمَلّكونَ

---

(1) ينظر الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع – مجموعة من الباحثين – إشراف عبد المنعم تليمة: 11.

(2) ينظر: الثقافة العربية اليوم ومسألة الاستقلال الثقافي – محمد عابد الجابري، (وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات): 13.

(3) ينظر: حضارة الهند – د. غوستاف لوبون – نقله إلى العربية عادل زعيتر: 9، وينظر:أصالة الثقافات (مجموعة مقالات) ترجمة حافظ الجمالي، مراجعة الدكتور يوسف مراد: 125 – 126.

(4) ينظر الشعر وإعلامه في العصر العباسي الأول، عصر الدولة الموحدة – د.محمد نبيه حجاب: 26، وينظر: بواكير الآداب الإقليمية في تاريخ الأدب العربي – حسين نصار – الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع: 216.

(5) فقد كانت لهم أفكار دينية قديمة مثل المانوية والزرادشتية والمزدكية وكانت هذه جذوراً لظهور فرق الإسلام وأرادوا الانتقام من العرب وإلى كل ما يمت إلى العربية بصلة.

(6) ينظر: حكيم المعرة: 110.

(7) م. ن: والصفحة.

عليهم رجلا يشربُ مُسكرا، لأنهم يرونه منكَرا، ويقولون:يجوز ان يَحدُثَ في المملكةِ نبأٌ والملكُ سكرانُ فإذا الملكُ المتَّبعُ هكران" [1] .وفي مكان آخر عندما يتكلم على التناسخ يقول:" وهو مذهَبٌ عتيقٌ يقولُ به أهلُ الهند" [2] . ويقول ايضا وحكيَ لي عن بعضِ ملوكِ الهند، وكان شاباً حسَناً، أنه جُدِّرَ فنَظَرَ الى وجههِ في المرآةِ وقد تغيَّر، فأحرَقَ نفسَهُ وقال: أُريدُ ان يَنقلَني اللهُ الى صورةٍ أَحسنَ من هذه" [3] "وحدِّثَ من مشاهدَ إحراقَهم نفوسَهم أنهم اذا لَذَعَتهم النارُ أرادوا الخروج فيدفعُهم من حضَر إليها بالعصيِّ والخُشُبِ فلا اله إلاَّ اللهُ لَقَدْ جِئْتُم شَيئاً إدّاً" [4] . ومن هذا الكلام يتضح لنا ان المعري لم يعتنق هذا المذهب. وفيما تقدم من الافكار يتمثل اخص ما عرفت به الهند، وهو الزهد والرأفة بالحيوان وحرق الميت والايمان بالتناسخ، ولكل من هذه الامور أثر من الاثار في ادبه، ولكن دون ان تكون له عقيدة كما تصور محمد عبد الله عنان أن أبا العلاء ((متأثر في الفلسفة القديمة.. يمتدح تقاليد الهندوس في حرق موتاهم)) [5] لقول أبي العلاء:

فأعجبْ لتحريق أهلِ الهندِ مَيْتَهمُ ... وذاك أروحُ من طولِ التّباريحِ [6]

والمعري هنا يرى أن الهند هم يعتقدون بهذا الأسلوب ولعل عنان لم يطلع على قول آخر للمعري في هذا المجال يقول:

يحرّقُ نفسهُ الهنديُّ خوفاً ... ويقصُرُ دونَ ما صَنَعَ الجِهادُ
وما فعَلَتْهُ عُبّادُ النصارى ... ولا شرعيةٌ صبَأوا وهادوا
يقرِّبُ جسمَهُ للنّارِ عمداً ... وذلكَ منه دينٌ واجتهادُ [7]

ومثل ذلك يقال عن الثقافات الأخرى، وهذا أمر قد تأثر به الشعراء من قبل أمثال أبي تمام في قصيدته ((السيف أصدق أنباء)) حيث تمثل تمثيلاً صادقاً للثقافات الثلاث الفارسية واليونانية والعربية [8] . ويؤكد الدكتور طه حسين أيضاً أن المعري لم

---

(1) الغفران: 555 (هكران: اعتراه النعاس).
(2) م. ن: 458.
(3) م. ن: 459– 460.
(4) م. ن: 460 (والآية من سورة مريم – الآية: 89).
(5) وفاة أبي العلاء ورأيه في الموت وما بعده – (الهلال 46): 924.
(6) اللزوميات: 299/1.
(7) م. ن: 336/1 ومثل هذه الأبيات، ينظر: 602/1 و 380/2.
(8) من حديث الشعر والنثر – طه حسين: 190.

يكن منتمياً إلى مذهب معين في الوقت الذي أفنى أبو العلاء عمره بحثاً عن الحق. وكان متعرضاً لكل المذاهب التي عرفها المسلمون يلم بها جميعاً ((ولم يكن متبعاً أو مقلداً على مذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق)) (1). ويؤكد هذا الرأي محمد سليم الجندي (2).

وحينما نبسط القول في هذا الموضوع، لنركز على أمر مهم تشتد حاجتنا إليه وهو الشخصية الثقافية المجردة، لكي نطمئن إلى أننا نستخلص فكراً مستقلاً لأبي العلاء، وهو يقدم لنا الرأي. وماذا بعد ذلك ؟

لنا أن نأخذ به أولاً نأخذ به، دون أن نتعرض إليه عندما لا يجد في نفوسنا هوى.

فالمعري يصور ما يراه حقيقة ولا يعيد ما تعارفه الناس من آراء وأفكار مشوبة بالنفاق والمرارة فيقول:

ومــاذا يبتغــي الجُلســاءُ عنــدي   أرادوا منطقــي وأردتُ صَــمتي
ويوجــدُ بيننــا أمَــدٌ قصِــيٌّ   فــأمّوا سمــتَهمْ وأممــتُ سَــمتي (3)

وهي على أية حال لا يمكن أن تلقى صدى إيجابياً في نفوس جميع الناس ولكن يتحقق عند صفوة مختارة، وهو يبغض إليهم أوضاعهم ((فالأدباء قوم يحلمون، والثورة تعبير وتفسير لأحلامهم)) (4) وكثيراً ما يحمل الظلم من ((عظماء الرجال أن يفروا من العمل السياسي إلى العمل العلمي)) (5) خوفاً من التبعات ((فيخلق أبو العلاء لنفسه جوا علمياً فكرياً هادئاً لا نزاع فيه)) (6) لأنه من المفكرين من تمنعه ((نفسه من الملق وطبعه من التقرب كأبي العلاء فيتخذ خطة أخرى هي الذم والقدح)) (7).

---

(1) المعري شاعر أم فيلسوف – طه حسين – (الهلال 46): 849 – 850.
(2) ينظر: الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره: محمد سليم الجندي: 1245/3.
(3) اللزوميات: 230/1.
(4) خصام ونقد – د. طه حسين: 39.
(5) ظهر الإسلام: 97/1.
(6) م. ن: والصحفة.
(7) م. ن: 95/2.

بقي أن نشير إلى تطابق الأفكار استكمالاً لرسم الدائرة حول فكر المعري فلعله يذكر أمراً لقناعة خاصة أو علمية. كما ذهب أبو العلاء في نسبة الولد إلى أمه لأنه لا يمكن الشك في ذلك فيقرن هذا الأمر مثلاً بعادة الروم لأنهم ينسبون الطفل إلى الأم[1].

ومثلما اطلع المعري على أفكار الفرق الداخلية، تعرف أفكار المذاهب الخارجية وعدداً من الاتجاهات العقدية التي لم يستطع العرب أن يقضوا عليها بشكل نهائي [2].

الزرادشتية:

أصحاب زرادشت الذين ((زعموا أن الله عز وجل خلق من وقت ما في الصحف الأولى والكتاب الأعلى من ملكوته خلقاً روحانياً. فلما مضت ثلاثة آلاف سنة أنفذ مشيئته في صورة من نور متلالئ على تركيب صورة الإنسان، وأحف سبعين من الملائكة المكرمين، وخلق الشمس والكواكب والأرض وبني آدم غير متحركة، ثلاثة آلاف سنة ثم جعل روح زرادشت في شجرة انشأها في أعلى عليين)) [3].

وهم يقولون بالنور والظلمة أصلان متضادان ومنهم أصناف مثل السيسانية والبهافردية ويعبدون النيران. ودعا زرادشت إلى محاربة القوى الشريرة (الظلام) ويمثل الرذائل. ونصرة القوى الخيّرة ويرمز لهذه القوى بالشمس والنور وهي تمثل الفضائل العليا [4].

المانوية:

أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر بعد عيسى (عليه السلام) في إيران وادعى النبوة متخذاً دينه بين المجوسية والنصرانية. وزعم ماني أن العالم مصنوع

---

(1) ينظر على سبيل المثال: اللزوميات: 242/1، 465/1، 576/1.

(2) ينظر: أبحاث في الأدب العربي – الثورة البابكية وأثرها في الأدب العربي، د. عبد الحسن عاطف سلام: 12.

(3) الملل والنحل : 77/2.

(4) م. ن: 78/2 وينظر صبح الأعشى في صناعة الإنشا – أحمد بن علي القلقشندي (ت 821 هـ): 294/13.

مركب من أصلين النور والظلمة [1]. والنور هو منشأ الخير. والظلام منشأ الشر. وأراد الرجوع إلى القتل [2].ودعا إلى الخمول والكسل وترك الزواج وإيثار العزلة.

المزدكية:

نسبة إلى مزدك الذي جعل النساء والأموال شركة مباحة بين الناس لأن ما يقع من اقتتال وصراع هو سبب هذين الأمرين فجعلهما كالماء والهواء. ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة هي الماء والنار والأرض، ويرى عدم قتل الحيوان،وأن خسروا بالعالم الأعلى، إنما يدبر بالحروف التي بمجموعها الاسم الأعظم. ومن تصور من تلك الحروف شيئاً. انفتح له السر الأكبر. ومن حرم ذلك بقي في عمى الجهل والنسيان والبلادة والغم [3].

ويعلق الذهبي على أبي العلاء لما جاء برسالة الغفران بقوله: ((قد احتوت على مزدكة واستخفاف والمقصود هنا بالمزدكة مذهب مزدك))[4] وكفانا الدكتور شوقي ضيف الرد على هذا الرأي واستبعاده ذلك بقوله: ((لم يحقق هذه الكلمة حين أضافها لأبي العلاء إنما أراد بها يصفه بالزندقة لما في رسالته من تهكم على بعض المعتقدات))[5].

وهناك مذاهب أخرى مشابهة مثل الديصانية الذين يقولون النور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً... [6] ويعتقد المحاسني أن المعري متأثر بالديصانية ويقول فقد ظهر التأثر جلياً في كرهه الزواج وبعده عن ذبح الحيوان [7] وكأن الديصانية فقط هم الذي يكرهون الزواج ويبتعدون عن ذبح الحيوان فغيرهم من المذاهب كثيرة كما أشرنا. ومثل هذه الفرق أيضاً المرقونية ولكن أضافوا أصلاً ثالثاً هو العدل الجامع. وفرقة أخرى المسخية التي تقول أن النور كان وحده نوراً

---

(1) م. ن: 81/2 وينظر الغلو والفرق الغاليةفي الحضارة الإسلامية – الدكتور عبد الله سلوم السامرائي: 23.

(2) ينظر مطلع النور – عباس محمود العقاد: 31، وينظر: الأديان – دراسة تاريخية مقارنة، د. رشدي عليان ود. سعدون الساموك:137– 138.

(3) الملل والنحل: 86/2– 87. وينظر مطلع النور: 31 وينظر أبحاث في الأدب العربي: 13.

(4) تاريخ الإسلام للذهبي – تعريف: 189.

(5) الفن ومذاهبه في النثر – د. شوقي ضيف: 267.

(6) الملل والنحل: 88/2.

(7) أبو العلاء ناقد المجتمع: 19. وفي صفحة: 148 من نفس الكتاب يقول عن المعري (كان حر الفكر).

محضاً ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة [1]. والصيامية الذين توجهوا في عبادتهم إلى النار وأمسكوا عن النكاح والذبائح.

ومثل هذه الفرق أخرى كثيرة [2] تركت آثارها في تفكير الناس وفي آدابهم، ((لأن هذه الآداب آخر الأمر ليست إلا تعبيراً عن هذه الحياة وتصويراً لها)) [3] ولكنّ أبا العلاء يقول ومن حقه ذلك:

إذا رَجَعَ الحصيفُ إلى حِجاهُ تهاونَ بالمذاهبِ وازدَراها [4]

(1) الملل والنحل: 76/2.

(2) م. ن: 77/2 و 91.

(3) الوان – الدكتور طه حسين: 5.

(4) اللزوميات: 622/2.

المبحث الرابع
الأديان

يقول أبو العلاء:

أتـتنيَ أنبـاءٌ كـثيرٌ شُـجونُها ... لها طـرقٌ أعيا على النَّـاس خُبرُها
هفا دونها قسُّ النصار وموبَذُ الـ ... مجـوس ودّيـانُ اليهـودِ، وحَبرهـا
وخطَـوا أحاديثـاً لهـم في صـحائفٍ ... لقدْ ضاعت الأوراقُ فيها وحِبرها [1]

هـذا مـدخل يـدل علـى أن أبـا العـلاء اطلـع علـى الـديانات، الـتي يحـددها الشهرستاني بالمجوس والنصارى والمسلمين، فضلاً عن أهل الأهواء والآراء مثـل الدهريـة والصابئة وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة [2].

أمـا المقريـزي فـيرى أن الأمـم كلـها كانـت في قـديم الـدهر صـنفاً واحـداً ثـم صاروا على خمسة أديان وهي:

1. الصابئة: التي تعبد الكواكب [*]، وترى أن سائر ما في الحياة الدنيا ناشئ وصادر عـن الكواكـب، وأن الشـمس هـي المفيضـة علـى الكـل، وهـو أقـدم الأديـان وبـه كـان يدين أهل بابل من الكلدانيين وإليهم بعث الله نوحاً وإبراهيم (عليهما السلام).
2. المجوس: الذين يقولون بإلهين اثنين، أحدهما فاعل الخير وهو النور والآخر فاعل الشـر وهـو الظـلام. واتخـذوا بيـوت الـنيران. وكانـت إلى هـذه الـنيران صـلواته وقـرابينهم. ويعتقـدون فيهـا النفـع والضـر. وعلـى هـذا الاعتقـاد كانـت الأكاسـرة ملوك فارس بالعراق.
3. الذين أشركوا: وهم وإن وافقـتهم الصـابئة والمجوس في عبـادة التماثيـل والنـار مـن دون الله. إلا أن العـرب الـذين بعـث الله فـيهم نبينـا محمـداً (صـلى الله عليـه وسلم)، يقـال لهم المشـركون سمـة لهـم واسمـاً لـزمهم وكـانوا يعبـدون الأصـنام مـن

(1) اللزوميات: 423/1 ومثل هذا المعنى ينظر: م. ن: 337/1 و399/1، و604/2، 623.
(2) الملل والنحل – الشهرستاني: 1/ 4– 5.
(*) ينظر: الصابئة المندائيون – الكتاب الأول – الليدي دراوور – ترجمة نعيم بدوي وغضبان روحي: 85، فيما ذكر القلقشندي أن: (مدار أعيادهم على الكواكب) دون تمييز، ينظر صبح الأعشى: 467/2.

دون الله، ويزعمون أنها تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضر، ويعتقد المشركون مع ذلك أن الله سبحانه هو الذي خلقهم، وان عبادة الأصنام وسيلة تقربهم إلى الله.

4. اليهود: أتباع نبي الله موسى بن عمران (عليه السلام). وكتابهم التوراة وكلهم أبناء إبراهيم الخليل، ويعرفون أيضاً ببني اسرائيل وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (عليهم السلام) وجاء الله بالإسلام وليس لهم ملك ولا دولة وإنما هم جماعات متفرقون في اقطار الأرض تحت أيدي النصارى.

5. النصارى: أتباع نبي الله المسيح عيسى ابن مريم (صلوات الله عليه). وكتابهم الانجيل. وجاء الله بالمسيح إلى بني إسرائيل فكذبوه إلا طائفة منهم. ثم انتشر دينه بعد أن رفعه الله بزمن. فدخل فيه الروم والقبط والحبشة وطائفة من العرب. وما زالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام، وملكوا الشام وأرض مصر من هرقل آخر ملوك القياصرة وأتباعه [1].

وكان الإسلام آخر الأديان. مع بقاء رواسب للأديان السابقة سواء منها الوثنية أم السماوية [2].

وكانت القيم الروحية والإنسانية الاجتماعية التي يحملها الإسلام قد مكنته من الانتشار في هذه الرقعة الواسعة.

والتدهور الذي حصل لم ينشأ من ضعف الخلفاء والفتن فحسب وإنما بسبب اختلاف الشعوب التي خضعت للإسلام من فرس وترك وروم وهنود. وبعضهم وجد أن الإسلام يصطدم بمصالحهم وحاولوا التخلص منه [3]. فخيمة الإسلام عندما كانت تغطي الأمة لم تكن البلاد والعباد بخالصة للإسلام دون غيره من الديانات والقوميات.

والإسلام لم يفرض نفسه على البلاد المفتوحة إذ: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) [4] بل إن الإسلام التزم حماية أهل الذمة

(1) كتاب السلوك: 11/1- 12.

(2) لتفصيل ذلك ينظر الآداب العربية الإقليمية في النهضة الحديثة، محمود علي مكي: 241.

(3) ينظر نصيحة الملوك للماوردي: 118 وينظر حضارة العرب، متز: 479/2 وينظر ظهر الإسلام: 45/1. وهذا ما يسمى (بالتنافس التاريخي بين الأديان) لتفصيل ذلك ينظر: الثقافة العربية اليوم ومسألة الاستقلال الثقافي، محمد عابد الجابري: 13.

(4) القرآن الكريم – سورة البقرة – الآية 256.

ممن يرغب البقاء على ديانته القديمة، حيث لا يعترف بالطبقية، وسياسة الإسلام المتسامحة هذه أدت إلى بقاء الطوائف الكثيرة في داخل المجتمع الإسلامي على دياناتها القديمة ممن اطلق عليهم أهل الذمة، مما أدى إلى ظهور الطوائف فيما بعد وحصول الصراعات التي كان لها أبعد الأثر في تفريق الأمة [1].

وهنا يأسف أبو العلاء لأن الفهم يأتي مخالفاً لما تريده الديانات. فبدلاً من التسامح والتآلف والتعاون يكون التباغض، والتباعد والعداوات فيقول:

إنّ الشرائعَ ألقت بيننا إحَناً وأودعتنا أفانينَ العداوات [2]

هذه العناصر من الأمم المختلفة، وما يتبعها من عصبيات مذهبية وطائفية، من المسلمين واليهود والنصارى. كانت على أيام المعري حركات تموج بها الدولة الإسلامية تتعاون حيناً وتتفاعل حيناً، وتؤثر في السياسة وفي الدين والعلم، وما رافق ذلك من صراع، وأثر في الدين بكثرة الجدل، وتدخل السياسة في الأمور الدينية، وطلب الفتاوى من العلماء لما يعرض من مشاكل سياسية. وأثرت في العلم بما كان يحمله النصارى واليهود والفرس والهنود من علومهم التي قدموها إلى الأمة الإسلامية. وكان أبو العلاء ممن اطلع على هذه العلوم التي استفادت منها العقول العربية، وغير العربية من الأمم الأخرى التي قرب بينها العلم [3].

وإذا كان أبو العلاء قد أخضع لعقله المجرد، من التساؤل والارتياب حول بعض الأمور، وسببت له القالة، فإنه ليس علينا الخوض فيها، ونحمل ذلك ((بأنه لم يرد بالذم الديانات نفسها، بل أراد منتحليها والمتاجرين بها)) [4].

أما حقيقة الأديان السماوية كلها خير فيقول:

والخير لا يكفَرُ، فليُحسنِ المسـ ـلمُ والصّابيءُ والهائدُ [5]

---

(1) ينظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام – د. محمد علي أبو ريان: 137 وينظر: ضحى الإسلام: 205/3.

(2) اللزوميات: 228/1 ومثل هذا المعنى ينظر م. ن: 218/2.

(3) ينظر ظهر الإسلام: 87/1– 89 ولتفصيل القول حول الجدل والمناظرات ينظر البلاغة تطور وتاريخ: 30.

(4) أبو العلاء المعري – نسبه واخباره – شعره ومعتقده – أحمد تيمور باشا: 125.

(5) اللزوميات: 344/1.

وأراد الدكتور طه حسين الدفاع عن المعري من التهمة التي علقت به ولكنه قال أيضا ((ولكنه مع ذلك لم يمتنع عن إنكار شيء من أحكام الشريعة والاعتراض عليها، فقال في إنكار الدية وقطع يد السارق)) [1]. وابن عساكر كفانا الرد فيقول: ((إذا تأملت الأمر بعين متدبر وجدت المعري قد أورد سؤالاً، ولم يكن في مقام الاعتراض على الشرع، ثم أبرز السؤال في مقام التهويل كما شأن الملغزين فأبان أن هنا تناقضاً ولكن لا يليق بنا أن ننسبه إلى المخالفة بدليل قوله وأن نعوذ بمولانا من النار. ثم فسره بأنه لأي حكمة كانت دية اليد إذا قطعت، خمسمائة دينار، ثم إذا سرقت ربع دينار تقطع ويكون قطعها هدراً)) [2] وأبو العلاء نفسه في الدفاع عن هذين البيتين يعلق على قوله تناقض مالنا إلا السكوت له، بقوله: ((وهذا قول مستنبط من الكتاب العزيز لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {المائدة:38} [3].

ومع أن القول الثبت للمسلمين، إلا أنه يصف جانباً من آراء هذه الأديان:

ثلاثة أيامٍ لأهلِ تنافرٍ	ولكنّ قول المسلمين هو الثّبتُ
يرى الأحدَ النصريُ عيداً لأهله	وجمعتنا عيدٌ لنا ولك السَّبت
وما النَّاسُ إلا خالفٌ بعد سالفٍ	كذلك نبتُ الأرض يخلفه النّبتُ
إذا افتكر الإنسان في أمر دينه	بدا نبأٌ يثني الحِجى وبه كبْتُ [4]

فالناس قد يفسرون الشرائع في ضوء مصلحتهم، وربما فيه افتراء على الرسل والأنبياء وذكر المعري اليهود لتحريفهم التوراة، وكانوا ينظرون في الإسلام خطراً عليهم وينسخ دينهم فيقول: ((فافتروا الأحاديث وكثروا بها من السفلة وأهل الجهل)) [5] وربما دخلت من كتب اليهود والنصارى أو حسب أهواء أهل الفرق في

(1) تجديد ذكرى أبي العلاء: 292 وذكرنا البيتين في المبحث الأول من هذا الفصل لدوافع خروجه من بغداد.

(2) تهذيب تاريخ دمشق الكبير للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 544 هـ) هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران: 13/1.

(3) زجر النابح: 109.

(4) اللزوميات: 194/1 وينظر.

(5) الصاهل والشاحج: 306.

كتبهم ((وإنما تلك أكاذيب تحدث بها أهل الكتب من اليهود والنصارى)) [1] وقد يعتقد هؤلاء أنهم على صواب ولعلهم على خطأ:

والعقلُ يعجَبُ والشّرائعُ كلّها ... خبرٌ يقلّدُ لم يقسْهُ قائسُ
متمجسونَ ومسلمونَ ومعشرٌ ... متنصرونَ وهائدونَ سائسُ
وبيوتُ نيرانٍ تُزار تعبداً ... ومساجدٌ معمورةٌ وكنائس
والصابئونَ يُعظمون كواكباً ... وطباعُ كلّ في الشرور حبائسُ
أنّى ينالُ أخو الديانةِ سؤدداً ... ومآربُ الرّجلِ الشريف خسائسُ؟
وإذا الرئاسةُ لم تُعنْ بساسيةٍ ... عقليةٍ خطئَ الصّوابَ السائسُ [2]

والإسلام كان أكثر تسامحا من طوائف النصارى من الدولة الرومانية الشرقية فكان يسمح للنصارى بممارسة طقوسهم الدينية والاحتفال بأعيادهم ومعالجتهم في مصحات المسلمين ودفنهم في مقابرهم، وأباح الله للمسلمين أن يتزوجوا المسيحيات واليهوديات. وفي رسالة الصاهل والشاحج تحدث المعري عن جانب من طباع النصارى [3].

وعن اليهود يقول المعري:

يا آلَ يعقوبَ ما توراتُكم نبأٌ ... من وَرْى زندٍ ولكن ورى أكبادِ
إن كانَ لم يَبدُ للأغمارِ سرُّكمُ ... فإنَّهُ ليَ في الكنانةِ بادِ
لقد - بأمرٍ كلّهُ كذبٌ ... على تقادُمِ أزمانٍ وآبادِ
رابني أنَّ أحباراً لكم رَسخوا ... في - ليسوا على حالٍ بعُبّادِ [4]

(1) م. ن: 249.

(2) اللزوميات: 32/2 (رسائس: الواحد رسيس: خبر لم يصح) ومثل هذا المعنى ينظر: 95/1 و213/1.

(3) ينظر الصاهل والشاحج: 490 وينظر الحيوان للجاحظ: 71/1. وينظر الديارات لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي (ت 388 هـ)، تحقيق ونشر: كوركيس عواد: 3.

(4) اللزوميات: 380/1 وينظر: 604/2 و 609/2 و 197/2، 363.

واليهود في نظر مسيحي أوربا هم أعداء المسيح وقتلته [1]. واليهود على خمس فرق [2].

ومما يشير إلى أن المعري اطلع على هذه الديانات حيث يذكر كثيراً من خصائصها، فعلى سبيل المثال يستغرب من اليهود لأنهم يجعلون من العقم عذراً للطلاق بينما هو محفز للإمساك [3]. ويصف تصوراتهم الخاطئة فيقول:

فِكَرٌ حسَّنَتْ لقومٍ أموراً ... فاستجازوا التَّهويدَ والتَّمجيسا [4]

كما أشار إلى العداء بين النصارى واليهود في رسالة الصاهل والشاحج[5]، وأكد ذلك في اللزوميات [6] ويحذر من قبول الحكم في التوراة:

ولا تقبَلْ من التوراةِ حُكماً ... فإن الحَقَّ عنها في تَوارِ [7]

ويصور أبو العلاء طبيعة اليهودي المستغل، ويحتفظ في ذاكرته ما تعرضت له حلب من هجمات الروم. وامتدح أهل المعرة في قضية الماخور الذي تعرضت له المرأة المسلمة [8].

---

(1) ينظر البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، د. يوسف الحسن: 19.

(2) وهي السامرية: لا يجعلون حرمة لبيت المقدس. ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى (عليه السلام)، وبعد يشوع (عليه السلام). فيكذبون بنبوة شمعون. وداود وسليمان وأشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم. ولا يقرون بالبعث البتة. وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها. والصدوقية:نسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين بني سائر اليهود أن العزير هو ابن الله. والعنانية:وهم أصحاب عانان الداودي اليهودي وتسميهم اليهود العراس والمس وقولهم أنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء (عليهم السلام)، ويتبرأون من قول الأحبار ويكذبونهم. والربانية: القائلون بأقوال الأحبار. والعيسوية: وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني. رجل من اليهود وكان بأصبهان واسمه محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم. ومحمد (صلى الله عليه وسلم). ينظر:.الفصل في الملل والنحل: 98/1، وينظر: صبح الأعشى: 260/3 وهذه الفرق جميعاً تتميز بالشر والحقد ((أورثهم نفسية غريبة لم توجد في أمة، وانفردوا بخصائص خلقية كانت لهم = شعاراً على تعاقب الأعصار والأجيال منها الخنوع عند الضعف والبطش وسوء السيرة عند الغلبة، ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن علي الحسني الندوي: 45.

(3) اللزوميات: 396/2.

(4) م. ن: 38/2 ومثله 68/2.

(5) الصاهل والشاحج: 495.

(6) اللزوميات: 354/1.

(7) م. ن: 560/1 ومثله في المعنى: 588/1.

(8) ينظر الصاهل والشاحج: 459– 460، وينظر اللزوميات: 354/1.

أما المجوس فقد ظهر فساد دينهم فيقول:

سألنا مجوساً عن حقيقة دينها ... فقالت: نعم لا تنكحُ الأخواتِ
وذلك في أصل التَّمجسِ جائزٌ ... ولكنْ عددناهُ من الهفواتِ
ونأبى فظيعاتِ الأمور ونبتغي ... سُجوداً لنور الشَّمسِ في الغَدواتِ [1]

ولكنه يقول أيضاً:

أقرَوا بالإلهِ وأثبتوهُ ... وقالوا: لا نَبيٌّ ولا كتابُ
ووطءُ بناتنا حِلٌّ مباحٌ ... رويدَكُمُ فقد بَطَلَ العتابُ
تمادَوا في العتاب ولم يتوبوا ... ولو سمعوا صليل السيف تابوا [2]

لذلك يجمع صفات أصحاب هذه الديانات في عدم الهداية واستمرارهم على الضلالة [3].

ويشير المعري إلى الذين أشركوا بقوله:

وبالجِدْ زار اللّات أهلُ ضلالةٍ ... وعُظّمَتِ العُزّى، وأُكرِمَ باجرُ [4]

وبأسلوب فريد استطاع أن يجمع أسماء الأصنام بهذه العبارة: ((منْ عَبَدَ وَدّاً لم يجد عندَ اللهِ وُدّاً، والدُّسْرُ لمُعْظِم نَسْرٍ وصاحبُ سُواعٍ ليسَ بواعٍ، ما أغاثَهمْ يَغُوثُ، بل عَوَّقَ خَيْرَهُمْ يَعُوقُ، وأذَلّتِ العُزّى – وهي ذَليلةٌ – مَنْ جَعَلَها مِنَ الطّاغوتِ ولاتَتِ القَوْمَ اللّاتُ))[5].

---

(1) اللزوميات: 224/1.

(2) م. ن: 99/1.

(3) ينظر اللزوميات: 301/2.

(4) اللزوميات: 422/1 (الجد: ضد الهزل، اللات والعزى وباجر: آلهة خرافية كان يعبدها العرب).

(5) الفصول والغايات: 148 (الدسر: الطعن والدفع الشديد. الطاغوت: اسم لكل ما يعبد من دون الله وهو يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ولاتت القوم اللات: نقصتهم حقوقهم وظلمتهم. واللات: أخت العزى من الأصنام).

أم البراهمة فهم جماعة بالهند، ولهم علامة تميزهم، وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها، تقلد بالسيوف. يقول ابن حزم: وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا. إلا أنهم أنكروا النبوات. وعمدة احتجاجهم في دفعها، أن قالوا لما صح أن الله عز وجل حكيم، وكان من بعث رسولاً إلى من يعلم أنهم لا يصدقونه (فهذا من العبث لذلك وجب نفي بعث الرسل لنفي العبث عن الله، وقالوا أيضاً أن إرسال الرسل إلى الناس ليخرجوهم من الضلال إلى الإيمان فلماذا لم يكن ذلك مباشرة بأن يضطر العقول إلى الإيمان به قالوا فبطل إرسال الرسل [1]. وعرفوا بعدم شرب الخمر والأنبذة[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن الأنباري وصف المعري:: ((أنه كان برهمياً)) [3] ولعل هذا الحكم يأتي لأنه لم يأكل لحوم الحيوانات وقد أشرنا لهذا الموضوع في المبحث السابق فقد عرف المعري بارتيابه بهذه المذاهب.

وفضلاً عن اطلاع المعري على هذه الديانات المختلفة فإننا نجد في رسالة الغفران ومن خلال مشاهد يوم القيامة والجنة والنار يتطرق المعري إلى ما يعتقده المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى في الحساب والبعث والنشور وكذلك في معرض إجابته عن رسالة ابن القارح ذكر الزنادقة والملحدون والدهرية ومدعي الألوهية. الأمر الذي يدل على اطلاعه الواسع. وان هذه الديانات وهذه الأهواء والآراء كانت تشكل مصدراً مهماً في فكر المعري ونذكر على سبيل المثال قوله: في معرض إجابته لابن القارح:

((وأمّا غيظهُ على الزنادقةِ والملحدينَ فآجرهُ اللهُ عليه كما آجرهُ على الظّماء في طريق مكةَ واصطلاءِ الشمسِ ((بعرفة)) بالمزدَلفةِ، ولا ريبَ أنهُ ابتهلَ إلى اللهِ سبحانهُ في الأيامِ المعدوداتِ والمعلوماتِ، أن يثبتَ هضابَ الإسلامِ، ويقيمَ لمن اتّبعهُ النيِّرَ من الأعلامِ. ولكنَّ الزندَقةَ داءٌ قديمٌ، طالما حلم به الأديمُ. وقد رأى بعضُ الفقهاءِ، أنَّ الرجلَ إذا ظهرتْ زندقتهُ ثمّ تاب فزعاً من القتلِ لم تُقبلْ توبتُهُ، وليس كذلك غيرُهم من الكفارِ لأنَّ المرتدَّ إذا رجعَ قُبِلَ منهُ الرجوعُ... وقد كانت ملوكُ فارسَ تقتلُ على الزندقةِ،

---

(1) الفصل في الملل والنحل: 69/1،وينظر: صبح الأعشى: 300/13.

(2) ينظر المسالك والممالك لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت حوالي 300 هـ): 71.

(3) نزهة الألباء: 59،وينظر معجم الأدباء – تعريف: 76.

والزنادقةُ همُ الذين يسمونَ الدهريةَ لا يقولونَ بنبوةٍ ولا كتابٍ)) [1] ويضيف في مكان آخر: ((وذكرَ صاحبُ (كتاب الورقةِ) جماعةً من الشعراءِ في طبقةِ (أبي نؤاس) ومن قبلهُ، ووصفهم بالزندقةِ، وسرائر الناسِ مغيبةٌ وإنما يعلمُ بها علامُ الغيوب. وكانت تلك الحالُ تُكتمُ في ذلك الزمان خوفاً من السيف، فالآن ظهرَ نجيثُ القومِ، وانقاضت التريكةُ عن أخبث رَألٍ)) [2] ثم يذكر المعري صالح بن عبد القدوس الذي شهر بالزندقة[3] فيقول عنه: ((ولم يُقتلْ – واللهِ العلمُ – حتى ظهرتْ عنهُ مقالاتٌ توجبُ ذلك... وقد كان لصالح ولدٌ حبس على الزندقةِ حبساً طويلاً... وأما رجوعه عن الزندقةِ لما أحس بالقتل، فإنما ذلك على سبيلِ الخَتْلِ)) [4] وأورد العمري أشعاراً لأبيه عبد القدوس وكذلك لولده، تؤيد ما ذهب إليه من تعليق.

وفي مسألة الإلحاد، فقد ذم الملاحدة [5] ومن جملة ما قاله في هذا الموضوع: ((فلما ضربَ الإسلامُ بجرانِهِ، واتسقَ ملكهُ على أركانِهِ، مازجَ العربُ غيرهم من الطوائف، وسمعوا كلام الأدباء وأصحاب الهيئة وأهل المنطقِ فمالت منهم طائفة، كثيرة. ولم يزل الإلحادُ في بني (آدم) على ممر الدهور حتى أن أصحاب السير يزعمون أن آدمَ صلى الله عليه وسلم بُعثَ إلى أولاده، فنذرهم بالآخرة وخوفهم من العذاب فكذبوه وردُّوا قوله. ثم على ذلك المنهاج إلى اليوم)) [6].

وعن أدعياء الألوهية وأثر التنشئة البيئية في التوجيه الديني يقول ((التألُّه موجودٌ في الغرائز يحسب من الإلجاء الحرائز ويلقن الطفلُ الناشئ ما سمعه من الأكابر. فيلبثُ معه في الدهر الغابر. والذين يسكنون في الصوامع والمتعبِّدون في الجوامع يأخذون ما هم عليه كنقلِ الخبرِ عن المخبرِ لا يميزونَ الصدقَ من الكذبِ لدى المعبِّر، فلو أنَّ بعضهم ألفى الأسرة من المجوس لخرج مجوسياً أو منَ الصابئة لأصبحَ لهم قريناً سيّاً ؟ وإذا المجتهدُ نكب عن التقليد فما يظفرُ بغير التبليد وإذا

(1) رسالة الغفران: 428 – 429.

(2) م. ن: 432 (كتاب الورقة من تصانيف محمد بن داود بن الجراح سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء لكل شاعر ورقة لا يزيد عليه (نجيث: السر الخفي. والتريكة: بيض النعام التروك بعد خروج الفرخ منها. رأل: ولد النعام) وقد عاب على أبي نؤاس بقوله: ((تيه مغن وظرف زنديق)).

(3) وهو شاعر مجيد كان يجلس بمسجد البصرة للوعظ ثم اتهم بالزندقة فحمل إلى المهدي فضربه بالسيف فشطره شطرين.

(4) الغفران: 436 – 437. وذكر الدارمي ((أن علياً رضي الله عنه قتل الزنادقة ثم أحرقهم)) ينظر: الرد على الجهمية للإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت 280 هـ) ج. و. بريل ليدن: 99 وينظر المسالك والممالك: 312.

(5) ينظر اللزوميات: 609/1.

(6) رسالة الغفران: 420 – 321.

المعقولُ جُعل هادياً، نقعَ بريِّه صادياً، ولكن أين من يصبرُ على أحكامِ العقلِ ويصقلُ فهمه أبلغَ صقل؟ هيهات)) [1] وبعد فليس من هدف البحث أن نقف على البيت أو البيتين لما تحمله من معان ظاهرة ونحكم بخروجه عن تعاليم الشريعة فلعل ذ لك من باب التساؤل أو الحيرة ويعلق نديم الجسر على الأبيات التي تحمل مفاهيم توحي بالخروج عن الشريعة بقوله: ((ما قالها إلا تنفيساً لكربة من كرب الحياة لا يصح أن تكون وحدها، أساساً للحكم على رأيه في الإيمان والكفر. بل يجب أن نجمع كل ما قاله الشاعر، في هذا الباب، وننعم النظر فيه،لنصل إلى رأيه الصحيح القاطع)) [2].

ومهما يكن من أمر فالموضع الديني يشكل مصدراً من مصادر الفكر السياسي لأبي العلاء المعري كما تبين لنا من هذا المبحث.

(1) م. ن: 464 (الإلجاء: جمع لجأ وهو الحصن والملاذ) ومثل هذا المعنى ينظر اللزوميات: 601/2 وعن التأله ينظر اللزوميات: 2/6– 8.

(2) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن – نديم الجسر: 114.

المبحث الخامس
أعلام الفكر

انتقلت قيادة الفكر على أيام المعري، من الشعر إلى الفلسفة، عندما انتشرت كتب الفلاسفة الكبار، ومن الفلسفة إلى السياسة عندما انتشرت الخلافات بين الفرق والطوائف وأصحاب الديانات.

وتأسيساً على ما تقدم في المباحث السابقة فالمعري لم يتخذ مذهباً معيناً، بينما كان اطلاعه واسعاً على العلوم والثقافات.

هذا الاطلاع على ما يبدو من خلال دراسة آثار المعري يدل على أنه كان اطلاعاً دقيقاً محققاً. فهو كثيراً ما يردد في قوله على اليونان مثلاً: (يزعمون) و(اذكر دعواهم)[1]. فقد درس هذه العلوم والثقافات لأعلام الفكر درساً متقناً. وكان يقف على الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، ويمعن فيها تفكيره، ويبحث فيها بحث مدقق مستقص [2]. فكان لفكره ((كمفكر حر)) [3] سمة مميزة تقترب من التدقيق العلمي أكثر من اقترابها إلى الأدب، ولها روح مميزة أيضاً نلمسها في مضمون كتاباته التي يشوبها التساؤل المستمر، كلها ((نعي للعالمين على ظلمهم وتنافرهم ومكر بعضهم لبعض)) [4].

فهل كان يقترب المعري بأفكاره من سقراط أو من افلاطون ؟ أو من أصحاب أرسطاطليس ؟ أو من جماعة الرواق ؟ أو من أصحاب أبيقور ؟ أو من مدرسة بقراط ؟ [5].

---

(1) الصاهل والشاحج: 544.

(2) ينظر الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره: 1245/3.

(3) كما يصفه المستشرق غولد تسهير، ينظر كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 146.

(4) الفصول – عباس محمود العقاد: 10.

(5) ينحي الإمام الغزالي باللائمة على الذين يقلدون هؤلاء. داعيهم حب التشبه بالحكماء والتحيز إلى غمارهم. ينظر: فضائح الباطنية للإمام الغزالي: 35. (والرواقيون عندهم الغاية من الفلسفة أن تكون الفلسفة عملية وهي الأخلاق، وأن يفعل الإنسان وفقاً لقوانين العقل).

-(وأصحاب أبيقور) فقد غلوا في هذا الاتجاه إلى أقصى حد. فأنكروا على الإنسان حق الاشتغال بالعلم من أجل العلم. لأن العلم من أجل العلم لا يفيد شيئاً إذا لم يكن تحته عمل أو إذا لم يكن مؤدياً إلى السعادة عن طريق العمل والتطبيق) ينظر خريف الفكر اليوناني – عبد الرحمن بدوي: 11 و 51.

كل ذلك لا نستطيع أن نقوله، لأنه ((كان من هؤلاء جميعاً، يأخذ من كل فريق منهم ما يرضيه وما يلائمه في اللحظة التي يفكر فيها)) [1] لتأثير المفكرين الأحرار فيه كما يقول المستشرق كليمان هيوارت [2]. وفي الجملة هذا صحيح لأن فكر أبي العلاء لا ينتمي إلى فكر أمة من الأمم، وإنما هو مزيج من أفكار علماء الفكر اليوناني. فنجده يتحدث بلهجة الواثق عندما يتحدث – مثلاً – : ((واليونانية تجمع في أشعارها بين الساكنين في غير آخر البيت وكذلك غيرها من الأمم ما خلا العرب)) [3]. وكذلك لحكماء من الفرس والهند وبروح عربية إسلامية كما نجد عند الفارابي وابن سينا فلا نستطيع أن ننكر ما لهذه الفلسفات من تأثير، فهي مصادر أمدته في تشكيل الرؤيا في أفكاره.

وإذا كان المعري قد قصر عما وصل إليه هذان العالمان من تعمق بعض النظريات، أو من إقامته المذاهب الفلسفية المنظمة المضطردة التي لا يفسدها الاضطراب والاختلاف كما يقول الدكتور طه حسين [4]. فذلك لأن المعري لم يقصد التخصص في أقواله ولو أراد تنظيم أفكاره في مجال من المجالات لاستطاع، والدليل ما كتبه عن الدرعيات والسيف والمرآة واللغة، وألف كتاب السجع السلطاني يشتمل على مخاطبات الجنود والوزراء وغيرهم من الولاة [5] وكتاب الصاهل والشاحج الذي كتبه لعزيز الدولة والي حلب (ت 413).

ولعل ما نهدف إليه في هذا البحث هو استخلاص فكر أبي العلاء لجانب من جوانب آثاره الفكرية وهو الفكر السياسي. لذلك نجد الدكتور طه حسين يستدرك أمراً آخر في نفس الموقف ويقول: ((ولكنه قد تفوق على هؤلاء الفلاسفة لأنه استنزل الفلسفة من معاقلها وأحياها في البيئة التي يعيش فيها الناس، وجعلها إنسانية، لا تبلغ القلوب فتشيع فيها الحب والرحمة والحنان. كما تشيع فهيا السخط والثورة والغضب)) [6] لأن من جملة ما كتبه أبو العلاء يأتي ((أثرا من آثار النظم السياسية في

---

(1) المعري شاعر أم فيلسوف-طه حسين (الهلال 46): 849 وينظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار: 427/1.

(2) ينظر كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 163.

(3) الصاهل والشاحج: 200.

(4) المعري شاعر أم فيلسوف، طه حسين: 849.

(5) ينظر تعريف القدماء: 450.

(6) المعري شاعر أم فيلسوف، طه حسين: 849.

عصره)) [1] كما يرى أحمد أمين ويؤيده في ذلك أنيس المقدسي [2]. فكان لذلك شاعرا متمردا من وجهة نظر جبران خليل جبران[*] فاخرج للناس" من وحي فكره الحر آيات بينات" [3] كما يقول خليل مطران وبلغ من " سعة الفكر وعمق الغور وحدة الذهن اقصى ما يبلغه انسان" [4] فكان" الفكر الانساني كله بوجه اعم"[5] وهناك من يعده " زعيم المفكرين الاحرار" [6]. اومن هذه القلة الضئيلة التي يمتاز بها الأدب العالمي الرفيع على اختلاف العصور" [7]. وكل ذلك بعد انسحابه من المجتمع. هذا الانسحاب الذي يعده زكي مبارك" قرار المناضل الذي تعب من النضال... " لأنه ناضل من اجل امته"[8]. ويُعد المعري عند الدكتور شوقي ضيف" قطب من أقطاب التفكير في العالم" [9]. فإذن من " العدل ان نجعله مع سقراط والقديس اغسيطنوس والغزالي وتوما الاكويني طبقة واحدة " [10] مثلما يقرر عمر فروخ او هو " صاحب فلسفة في تشكيل الحياة وتوجيهها وهو شبيه بتولوستوى" [11] كما يقول آدم متز. واذا لم يكن كل ذلك ممكنا على وجه الدقة. اولا نستطيع ان نؤيد هذه الاحكام لمستلزمات البحث العلمي. فيبقى من حق الرجل علينا اذن ان ندعه يتكلم ويدافع عن نفسه. من اجل ان نستخلص هذا الفكر من غير تزويق او رتوش ومن غير ان نسقط ظلالا معتمة على فكر ابي العلاء فيكون الحكم احيانا من خلال بعض المواقف على الادب جملة بانه متشائم. فعلى سبيل المثال عندما يذكر ابو العلاء الحية في كتاباته. لم نجد له تفسيرا ايجابيا من الباحثين [12] سوى السواد والظلام والليل والويل والخوف والعقد والحقد

---

(1) نظرة أبي العلاء إلى العالم – (الهلال – 46): 858.

(2) بيئة المعري وأثرها في شعره، م. ن: 962.

(*) أبو العلاء – (الهلال – 46): 887

(3) معاناة المعري في الشعر العالمي – م.ن: 905.

(4) عبث الوليد: 10.

(5) النقد واللغة في رسالة الغفران – الدكتور أمجد الطرابلسي: 105.

(6) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام – بندلي جوزي (القدس 1928) عن كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 115.

(7) صوت أبي العلاء: 6– 7 وينظر روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة – إلياس ~أبو شبكة: 35.

(8) هل كان المعري يكره الدنيا – زكي مبارك (ا لهلال 46): 891 – 892.

(9) في النقد الأدبي: 192.

(10) حكيم المعرة: 38.

(11) الحضارة الإسلامية – متز: 136/1– 137.

(12) مثل أحمد أمين – (الهلال 46): 858 وعبد الله العلايلي في المعري ذلك المجهول: 57 واطلعت على بحث للدكتورة نادية غازي جبر في مجلة المرود ع 26 سنة 1998: 26/2 فيه إشارة غلى رمز ذكر الحية تقول: (المندفع عميقاً صوب تعذيب النفس والجسد والتلذذ بهذا التعذيب...).

والنكد. بل ذهب الدكتور احسان عباس بان ذكر المعري للحية هي رمز شهواني "يشير الى الخوف من الشهوة وابتعاد عنها او الى ضعف جنسي "[1] وفي مقابل ذلك نذكر على سبيل المثال أيضاً قول جالينوس معلقاً على رسم صورة الحية حول العصا فيقول: ((لأنها من بين الحيوان أطولها عمراً، فجعل ذلك مثلاً للعلم الذي لا يدثر ولا يبيد))[2] ومثل ذلك ينقل ابن أبي أصيبعة كلاماً كثيراً في إيجابيات هذه الصورة للحية منه: ((أنه حيوان حاد النظر كثير السهر لا ينام في وقت من الأوقات وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب أن لا يتشاغل عنه بالنوم ويكون في غاية الذكاء))[3].

وفيما يتيسر لنا من مصادر ومراجع لم نجد من الباحثين العرب من يفسر اهتمام المعري بالحية بشئ قريب أو بعيد من هذه التأويلات.

وأسعى من هذا التفصيل لا شير إلى أمرين اثنين، أولهما: أن المعري يقدّر أعلام الفكر حق قدرهم فامتدحهم بشعره[4]. كما امتدح كتبهم فيقول:

كتبٌ لطافٌ عليهم خَفَّ محمَلُها ... لكنَّها في شفاء الدَّاء أطوادُ[5]

ولكنه كثيراً ما يعارضهم في الرأي فيقول مثلاً ((لو صح ما قال أرسطاليس...))[6] ويعدهم في كل الأحوال بشراً[7] وهم لا يقدمون ولا يأخرون[8].

وثانيهما: وهو غاية ما نهدف إليه من البحث، بأن نجعل فكر أبي العلاء عند نهاية الأمر، في مصاف جملة الأفكار لأعلام الفكر، الذين نستعرض بعضاً منهم من الزاوية التي تهمنا من غير مقارنة شاملة مع المعري، حتى لا نخرج عن دائرة البحث فقد

---

(1) من الذي سرق النار – د. إحسان عباس: 410.

(2) طبقات الأطباء والحكماء – أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل (ألف كتابه 377 هـ) تحقيق فؤاد سيد: 12.

(3) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين ابن أبي أصيبعة – تحقيق نزار رضا: 35.

(4) اللزوميات: 255/2.

(5) تعريف: 397 (لا يوجد في الديوان).

(6) اللزوميات: 219/2. وينظر مفهوم الشعر – د. جابر أحمد عصفور: 165.

(7) اللزوميات: 111/2.

(8) م. ن: 98/1.

كان لهؤلاء الأعلام ((أعظم الأثر في تكوين أمة بأسرها وفي تصوير النظم السياسية والاجتماعية والدينية)) [1] ومن هؤلاء:

سقراط: (469 – 399 ق.م):

يوناني الأصل، وهو شيخ إفلاطون، والسمة الغالبة عليه الفلسفة والنسك، ولم يبن داراً ولا اتخذ مسكناً ويأوي لغرض المبيت إلى (دن) ويشتمل في كساء لا يغيره، وكان لا يتردد عن الموعظة والنصح. فعندما مر به الملك وعظه سقراط فقال له الملك: ((ما اقبح صورتك؟ فقال له سقراط ليس ذلك إليّ، ما كان إليّ تتميمه فقد تممته. يعني من أخلاق النفس فقال له الملك لو أتيتنا أعطيناك. فقال سقراط: ما أراك تخدعني إلا بلعاب الدود، وأحجار الأرض وموجودات الصدف. إنما في العلا لأفضل من ذلك. قال الملك: أنت عبد لي، قال له سقراط: وأنت عبد عبدي. قال له الملك وكيف ذلك ؟ قال له سقراط، لأني رجل أملك شهوتي المؤذية. وأنت رجل تملكك شهوتك، فأنت عبد عبدي. قال له الملك فما حملك على اتخاذ الدن والسكون فيه؟ قال له سقراط: قطعت على نفسي مؤنة كل دار.قال له الملك فإن انكسر الدن ؟ قال سقراط إن انكسر الدن لم ينكسر المكان. فانصرف عنه الملك وقد دحضه)) [2].

وكان لهذا الموقف الذي يوضح لنا طبيعة سقراط. حياته وفكره أن يدفع ثمنه. ويرحب سقراط بالموت قائلاً ((الموت ليس بشر لكنه خير. إذ حالة الإنسان بعد الموت أتم))) [3] فقتل [4].

وفي حياته طلب تلامذته أن يدون لهم علمه في المصاحف فكان يقول: ((ماكنت لأضع العلم في جلود الضأن))[5] وكثيراً ما يحذر تلامذته من الدنيا ومن

---

(1) قادة الفكر – د. طه حسين: 11– 12 وما بعدها. وفي مجال الفكر والمترجمين (لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير وتأويل) ينظر تهافت الفلاسفة – للإمام الغزالي – تحقيق الدكتور سليمان دنيا: 77. فيقول الغزالي (فلا مشاحة في الأسامي بعد ظهور المعنى... وإنما المعنى بالفعل والصنع ما يصدر عن الإرادة الحقيقية وقد نفيتم معنى الفعل أو نطقتم بلفظه تجملاً بالإسلاميين...) ينظر المصدر نفسه: 13 والغزالي يريد الكشف عن التلبيس إن وجد. فالفكر شئ والشريعة الإسلامية شئ آخر.

(2) طبقات الأطباء والحكماء: 30– 31.

(3) م. ن: والصفحة.

(4) ينقل ابن أبي أصيبعة مشهد نهاية سقراط وكلماته الأخيرة ومحاورته مع تلاميذه ينظر م. ن: 74– 75.

(5) م. ن 31.

كل الشهوات وهنا يقترب منه أبو العلاء. فسقراط أعرض عن الملاذ والشهوات، وخالف قومه في عبادتهم الأصنام وقابل رؤساؤهم بالحجاج [1] واعتقد أن ((القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عن الله عز وجل)) [2]. والمعري مثل سقراط من محبي الحكمة يميلون إلى اعتزال الجمهور [3]. وهناك من عرّف سقراط بمدخل من شعر أبي العلاء لتقريب الترجمة [4].

وفي هذا الوقت انفتح أمام أثينا ميدان واسع للسياسة، ورافق ذلك تقديس العقل والفن. وكانت أثينا حاضرة الفكر والعلم والأدب. فاعتمد سقراط منهج ((الحوار الاستنباطي القائم على التهكم)) [5] ومرة أخرى يشابه أبو العلاء هذا التوجه. لكن ((سقراط يبدأ حواره بتصنع الجهل والتظاهر بالتسليم بأقوال من يحاوره، بل يزعم أنه إنما جاء يتلقى العلم عنه)) [6] حتى يصل في النتيجة إلى إفحام من يحاورونه وهزيمتهم وبسخريته اللاذعة يصل إلى الحقائق التي يهدف للتوصل إليها (ومع السخرية كان يحرص على تحديد كلماته وألفاظه ليحقق ما يتمناه من خير للبشرية. كما اهتم سقراط بالعقل والخطوات العلمية في البحث، حتى في موضوع الأخلاق، ومعنى هذا ((إن الأخلاق عند سقراط من حيز العقل لا من حيز الدين أو التقاليد. فلكي نتحقق بالأخلاق الفاضلة يجب أن نتحقق بالعلم والمعرفة... فهناك إذن وحدة بين العلم والفضيلة وهذا هو لب الأخلاق السقراطية)) [7] التي أراد أن يوظفها لخدمة الحق والعلم والفضيلة واجتماع الناس. وكان من أجل هدفه لا يهاب أحداً ويقول كلمة الحق من غير أن يجعل من نفسه قائداً للجماهير ويمارس دور السياسي فلم يطلب المال ولا الجاه ولا المناصب وكان همه أن ((يعلم أمته فن السياسة الحق)) [8] ولا تصلح هذه السياسة في اعتقاده ((إلا بما صلح به أولها وهو الفضيلة والعدل)) [9] وإذا كان هناك ثمة تشابه في الآراء بين أبي العلاء وسقراط فإنه ثمة

---

(1) ينظر اللزوميات: 98/1.

(2) طبقات الأطباء والحكماء: 31.

(3) ينظر تاريخ العلم – العلم القديم في العصر الذهبي لليونان – تأليف جورج سارتون، ترجمة لفيف من العلماء وأشراف لجنة من لدكاترة إبراهيم بيومي مدكور وأخرون: 73.

(4) ينظر فكرة عن فلسفة سقراط – محمد أمين المفتي: المقدمة: 1.

(5) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ك 99.

(6) م. ن: والصفحة.

(7) م.ن: 104.

(8) سقراط – د. علي حافظ بهنسي: 72.

(9) م. ن والصفحة.

اختلاف، فأبو العلاء لا يحبذ الجدل بينما كان سقراط من السوفسطائيين وهذه الجماعة متهمة ببيع المعرفة وأبو العلاء ليس كذلك.

إفلاطون:

هو الفيلسوف اليوناني الشهير من العوائل الغنية العريقة في أثينا ((عالم بالهيئة وطبائع الأعداد... له في الفلسفة كتب وأشعار، وله في التأليف كلام لم يسبقه أحد إليه)) [1] ومع كونه شاعراً إلا انه لا قيمة للشعر عنده ((إلا إذا كان صادراً عن عاطفة مشبوبة وإلهام يعتري الشاعر، فيه ما يشبه النشوة الصوفية، أو وجد الحب. فلا تكفي الصنعة وحدها لخلق الشعر. إذا إن شعر المرء البارد العاطفة يظل دائماً لا إشراق فيه، إذا قرن بشعر الملهم، على أن هذا الإلهام لا ثمرة له إلا إذا كان صادف روحاً غير ساذجة طاهرة تمجد بأناشيدها الفضائل فتربى عليه الأجيال)) [2].

ولأنه تردد بين الشعر والسياسة، لا يعرف أيهما يختار ((فكان المخرج من هذه الحيرة حينما افتتن بسقراط، فأحرق قصائده وترك الناس وتبع شيخه الذي استولى على جميع مشاعره)) [3]. وتفرغ للتدريس على مدى أربعين عاماً. واتبع أسلوب الحوار لمواضيع فلسفته ومنها نظرية المعرفة وعالم المثل والطبيعة والنفس والأخلاق والسياسة. والمشكلة الكبرى عند إفلاطون، هي المشكلة السياسية. حيث لا يجد الفيلسوف مكاناً في المدينة الفاضلة. ويسأل الدكتور مرحبا كيف السبيل إلى المدينة الفاضلة على هذه الأرض الفاسدة ؟ فيجيب ((فليس عجيباً إذن أن يذهب إلى أن المدينة الفاضلة، إنما هي المدينة التي تتألف من أولئك الذين يعرفون. فالمعرفة هي الأساس الصحيح الأوحد للمدينة. فلا مدينة إلا بالعلم، ولا حكومة إلا حكومة العقل والفلسفة... ولكي نفهم التفكير السياسي عند إفلاطون يجب أن نعلم أولاً أن هذا التفكير متضمن في تفكيره الأخلاقي، فليست السياسة عنده سوى امتداد للأخلاق بل غاية الأخلاق عنده هي المدينة)) [4] ويعد الدولة بمثابة إنسان كبير، ويرى وجوب أن يتولى رئاسة الدولة فيلسوف لكي يتمكن من تحقيق العدالة التي ينشدها من جمهوريته المثالية لتسيطر على طبيعة النفس الإنسانية التي يقسمها إلى: النفس

---

(1) طبقات الأطباء والحكماء: 23.

(2) النقد الأدبي الحديث – د. محمد غنيمي هلال: 347.

(3) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: 112.

(4) م. ن: 142.

الناطقة، وهم طبقة الفلاسفة والعلماء، مثل معدن الذهب. والنفس الغضبية وهم طبقة الجند مثل معدن الفضة. والنفس الشهوانية وهم أصحاب المهن مثل معدن النحاس.

أما رئيس الدولة فعليه أن يضحي بكل ما يستطيع لخدمة البلاد والعباد. ولا يحب المال ولا الجاه ولا الزوج ولا الولد. وفي النتيجة يجعل المدينة على شكل هرم يقف على قمته الحاكم. وفي الوسط الجند وفي القاعدة أصحاب المهن والأعمال الأخرى فكلما علا مقام المرء كثرت واجباته وقل متاعه، فأقدار الرجال إنما تقاس بما يفرضون على أنفسهم من أعباء وواجبات[1] ويعمد على اكتشاف أحسن الكفايات البشرية وتطويرها بالتعليم والتدريب[2].

وربط إفلاطون في جمهوريته بين العلوم الطبيعية والبيولوجية وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والشعر والخطابة وكل نواحي السلوك الإنساني وجعل من كل هذا مذهباً عرف به ينبغي من ورائه العدالة والحكم الصالح [3].

وكان يرمز لحكمته ويسترها ويتكلم بها ملغوزة [4]. وسئل عند موته عن الدنيا فقال: ((خرجت إليه مضطراً، وعشت فيها متحيراً وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها إلا أنني لم أعلم)) [5] وهنا يقترب منه أبو العلاء [6].

ومن الموضوعات التي يخالفه فيها أبو العلاء موضوع المساواة في التعليم بين الجنسين [7]. فأبو العلاء لم يكن ((شديد الحرص على التقليد)) [8] أو ((كأنه بات في كهف إفلاطون)) [9] كما ذهب المحاسني. وقد ذكر أبو العلاء في محاورته الصاهل

---

(1) م. ن: 146.
(2) أصول الاجتماع السياسي: 94- 97.
(3) جمهورية إفلاطون – نظلة الحكيم ومحمد مظهر سعيد: 6.
(4) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 83.
(5) م. ن: 85.
(6) ينظر المبحث الأول من هذا الفصل وينظر أدب الغرب – مارون عبود: 299.
(7) ينظر العرب والتربية والحضارة – الاختيار الصعب – د. محمد جواد رضا: 59. وإفلاطون يتعدى تعليم المرأة إلى أن تحتل المناصب في الحكم. ينظر التوجيه الأدبي – طه حسين وآخرون: 61.
(8) كما ذهب عبد الحليم محمود السيد في كتابه الإبداع والشخصية: ينظر البناء اللفظي في لزوميات المعري: 126.
(9) أبو العلاء ناقد المجتمع: 15.

والشاحج إفلاطون في موضوع التناسخ [1] على أن أبا العلاء يلتقي مع إفلاطون في مفاهيم التكافل الاجتماعي وعدم الاستغلال [2] وهناك من يشبه في النتيجة أبا العلاء كإفلاطون وجمهوريته [3].

ارسطو (384 – 322 ق.م)

الفيلسوف والعالم والخطيب والطبيب، انتقل من عالم المثل الإفلاطوني إلى الواقع بأسلوبه المنطقي العقلاني المتدرج المتسلسل وكان يقول بالعقول تتفاضل الناس لا بالأصول [4]. ويعد السياسة امتداداً للأخلاق ويشكل ميز بينهما بطريقة أوضح من معلمه إفلاطون [5]، فهو ينشد الواقعية وخير الأمور أوساطها وفق قانون يسير عليه الحاكم والمحكوم، ليكفل الحق الذي يوصل المجتمع إلى الحياة الفاضلة [6] والدولة عنده شركة بين قوم يعيشون معاً لتحقيق أفضل حياة ممكنة، وأن يعرف الحاكم ما هو الأفضل نسبياً في ظل ظرف خاص. وهنا يبدو التميز بين الأخلاق والسياسة. فالأخلاق تبحث في الأقل والأمثل. والسياسة تعالج ما هو كائن فعلاً والطبع ((يدفع الناس بغرائزهم إلى الاجتماع السياسي)) [7].

وقد تحدث عنه المعري في معرض حديثه عن الشعر والخطابة [8] مما يدل اطلاعه على كتب أرسطو [9]. ولكنه لم يتول مناقشة الفلاسفة كما عند الغزالي مثلاً [10]. ويرى أرسطو اجتماع الجنسين للتناسل لأن الطبيعة ترمي إلى البقاء عكس المعري ويرى أن الجماعة السياسية تهدف إلى السعادة والفضيلة وليس العيشة المادية فقط [11]. والمدينة ليس إلا جماعة أحرار [12].

---

(1) الصاهل والشاحج: 194.

(2) ينظر العرب والتربية والحضارة – الاختيار الصعب: 177

(3) ينظر فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء – جميل صليبا – كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 225.

(4) عيون الأبناء في طبقات الأطباء: 87– 88و90.

(5) ينظر الشيخ الرئيس ابن سينا – عباس محمود العقاد: 54.

(6) الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره: 89.

(7) السياسة – أرطوطاليس: 103 وينظر أصول الاجتماع السياسي: 98– 101.

(8) ينظر :رسال أبي العلاء: 82 والصاهل والشاحج: 156 وشروح السقط: 10/1.

(9) ينظر الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز – مجيد عبد الحميد ناجي: 43.

(10) ينظر دراسات في الفكر الإسلامي – حسام محي الدين الآلوسي: 237.

(11) السياسة – أرسطو: 208– 209.

(12) م.ن: 203.

وأوصى أرسطو عند موته أن يدفن وتبنى عليه قبة مثمنة يكتب في كل جانب منها بكلمة من الكلمات الثمانية التي كانت تمثل شعاراً له. والتي يعلق عليها (ابن جلجل بقوله:وهي كلمات فلسفية سياسية [1]. لأن أرسطو ((يضع نصب عينيه نماذج حية من المآسي والملاحم اليونانية ولم يكن باحث نظري مجرد))[2]. ويقترب منه المعري أيضاً بأسلوب التهكم فقد كان أرسطو يهاجم رجال السياسة في موضوع الكوميديا[3]. وانفرد أرسطو باستعمال الرياضيات لتوضيح مبادئ علمه [4].

الفارابي:

– المعلم الثاني – (257– 339 هـ) درس الفلسفة في بغداد إلى جانب العلوم الأخرى ورحل عنها بسبب الاضطرابات السياسية واستقر في حلب مع سيف الدولة الذي أولاه رعايته وعنايته البالغة. لكن الفارابي كان يكتفي بأخذ أربعة دراهم فقط كل يوم ليواجه بها حياته المعاشية. فقد فضل الفقر والزهد والتقشف والتأمل والتفكير والعزلة وترك الزواج. على متع الحياة وملاذها ومكاسبها ومساكنها. وأعجب بالمواضيع السياسية التي كتبها إفلاطون. واستطاع هذا العالم أن يضع قواعد الفلسفة الإسلامية ويوفق بين الفلسفة والدين، ويعالج كثيراً من المواضيع في كتاباته ومنها السياسة [5]. فكان ((لفلسفة الفارابي طابع سياسي واضح ينفرد به دون غيره من سائر فلاسفة الإسلام... فالسياسة هي أهم ما في فلسفة الفارابي، وهي النتيجة التي تنتهي اليها اجزاء فلسفته والغاية التي تؤدي إليها، بطريقة طبيعية منطقية... وليس أدل على ذلك من سيطرة المقولات والمثل والمعاني المجردة على كل تفكيره السياسي واتجاهه الفلسفي... فمدينته الفاضلة مدينة غذاؤها التفكير، وسلطانها العقول المفارقة وحيزها عالم المثل))[6] وهي رد فعل لما يراه من الاضطرابات

---

(1) وهي: العالم بستاناً سياجه الدولة. والدولة سلطاناً تحجبه السفه. السفه سياسة يسوسها الملك. الملك راع يعضده الجيش. الجيش أعوان يكلفهم المال، المال رزق تجمعه الرعية، الرعية عبيد يتعبدهم العدل، العدل مألوف وهو صلاح العالم، ينظر طبقات الأطباء والحكماء: ابن جلجل: 26.

(2) فن الشعر – أرسطوطاليس – ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي: 43.

(3) في الأدب والنقد – د. محمد مندور: 39.

(4) ينظر: ايستمولوجيا أرسطو من خلال منزلة الرياضيات في قوله العلمي – أبو أيوب المرزوقي: 175– 181.

(5) ينظر: فلاسفة من الشرق والغرب: 157– 158 وينظر الفارابي سعيد زايد: 11. وكانت مؤثرات الفارابي بارزة في اثنين من رجال القرن الرابع الهجري هما الخوارزمي (ت 387 هـ) والتوحيدي (ت 400 هـ) وهما معاصران لأبي العلاء المعري. ينظر المصطلح الفلسفي عند العرب – الدكتور عبد الأمير الأعسم: 91.

(6) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: 459 وينظر:الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع: 54.

السياسية أمام عينيه بلغته، لغة الفلاسفة بعينها[1] ((وشبت الفلسفة الإسلامية))[2] على يده. ولكن هذا لا يكون إلا بالاعتماد على العدل والمساواة في المجتمع. وفي جميع الأحوال فإن ((المدينة في حاجة إلى نظام سياسي وقوانين تشريعية)) [3].

وعند ذلك فإن المدينة الفاضلة التي كتب عنها الفارابي ستظهر للعيان، ومع انتظارنا لظهورها، لا نعدم تأسيس مدينة فاضلة لأبي العلاء في نهاية البحث إن شاء الله.

---

(1) المصطلح الفلسفي عند العرب: 41.

(2) العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي – الدوميللي – نقله إلى العربية عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى – مراجعة د. حسين فوزي:.

(3) فلسفة الفكر الإسلامي – هنري سيروبا – ترجمة محمد إبراهيم: 85.

الفصل الثاني

واقع الفكر السياسي
من وجهة نظر
أبي العلاء المعري

واقع الفكر السياسي من وجهة نظر أبي العلاء المعري

المبحث الأول: السلطة الحاكمة

حينما فقدت الخلافة سلطتها الفعلية، في زمن أبي العلاء. بعد الغزو البويهي. وصار الأمر بيد هؤلاء المتسلطين الأجانب. فان مفاهيم الاختيار" وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" [1] قد اختفت في الواقع. الا إن الفكر بقي يؤكد هذه المفاهيم، ويرى في" إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ" [2] أساس الحكم، ومن حق الامة النقد والتوجيه.

وساعد هذا الوضع على قيام اكثر من ولاية في هذا الزمن [3]. لا تخضع للتوجيه الشرعي لقيام الدولة. وإنما ينطبق عليها مفهوم ابن خلدون في التغليب على السلطة، للوصول الى الحكم فضلا عن المسوغ الشرعي [4]. وهو مشروع الدولة في دار الإسلام مع استمرار الخلافة المركزية في الوضع القائم [5].

الرؤساء:

هذه التحويلات جعلت وضع الخلافة ينتقل من سيء الى أسوأ [6] واصبح تنصيب الخلفية وخلعه، بيد بني بويه [7]. وفشلت الفئات الحاكمة في اضعاف المعارضة والقضاء عليها [8].

---

(1) القرآن الكريم – سورة آل عمران – الآية: 159.

(2) القرآن الكريم – سورة النمل – الآية: 90.

(3) ينظر الاحكام السلطانية والولايات الدينية – الماوردي: 33– 34.
وينظر التكوين التاريخي للأمة العربية – دراسة في الهوية والوعي – د. عبد العزيز الدوري: 43– 45.

(4) ينظر مقدمة ابن خلدون: 154.

(5) ينظر: السلطة والمجتمع والعمل السياسي – الدكتور وجيه كوثراني: 36.

(6) ينظر: النظم الإسلامية – الخلافة، الوزارة، النظم المالية، النظم الإدارية – الدكتور عبد العزيز الدوري: 59.

(7) ينظر: يتيمة الدهر: 2/219 وينظر: رسوم دار الخلافة – لأبي الحسين الصابئ تحقيق وتعليق ميخائيل عواد: 131. وأقسام ضائعة من كتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) – الصابئ – جمع وتعليق ميخائيل عواد: 5، وتاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني – السير توماس آرنولد – ترجمة حسن حيدر اللبناني: 42– 45 والإدارة = =الإسلامية في عز العرب – محمد كرد علي: 185 ودولة بني عقيل في الموص (83 – 489هـ) – خاشع المعاضيدي.

(8) ينظر الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر – دراسة بنائية مقارنة – د. خلدون حسن النقيب: 107، وينظر: الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث للهجرة – رسالة دكتوراه – عبد الكريم توفيق العبود: 64.

وتصدى أبو العلاء لهذه الفئات المتصارعة، من خلال الطوائف الدينية والفكرية، وكان ينزع منزعا حرا، توهمه أحد النقاد انه يشبه الديمقراطية [1]. ولا نظن ذلك حيث تعقد الحوار الثقافي [2] وكان ابو العلاء يشير الى الارهاب الفكري بقوله:

لو يُترَكُونَ وهذا اللُّبُّ ما قبلُوا ... مَينًا يُقالُ، ولكنْ شالَتِ الجذَمُ
أتَوْهُمُ بأحاديثٍ، وقيلَ لهُمْ ... قولوا صَدَقْنا والا أُروِيَ الخذَمُ
وأرهبَتْهُمْ جُفُونٌ، ملؤهُا نُوَبٌ ... وأرْغَبَتهُمْ جِفانٌ للنّدى رُذُمُ [3]

فهو يرى قصور سياسة هؤلاء الحكام الدخلاء:

حكم الناسَ غواةٌ مثل ما ... حكَمتْ قبلُ حصاةٌ وزلمْ [4]

فهؤلاء الحكام مع ظلمهم يأتون أعمالاً ليس من صالح الرعية. ويمنّون عليهم وكأنهم ليسوا هم في الأصل خدماً للشعب. حتى ان الرعية استساغت هذا الوضع. الذي يبعث الملل في نفس أبي العلاء فيقول:

ملّ المُقامُ فكم أُعاشِرُ أُمةً ... أمرَتْ بغير صلاحها أُمراؤها
ظَلموا الرعّية واستجازوا كيدها ... فَعَدوْا مصالحها وهم اجراؤها [5]

هذا الكلام حمله الدكتور طه حسين الى ما يماثل الآراء الاوربية مثل الجمهوريين [6]. بينما الدكتور زكي محاسني، فسرها أفكارا تحريرية تمثل الديمقراطية، كما جاء في الثورة الفرنسية [7]. واخضعها الدكتور عبد القادر

---

(1) ينظر: المعري هل كان سابقاً لعصره (الهلال 46): 919.
(2) ينظر: الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق – الدكتور وميض جمال عمر نظمي: 63.
(3) اللزوميات: 399/2 (الجذم: واحدها جذمة: أصل الشئ والقطعة منه، الخذم: السيف. الرذم: المملؤة).
(4) اللزوميات: 483/2 (الحصاة: بيع الحصاة من عادات الجاهلية، يقول البائع: بعتك من هذه الأثواب ما تقع هذه الحصاة عليه. الزلم: قدح من قداح الميسر).
(5) م. ن: 54/1 (عدوا مصالحها تجاوزوها. اجراؤها: خدامها، واحدها أجير).
(6) ينظر تجديد ذكرى أبي العلاء: 303 – 304.
(7) ينظر أبو العلاء ناقد المجتمع: 55.

زيدان الى التنظير الاسلامي (الشورى اساس الحكم) [1] وعلق عطا بكري بان ابا العلاء رسم خطا" في اسلوب الحكم ونظام المجتمع لم يفهمه قبله الا بعض اليونان"[2]. وكل هذا لا يحتمله النص فمثل هذه النماذج كثيرة في شعر ابي العلاء. وغاية ما في الامر كما اوضحنا، لان الاوضاع كانت تدعو الى التألم في زمن ابي العلاء، حيث يصل الطامعون الى كراسي الحكم بالاستيلاء والظلم. ولا تهمهم مصالح الناس. ولا هم لهم، سوى التنعم على حساب الشعب. سواء في الشام أو غيرها من البلاد:

إنَّ العراقَ وإنَّ الشّامَ مذْ زَمنٍ ... صِفرانِ ما بهما للمُكِ سلطانُ
ساسَ الأنامَ شياطينٌ مسلطةٌ ... في كل مِصرٍ من الوالينَ شَيطانُ
من ليس يحفلُ خَمصَ الناس كلّهم ... إن باتَ يشربُ خمراً وهو مِبطانُ
متى يقومُ إمامٌ يستقيدُ لنا ... فتعرفَ العدْلَ أجيالٌ وغيطان ؟ [3]

وهذا الفساد الذي كان عليه هؤلاء الحكام، واستغلالهم للرعية،لم يكن مرده إلى السذاجة أو الرعونة، وإنما بمكر ودهاء، فهم يستغلون ذكاءهم بخبث:

رئسَ النّاسُ بالدّهاءِ فما ينـ ... ـفكّ جيلٌ ينقادُ طوعَ دُهاتِهْ [4]

ويبدو من حديث أبي العلاء أنه لا يؤيد هؤلاء الحكام، لأنهم بلا عقول فكأن همهم الوحيد هو تولي السلطة على الناس ليقال إنهم ساسة فيقول:

يسوسونَ الأمورَ بغيرِ عقلٍ ... فينفُذُ أمرهم ويقالُ: ساسةْ
فأفٍّ من الحياةِ، وأفٍّ مني ... ومن زمَنٍ رئاستهُ خساسةْ [5]

(1) ينظر: قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 261.

(2) الفكر الديني عند أبي العلاء المعري – عطا بكري: 64.

(3) اللزوميات: 502/2 ومثل ذلك يعمم على الأقطار الأخرى ينظر اللزوميات 448/2 و615/2.

(4) اللزوميات: 243/1.

(5) اللزوميات: 35/2.

واخذ الحكام زيادة في ظلمهم ينظرون إلى الرعية وكأنهم عبيد فيعرّض بهؤلاء الطغاة:

ومن شرّ البرية ربُّ ملكٍ　　　يردُ رعيةً أن يسجدوا لهْ [1]

واذا كان الزمان على اية حال قد خدم هؤلاء الحكام للوصول الى السطلة فأبو العلاء يحذر الرعية منهم ومن كذبهم، ويطلب منهم اليقظة وإخضاع أحاديث الحكام الى العقل للكشف عن ظلمهم فيقول:

أفيقُوا، فإنَّ أحاديثَمْ　　　ضِعافُ القَواعِدِ وأُلمدّعَمْ
زخَارِفُ ما ثَبتَتْ في العُقُو　　　ل عمّى عليكمْ بهنّ المُعَم
يدولُ الزمانُ لغَيرِ الكِرامِ　　　ـ ممالِكُ قومٍ طُعَم [2]

لأن من يتولى مقاليد الحكم، ينبغي أن يحكم بما يحقق المصلحة العامة، للبلاد والعباد، والامور الدنيوية والأخروية. وان يوزع الاموال على أوجهها المحددة وجبايتها من غير تعسف، حتى مع أهل الذمة وبقدر استطاعتهم [3]. ولهذا يتساءل ابو العلاء:

وأرى ملوكاً لا تحوطُ رعيّةً　　　فعلامَ تؤخذُ جزيةٌ ومكوسُ؟ [4]

فما يؤخذ من الضرائب والمكوس لا يصرف على حاجات الناس وانما لملذات الحكام وترفهم [5]. فيشخص ابو العلاء هذا الواقع الذي ينهب فيه الحكام اموال الرعية، ولا يستمعون الى شكوى المتظلمين، وترفع يد المالك، وتحل محلها يد

(1) م.ن: 301/2.
(2) م. ن: 490/2.
(3) ينظر: عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن ابن هذيل: 90 و 98 و111 و 135.
(4) اللزوميات: 32/2، واعتمد مارون عبود هذا البيت ليحكم أن أبا العلاء من الدرزية لأن الحاكم بأمر الله الفاطمي كان يتبع توزيع الأموال والهبات، ينظر: زوبعة الدهور: 74 وهذا بعيد.
(5) الفقه والسياسة: 42.

الغاصب. يعاونهم في ذلك. المساعدون بطانة السوء فلا ترق قلوبهم لدموع الباكين:

أرى أُمراءَ النّاسِ يُمسونَ شَرَّهمْ ... إذا خَطَفوا خَطْفَ البُزاةِ اللّوامعِ
وفي كلّ مِصرٍ حاكمٌ فموّفقٌ ... وطاغٍ يُحابي في أخسّ المَطامعِ
يجورُ فينفي المُلكَ عن مُستحقّهِ ... فتكسبُ أسرابُ العيونِ الدّوامعِ [1]

وكيف تجد الرحمة سبيلا الى قلوب هؤلاء الملوك او الجباة الذين بامرتهم. اذا كان الملوك شأنهم العزف والنزف وهمّ الجباة تجميع الاموال:

فشأن مُلوكهمْ عزفٌ ونزفٌ ... وأصحابُ الأمورِ جباةُ خرْجِ
وهمٌّ زعيمِهم إنهابُ مالٍ ... حرامِ النّهبِ او إجلالُ فَرجِ [2]

وهاجم أبو العلاء جميع الأمراء بلا استثناء لأنه يرى:

بكلٍّ أرضٍ أميرُ سوءٍ ... يضربُ للناس شرَّ سكّه [3]

ويتألم أبو العلاء من هذه الأوضاع، ويشعر بالظلم الذي يسود الناس، فجور الحكام يضعف في داخل الناس الانتماء لوطنهم، عندما لا يجدون فيه الامان ولقمة العيش الكريمة. بعد قرونا طويلة:

ألفِنا بلادَ الشّامِ إلفَ ولادَةٍ ... نلاقي بها سُودَ الخُطوبِ وحُمرَها [4]

ومما يزيد الطين بلة، أن الخطباء على المنابر يصفون هؤلاء الحكام بالتقوى في أيام الجمع، فيسخر أبو العلاء من هذا الواقع:

ما أجهلَ الأممَ الذينَ عرفتُهمْ ... ولعلَّ سالفهمْ أضل وأتبرُ

---

(1) اللزوميات: 138/2 (اللوامع: الخوافق بأجنحتها، الواحدة لامعة. الإسراب: الواحدة سرب: الماء السائل).
(2) م. ن: 273/1.
(3) م. ن: 236/2.
(4) م. ن:492/1.

يدْعونَ في جُمعاتهم بسفاهةٍ ... لأميرهمْ فيكادُ يبكي المنبرُ [1]

ويهجم على الشعراء المرائين بقوله:

بني الآداب غرتكمْ قديماً ... زخارفُ مثلُ زمزمةِ الذُّبابِ
وما شعراؤكم إلا ذئابٌ ... تلصَّص في المدائحِ والسِّبابِ [2]

ويشير أبو العلاء إلى المبالغات في هذا المجال في رسالة الغفران بقوله: ((وكانَ لهم في المغرب رجلٌ يعرفُ (بابن هانئ) وكان من شعرائهم المجيدينَ، فكان يغلو في مدحِ (المعزِّ أبي تميم مَعَدٍّ) غُلواً عظيماً حتى قال يخاطبُ صاحبَ المظلَّةِ:

أمُديرَها من حيثُ دارَ لشَدَّ مَا ... زاحمتَ تحتَ ركابهِ جبْريلا

وقال فيه وقد نزل بموضع يقال له (رقادة):

حلَّ برقَّادةَ المسيحُ ... حلَّ بها آدمٌ ونوحُ
حلَّ بها اللهُ ذو المعالي ... وكلُّ شئ سواهُ ريحُ

وحضر شاعر يعرف (بابن القاضي) بين يدي (ابن أبي عامر صاحب الأندلس) فأنشدهُ قصيدة أولها:

ما شئتَ لا ما شاءَت الأقدارُ ... فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهَّارُ [3]

---

(1) اللزوميات: 445/1 (أتبر: أهلك).

(2) م. ن: 165/1.

(3) الغفران: 461- 462 (ابن هانئ الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور. المعز: أبو تميم سعد بن المنصور العبيدي،الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي بويع بعد أبيه المنصور بن القائم بن المهدي (ت 365 هـ). المظلة: كان من بين وظائف الدولة الفاطمية منصب (صاحب المظلة) يحملها ويسير في ركاب الأمير. رقادة: بلد كانت بأفريقيا كانت بينها وبين القيروان أربعة أميال. وحل برقادة... ونسب آدم متز هذه الأبيات في الحضارة الإسلامية إلى أبي العلاءمن بين الأشعار التي كفروه بها ! وهذا وهم منه.

ابن القاضي: شاعر أندلسي: ابن أبي عامر: المنصور بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر المعافري، ولي القضاء ثم الوزارة للحكم المستنصر ثم استقل بالأمر لما مات الحكم (ت 393 هـ).

وبعد، فإن الأمر لا يحتاج إلى إثبات بأن أبا العلاء. كان صاحب رؤية للواقع السياسي، الذي كان يحيط به. فهو ليس منفصلاً عن الحياة السياسية ولا ابتعاده عن حلبة الصراع يشكل فراراً من العمل السياسي كما يرى أحمد أمين [1]. ولا أخطأ المعري في أسلوب إصلاحه بسبب لغته المعقدة، بحيث ترتب عليها جر الخسارة على الشعب، حيث لم ينتفع بفكره [2]. ولكنه اتخذ من الحيطة والحذر ما يناسب قدراته والظروف المحيطة. ولعل ما سقناه من أدلة يمثل تشخيصه للواقع، الذي كان سائداً على أيامه. والصراع على السلطة بين الفرق والطوائف. وما وصلت إليه أحوال الأمة العربية الإسلامية من التدهور بسبب هذا الصراع.

الوزراء:

يقول الله العزيز الحكيم: ((وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29) هَارُونَ أَخِي(30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(32)))[3] فولاية الناس ((بلاء عظيم... ولا يستطاع السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء إلا بالمودة والنصيحة)) [4] والوزير ((يراد أنه يحمل من الأمور مثل الأوزار))[5]. وأول من استخدم الوزير هم المصريون القدماء [6].

ويذكر ابن تيمية في طريقة الاختيار، أن ليس يستعمل إلا الأصلح الموجود [7]. حتى يروضهم رياضة، يضمن سرعتهم إلى الطاعة، ويستبعد معصيتهم له [8]. ((فكلما ارتفع المقام، زادت المخاطر فيه)) [9]. وهؤلاء يتحقق منهم الحاكم

---

(1) ينظر ظهر الإسلام 96/1، 97 وينظر تجديد ذكرى أبي العلاء: 127. وينظر في رسالة الغفران – نص مسرحي من القرن الخامس الهجري – دكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: 36- 37 وينظر الكتاب السنوي – الفصول والغايات لأبي العلاء – عبد الحميد البسيوني: 115- 117.

(2) أبو العلاء ناقد المجتمع: 56.

(3) القرآن الكريم – سورة طه – الآية: 29- 32.

(4) الأدب الصغير والأدب الكبير – ابن المقفع (ت 142 هـ): 25- 26.

(5) عيون الأخبار: 50/1.

(6) الوزارة – أدب الوزير – الماوردي – تحقيق ودراسة د. محمد سليمان داود، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد: 29.

(7) ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية – للإمام ابن تيمية: 14. وينظر النظم الإسلامية – الدوري: 159.

(8) ينظر نصيحة الملوك: 289- 292. وينظر صبح الأعشى: 106/1 وما بعدها.

(9) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء – ابن الجوزي: 43 وينظر نهاية الإرب في فنون الأدب – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732 هـ): 92/6.

بكونهم من أهل الثقة فالحاكم ((أحق باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله... لا يكتفي بالوحدة ولا يستغني عن الكثرة)) [1].

وأول من لقب بالوزارة في الإسلام، هو أبو سلمة الخلال في عهد أبي العباس السفاح [2].

ويمكن أن يعد كتاب الوزارة للماوردي – معاصر أبي العلاء المعري – هو رسالة لأحد الوزراء فهو يقول في مقدمة الكتاب: ((وأنت أيها الوزير أمدك الله بتوفيقه في منصب مختلف الأطراف تدبر غيرك من الرعايا، وتتدبر بغيرك من الملوك. فأنت سائس مسوس)) [3] ثم ذكر أسس الوزارة مثل: الدين، والعدل، وتولية الأكفاء، والوفاء بالوعد والوعيد... ثم أنواع الوزارة ثم وصايا للوزير [4].

أما من حيث الواقع. ومنذ البدء فإن المعري لا ينظر إلى هؤلاء، إلا بعين السخط. ويعدهم مجموعة من المنافقين لصحابة الحاكم فيقول:

مستشارٌ خائنٌ في نُصحهِ ... وأمينٌ ناصحٌ لم يستشر [5]

والأمراء والوزراء على حد سواء في رأي أبي العلاء هم من أهل الوزر والخسار:

هل الأمراءُ إلا في خسارٍ ... أو الوزراء إلا أهل وزرِ ؟
لكلٍّ شيمةٌ وإلى التغاضي ... أجئَ الكلُّ من خوص وخزرِ
ولاةُ العاملينَ ذئابُ خَتْلٍ ... تكون من الشقاء رعاةَ فزْرِ [6]

---

(1) زهرة الآداب وثمرة الألباب – لأبي إسحق إبراهيم على الحصري القيرواني حققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه على محمد البجاوي: 588/2.

(2) ينظر: صبح الأعشى: 127/1، وكان مما يقوله أبو سلمة الخلال: ((خاطر من ركب البحر وأشد منه خطراً من داخل الملوك)) ينظر الاعجاز والإيجاز – للثعالبي (ت 429 هـ): 98

(3) الوزارة: 47.

(4) م. ن: 49– 63 و 143 – 165.

(5) اللزوميات: 607/1.

(6) م. ن: 550/1 – 551 (الخوص من الخوص: صغر العين وغؤورها. الخزر من الخزر: النظر بموخرة العين. الغزر: القطيع من الغنم).

الوزراء في ذلك العصر، لم تكن لهم الهيبة، بل لم يعد أصلاً هناك وزراء للخلفاء. فقد ذهبت تلك الأهمية [1]. في شأن الوزير التي كانت في العصر العباسي الأول [2].

ومكانته من الخليفة، كما هو معروف من شهرة البرامكة في أيام الرشيد. ذلك لأن بني بويه حلوا محل الوزراء، وانتقلت الوزارة من كتاب الخلفاء إلى كتاب الديلم فلم يخاطب بوزير غيرهم [3].

ويرى أبو العلاء المعري: ((أن الملوك لا تحتمل تثقيل العامة... والوزراء واجب عليهم حمل الأثقال)) [4] بينما الوزراء في زمن البويهيين كانوا يمنحون وزيرهم الاقطاعات بدل الرواتب، فإذا ما عزل أخذت وسلمت إلى خلفه في الوزارة [5]. ولو كان الاختيار سليماً في الأساس لوزير عالم كما يسميه ابن أبي الربيع [6] لما حصل هذا التدهور في عمل الوزير الذي رفع عنه أبو العلاء اليد.

الحاجب:

يذكر الصابي جملة صفات للحاجب منها: ((أن يكون نصفاً مكتهلاً وقد أحكمته الأمور وحنكته، أو شيخاً متماسكاً.. وله عقل وحزم)) [7] ومثل هذه المواصفات وقريبة منها وزيادة عليها ذكرها القلعي وقد خصص باباً في كتابه لهذا الغرض [8].

---

(1) الكامل: 77/8.

(2) ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: 194/2.

(3) ينظر م. ن: 231/2.

(4) الصاهل والشاحج: 513.

(5) ينظر: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 48، وينظر: الحضارة الإسلامية – متز: 175/1. وينظر العراق في العصر البويهي: 45.

(6) ينظر سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع – تحقيق د. ناجي التكريتي: 192 – 193.

(7) رسوم دار الخلافة: 71 وينظر عيون الأخبار: 83/1.

(8) ينظر: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة – للإمام أبي عبد الله محمد بن علي القلعي (ت 630 هـ) تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى عجو: 247 – 248.

والحاجب كانت أحدى الوظائف المهمة، تطورت مهمتها من تنظيم شؤون الدولة، ومقابلات الحاكم، إلى التدخل في بعض جوانب الحكم وقد يتفاوت مستوى الأداء من حاجب لآخر. لكن الوظيفة الأساسية ((هي من يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام ويأخذ لهم الإذن منه، وسمي الحاجب بذلك، لأنه يحجب الخليفة أو الملك عمن يدخل عليه بغير إذن)) [1].

فكان لهذا العمل أدبياته التي تسهل أمور الناس. وصفات يجب أن يتصف بها الحاجب [2]. لأن أهل ((العلم والفضل وذوي الرياسة والنبل قد يأنفون من رفع حاجتهم إلى من لعله دونهم على الحقيقة في القدر والمنزلة)) [3]. لأنه ليس المطلوب من السلطان أن يبرز إلى العوام على الدوام في الطرقات ويباشر بنفسه أحوال الرعية في جميع الأوقات [4]. ((فالملك معظم بالحجاب، مصان عن المباشرة بالخطاب)) [5].

لذلك فمن واجبات الذين يجالسون الحاكم وحجابه أن يكونوا محضر خير لمنفعة الناس. لكن الواقع على ما يبدو، يشهد عكس ذلك في زمن أبي العلاء فيقول:

ما لي أرى الملكَ المحبوبَ يمنعهُ   أن يفعلَ الخيرَ مُنّاعٌ وحُجّابُ ؟ [6]

القضاة:

يقول الله سبحانه وتعالى: (()) [7]. فالعدل ((ميزان الله في أرضه، وضعه للخلق ونصبه للحق)) [8] وفي الحديث الشريف: ((إن المقسطين في الدنيا على منابر من نور يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا)) [9].

---

(1) رسوم دار الخلافة: 11، وينظر: الأدب العربي في العصر العباسي – الدكتور ناظم رشيد: 11.

(2) ينظر: رسوم دار الخلافة: 71.

(3) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: 248.

(4) م. ن: والصفحة.

(5) الوزارة: 126.

(6) اللزوميات: 95/1.

(7) القرآن الكريم – سورة المائدة – الآية: 49.

(8) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: 189.

(9) أخرجه مسلم – مختصر صحيح مسلم: 89/2.

وكان أول قاض في الإسلام هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه) استقضاه الخليفة الراشد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في خلافته فمكث سنة لا يأتيه أحد في قضية [1]. وكان أول قاض قضى للخليفة عمر بن الخطاب بالعراق هو سلمان بن ربيعة الباهلي [2].

وإذا كان الظلم من طباع البشر، فإن المسلم كذلك غير معصوم من الخطأ مهما بلغ عمق إيمانه. لذلك فإن الفقهاء الكبار كانوا يفرون من تولي القضاء [3]. وأعلم الناس به ((أشدهم له كراهة)) [4] خوفاً من الله في حالة عدم وصولهم إلى الحق [5]. ومن جانب الحاكم كان التحري في الاختيار الموفق للقضاء ومراجعتهم [6].

وكان للقضاء خلعهم الخاصة التي تميزهم [7]. وعلى أيام المعري، في سنة (429 هـ) لقب الماوردي بقاضي القضاة، وكانت هناك هيئة قضائية في ديوان خاص للمظالم، وكثيراً ما كانت هذه المحاكم قريبة من الخليفة أو الوالي.

وما يذكر من مواصفات للقضاة [8]، لا يعترض عليها المعري ويعيب غير ذلك عندما تأثر القضاء بالسياسة. وتدخل الأمراء في شؤون القضاء ليحملوهم على الافتاء وفق سياستهم ومصالحهم [9].

---

(1) ينظر: صبح الأعشى: 475/1.
(2) ينظر: عيون الأخبار: 61/1.
(3) ينظر: أدب القاضي – الماوردي – تحقيق وتعليق: محي هلال السرحان – المقدمة: 163، وينظر: كتاب أدب القضاء – القاضي شهاب الدين أبي إسحق إبراهيم بن عبد الله الهمداني المعروف بابن أبي الدم الشافعي (ت 642 هـ) – تحقيق ودراسة: الدكتور محي هلال السرحان: 262/1.
(4) أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان (ت 306 هـ): 23/1.
(5) رفض الإمام مالك قبول القضاء وضرب بالسياط حتى انخلعت كتفه. ينظر: مالك – حياته وعصره: 49. وحوادث أخرى ينظر لتفصيل ذلك الحضارة الإسلامية – متز: 400/1، وينظر ابن خلدون بين العلم ودنيا السياسة – د. محمد طه الحاجري: 257.
(6) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ: 155/2،وينظر: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية الدكتور عبد الكريم زيدان: 49.
(7) ينظر حسن المحاضرة: 320/2.
(8) ومن جملة المواصفات الورع والذكاء والفطنة والعلم والعقل والحلم والأدب والعفة... الخ ينظر سلوك المالك: 29.
(9) ينظر نظام الحكم في الإسلام – تقي الدين النبهاني: 81.

ومما زاد في تدهور الوضع القضائي هو كثرة الجدل وانتشار الفرق، بعد أن تعددت المذاهب. وإذا ساد الناس أولئك الحكام، فإن أعوانهم من القضاة على الشاكلة نفسها فيقول أبو العلاء:

يسودُ النّاسَ زيدٌ بعد عمرٍو ... كذاك تَقَلّبُ الدّولاتِ دُولَه
ورُبّ شهادةٍ ورَدَتْ بزُورٍ ... أقامُ لنَصّها القاضي عُدولَهْ [1]

فبلغت عدوى الخيانة حتى القضاة:

وكلٌّ من فوقَ الثّرى خائنٌ ... حتى عُدولُ المصرِ مثلُ اللّصوصْ [2]

فيشفق أبو العلاء على الضحية، بسبب الظلم الذي يقع على الضعيف:

ومن حَوْلِهِ قومٌ كأنّ وجوهَهمْ ... صفاً لم يلَيّنْ بالغيوثِ الهوامعِ
عدُولٌ لهم ظُلمُ الضعيف سجيّةٌ ... يسمّون أعرابَ القُرى والجوامعِ [3]

فكيف لا يستحي العدل ؟ هكذا يسال أبو العلاء:

أما استحى العدلُ وأخبارُهُ ... سيّئةٌ في أُذُنِ السّامعِ [4]

ويتضح أن ابا العلاء كان على علم بأخبار مشاهير القضاء أمثال شريح بن الحارث من كبار التابعين [5]. فتتكون لديه القياسات مع ما يحيط به، فيقسو في حكمه، حيث لا يفرق بين القضاة، وبين لصوص الإبل في الأعراب:

في البدو خُرّابُ اذوادٍ مسوّمةٍ ... وفي الجوامع والأسواق خُرّابُ
فهؤلاء تسمّوا بالعُدولِ أو الـ ... ـتّجارِ واسمُ أولاكَ القومِ أعرابُ [6]

---

(1) اللزوميات: 301/2.
(2) م. ن: 88/2.
(3) م. ن: 138/2.
(4) م. ن: 143/2 (العدل: المعدل بحكم القاضي يتخذ للشهادات).
(5) ينظر الصاهل والشاحج: 194.
(6) اللزوميات: 96/1 (الخراب: اللصوص، الأذواد: أي الإبل. مسومة: متروكة ترعى. العدول: جمع عادل).

تلك هي إذن صورة القضاء، من وجهة نظر أبي العلاء. فهم في هذه الحالة من الأجدر ومنذ البدء، ان يسموا بعكس اسمهم لما يشير الواقع بذلك:

يقولونَ: في المِصرِ العُدولُ وإنّما حَقيقةُ ما قالو: العدولُ عن الحَقّ
ولستُ بمختارٍ لقوميَ كونَهم قُضاةً ولا وَضعَ الشّهادةِ في رقّ [1]

ويدعي أبو العلاء انه لا يريد تشويه صورة القضاء لمجرد النقد فيقول: "اعوذ بالله ان اعرضّ في حكم" [2] وانما يريد للعدل ان يتحقق فعلا حيث لاعدل ولا حقوق. فيرى ان صاحب الشرطة ــ مثلا ــ خير من القاضي اذا لم يتحقق في حكمه العدل مع الفارق بين مهمة الوظيفتين فيقول:

صاحبُ الشّرْطةِ إن أنصَفنَي فهوَ خَيرٌ لي من عَدلٍ ظَلَمْ [3]

ولكن الحال يشير الى احكامه القاسية المطلقة، وتعميمه الذي لا يؤيده الفكر المنظم ويتضح ان ابا العلاء لم يقصر في نقد القضاة كما ذهب زكي المحاسني بقوله:" احسب انه قصر في نقده القضاة لان جده سليمان كان قاضيا"[4]. ومهما يكن من امر حول هذه الوظائف فهي جميعا لمصلحة الرعية" لان بعض الامور لبعض سبب، وعوام الناس لخواصهم عدة، ولكل صنف منهم الى الاخر حاجة " [5].

(1) م. ن: 202/2.
(2) رسائل أبي العلاء – مارجليوت: 116.
(3) اللزوميات: 483/2.
(4) أبو العلاء ناقد المجتمع: 61.
(5) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك – الماوردي: 231.

المبحث الثاني
المؤسسة الدينية

الواقع الديني:

جاء الاسلام " رحمة للعالمين" [1] ولرفعة الامة وسعادتها. ولبناء المجتمع السليم. فالملك لا قوام له الا بالدين " [2]. وعلى اساس الدين قامت الدولة الاسلامية العظيمة. وهي تمثل العصر الذهبي، والازدهار المشرق الشامل، إلى قبيل ولادة أبي العلاء [3]. الذي يعد عصر الازدهار للتشريع في الفقه الإسلامية، والاجتهاد وبروز العقليات الفذة. عندما عالجوا مسائل الواقع في ضوء النصوص الثابتة، واتضحت المناهج، واستوعبت معالجة الأمور الحياتية، ونشأت المذاهب الفقهية. وظهرت مدرسة الرأي التي تولى زعامتها ابو حنيفة (رضي الله عنه) وان من اهم المظاهر هو تسليم الخلفاء بأحكام الفقه الاسلامي.

فالخطاب كما هو موجه الى عصر النبوة فهو كذلك موجه الى العصور اللاحقة، ولكن التأويل فيه مستجدات حسب ظروف العصر " وليدّ بروا آياته " [4]. فترك الدين أثره في توجيه السلوك وتحديد القيم الاخلاقية، وتنظيم الحياة [5]. فكانت مرآة صالحة تعكس مفاهيم التقدم والازدهار [6].

الدين والسياسة:

ان الاضطراب الذي اشرنا اليه في موضوع السلطة الحاكمة. إنتقل الى الحياة الدينية. وتأثرت الاصول الاسلامية الاولى بالحركات المتصارعة، وكان

---

(1) القرآن الكريم – سورة الأنبياء / الآية: 107.

(2) الخراج وصناعة الكتاب: 203.

(3) كما تقدم في المبحث الثاني من الفصل الأول. وينظر الحضارة الإسلامية – متز: 387.

(4) القرآن الكريم – سورة ص – الآية: 29.

(5) ينظر: المسألة الثقافية – الجابري –: 259. بينما الأصل في المسيحية على مستوى العقيدة هو مبدأ الفصل بين الدين والدنيا، وذلك تطبيقاً لقول السيد المسيح (عليه السلام) (اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله). ينظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، تجاه الصراع العربي – الصهيوني: 63.

(6) ينظر: الأعمال الفكرية العامة – الدكتور قسطنطين رزيق: مج 2: 105.

يحصل الصدام والقتال بين الطوائف، وتقطعت العصم " واكفر بعضهم بعضا " [1]. وساعد على هذا الوضع، الاضطهاد الذي ساد البلاد. سواء في بغداد ام مصر ام الشام. فيما تنطلق اصل المواجهة من بغداد، حيث مستقر انصار تلك الطوائف والفرق[2]. ولم يمنع معز الدولة ـــ الامير البويهي ـــ هذه الاضطرابات بل شجع عليها [3]. فتأثرت الحياة الدينية، واخذ الحكام ورؤساء الفرق الاستعانة بالدين، للدفاع عن وجهات نظرهم، والتأثير به على عقول الجماهير [4]. ومما زاد في المواجهات حصول تلك الفتن من اتباع القرامطة وحركة الزنج فترك هذا الوضع أثره على المعتقدات فيقول ابو العلاء:

نَبذتم الاديان من خَلفِكم ولـيسَ في الحكمةِ أن تُنبَذا
لا قاضيَ المِصرِ أطعتُم، ولا الحَبرَ ولا القَسَّ ولا الموبَذا [5]

التطرف في التوجه الديني:

يقول ابو العلاء المعري "وافْتَنَّ الناسُ في الضلالَة حتى استَجازو دعوى الربوبيَّةِ، فكانَ ذلك تَنَطُّساً في الكُفرِ، وجمعاً للمعصيَةِ في المَزادِ الوُفْرِ. وإنّما كانَ أَهلُ الجاهليَّةِ يدفَعونَ النُّبُّوة ولا يُجاوزون ذلك سِواه "[6].

ومثلما تعرض أبو العلاء لرجال السلطة الحاكمة، ولم يعف المحكومين لاضطراب الأحوال السياسية. كذلك قد تعرض للسلوك الديني ابتداء من رجال الدين وانتهاء بأفراد المجتمع [7].

---

(1) كتاب تأويل مختلف الحديث – ابن قتيبة: 5 وينظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني (ت 478) تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم: 86 و 95.

(2) ينظر المنتظم: 7/ 237.

(3) م. ن: 7/ 7.

(4) ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة: 48.

(5) اللزوميات: 408/1 (الحبر: حبر اليهود، عالمهم. القاضي: للمسلمين. القس: للنصارى، الموبذ: للمجوس).

(6) الغفران: 441 (تنطس: تأنق في كلامه وملبسه وغيره. المزاد: جمع مزادة،فراء: أي وافرة الجلد لا ينقص من أديمها شئ).

(7) يصف المستشرق كريمر في حديثه عن اللزوميات لأبي العلاء بالفكر الديني الحر. ينظر كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 146– 147.

يقول أبو العلاء: ((فأما اليوم، فلو أمن كتابي على نمي لأسرعت إليه الظنن اسراع رمي – والرمي هنا سحاب سريع الاقشاع... وما عنيت بالكتابي من نسب إلى توراة وإنجيل، دون من نسب إلى القرآن البجيل)) [1].

فيفقد الثقة بفئات من رجال الدين، ويقابل ذلك انتشار الجهل بالدين، والجهل العقيم وتصديق العامة لدعوة المضللين فيقول:

مـا للأنـام ؟ وَجدتُهمْ مـن جَهلهمْ ... بالـدينِ، أشـباهَ النَّعـام أو الـنَّعَمْ
فمُجـادلٌ وصـلَ الجـدالَ وقـد درَى ... أنّ الحقيقـةَ فيـه لـيسَ كمـا زعَـمْ
علـمَ الفتـى النُّظـارُ أنّ بصـائراً ... عميتْ، فكم يخفى اليقينُ وكم يُعَمْ
لـو قـالَ سـيدُ غضـاً: بُعثـتُ بملّـةٍ ... مـن عنـد ربـي، قـال بعضهمُ: نعمْ [2]

أما الطقوس والشعائر الدينية التي ليس لها ما يقابلها من الأخلاق، فإن أبا العلاء، لا ينخدع بهؤلاء الذين يمارسونها، فهم سرعان ما ينفرطون – كما ينفرط العقد عن التمسك بالدين عندما تعرض لهم المصلحة [3].

وترتب على ذلك تفاقم المشكلات في انحراف المفاهيم وكثرة المتناقضات فيقول:

نادَتْ على الدّينِ في الآفاقِ طائفةً ... يـا قـومُ مـن يشـتري دينـاً بـدينار ؟
جَنـوا كبـائرَ آثـام وقـد زعمـوا ... أن الصّغائر تُجني الخلْدَ في النّار [4]

فهل هؤلاء الذين يدّعون الإصلاح من أصحاب الفرق، قادرون على أن يزيلوا أسباب الخلافات للمصلحة العامة ؟ [5] أبو العلاء لا يعتقد ذلك فيقول:

---

(1) الغفران: 565 – 566 (النمي: صغار الفلوس. الظنن والظنائن: جمع ظنة، وهي التهمة. والرمي: السحاب شديد وقع المطر).

(2) اللزوميات: 480/2.

(3) م. ن: 242/2.

(4) اللزوميات: 543/1.

(5) لقد تصدى الباقلاني لأمثال هؤلاء وهو من المعاصرين للمعري في الرد على المسائل مسألة مسألة، ينظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به – تحقيق محمد بن زاهد الحسن الكوثري: 13 وما بعدها.

مـــا فـــيهمُ بَـــرٌّ ولا ناســـكٌ إلا إلى نفـــع لـــه يجـــذِبُ [1]

وقد يقترب آدم متز من فكر المعري عندما يقول عنه: ((وهو يحارب الخرافات والتنجيم)) [2].

السلوك المزدوج:

لقد خبر أبو العلاء الناس، فكيف له أن يعطف عليهم ويتستر ؟ ولماذا لا يعيب النفاق في رجال الدين مثلما يعيب الظلم في الحكام؟ فهؤلاء دعاة (بالكلام فقط). وقد تكشف لأبي العلاء ((خفايا الأمور الداخلية على الأديان والمذاهب))[3]. فلم يعتد بالكلام، فما أكثر ما يقال عن الدين. كلام يتردد على الألسن بمناسبة، وغير مناسبة وأبو العلاء لا يستمع إلى الخطباء، ليستمع مجرد ألفاظ، فالخير ما يترجمه العمل:

وما قبلت نفسي من الخير لفظة وإن طال ما فاهتْ به الخطباءُ [4]

وعند ذلك ماذا يكون الهدف من الدين إلا لطلب الثناء، أو التستر وفي كل الأحوال، إذا لم يكن ابتغاء لوجه الله، فيكون بمثابة المتاجرة في الدين:

والـدّينُ متجَـرٌ ميّـتٍ فلـذاك لا تُلفيـهِ في الأحيـاء إلا كاسـدا [5]

فاللفظ وحده لا يكفي. وإذا لم يساعد الدين على الأخلاق، فما الفرق بين التقي والكافر ؟

وإذا تســاوى في القبـيحِ فِعالُنــا فمــن التقــيُّ وأيُّنــا الكفّــارُ ؟ [6]

---

(1) اللزوميات: 107/1.
(2) الحضارة الإسلامية: 137/2.
(3) فلاسفة من الشرق والغرب: 25.
(4) اللزوميات: 44/1.
(5) اللزوميات: 358/1.
(6) م. ن: 464/1.

ويقول في رسالة الغفران: ((إذا رجع إلى الحقائق، فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينا، وإنما يجعل ذلك تزينا، يريد أن يصل به إلى ثناء، أو غرض من أغراض الخالية أم الفناء. ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون، وفيما بطن ملحدون)) (1).

وما كان أبو العلاء يريد أن يشوه صور الناس الدينية، ولكن واقع الأمر ينطق بهذا، فهو في رسالة الغفران، يلتمس الأعذار، فيقول مدافعاً عن سيبويه: ((وسيبويه فيما أحسب كان أجل موضعاً من أن يدخل في هذه الدنيات، بل يعمد لأمور سنيات)) (2).

وعن بشار يقول: ((أن (يعقوب بن داود) وزير (المهدي) تحامل على (بشار) حتى قتل... ولا أحكم عليه بأنه من أهل النار، وإنما ذكرت ما ذكرت فيما تقدم لأني عقدته بمشيئة الله، وإن الله لحليم وهاب)) (3).

فكانت الاجواء الدينية مضطربة، وتفسر الاحكام حسب الاهواء ومطامع السياسة. فتصدى جهابذة العلماء الأفذاذ للدفاع عن اصول الدين كما اشرنا (4). ولكن كان التوجه في الاعتماد على الفلسفة وكثرة الكلام والمناقشات في الردود مما زاد في تعدد الفرق والانقسامات. ودعي هؤلاء بالمتكلمين وظهر علم مستقل (5). فالمقولات كانت تأتي بما يوافق الدين في بداية الامر. ولكنها تكوّن مزاجا غير مألوف فيما بعد، وتؤدي أحياناً إلى التطرف، وكثرة التأويل ومخالفة الدين (6). ومن الناس من خضع بشكل رتيب لمفهوم الدين مثل، العادة من غير تفكر وتدبر يعيشون على هامش الحياة فيقول عنهم المعري:

---

(1) الغفران: 419.

(2) م. ن: 430 (يشير إلى مجلس سيبويه مع النحاة واستماعه لكلام فيه زندقة).

(3) م. ن: 431 – 432 (وكلامه لأني عقدته بمشيئة الله: يشير إلى ما ذكره في القسم الأول من رسالة الغفران عن لقاء ابن القارح لبشار في الجحيم).

(4) في مبحث الأديان في الفصل الأول.

(5) ينظر: الغزالي – البارون كارادوفو: 20- 21.

(6) ينظر: إحياء علوم الدين: 41/1.

في كلّ امرِكَ تقليدٌ رضيتَ به ... حتى مقالُكَ ربّي واحدُ
وقد أمرَنا بفكْرٍ في بدائعِهِ ... وإن تفكّرَ فيهِ مَعشَرٌ لحدوا
وأَهلُ كلّ جدالٍ يُمسِكونَ به ... إذا رأوا نورَ حقٍ ظاهرٍ جحدوا [1]

وان مما ينبغي الاشارة اليه، ان المعري، يود ان يجد جماعة متدينة تبتغي وجه الله حقا وصدقا. فاذا كان هناك من يعرف الله حق قدره خلقا وعلما فهؤلاء يستثنيهم بلا شك ولا يتعرض اليهم فأين هم:

وقد فتّشتُ عن أصحاب دينٍ ... لهم نُسْكٌ وليس لهم رياءُ
فألفيتُ البهائمَ لا عقولٌ ... تُقيمُ لها الدّليلَ ولا ضِياءُ
واخوانَ الفطانةِ في اختيالٍ ... كأنهمُ لقومٍ أَنبياء
فأما هؤلاء فأهلُ مَكرٍ ... وأمّا الأوّلون فأغبياءُ [2]

فيهجم ابو العلاء بعنف على الذين يتاجرون في الدين، او المتزمتين الذين يجعلون الدين ستاراً لهم، دون ان يتعرض لمبادئ الاسلام، فيقول:

دعوا، وما فيهمُ زاكٍ ولا أحدٌ ... يخشى الإلهَ، فكانوا أكلُباً نُبُحاً
وليسَ عندهمُ دينٌ ولا نسُكٌ ... فلا تغرّك أيدٍ تحمل السُّبحا
وكم شيوُخٍ غَدوا بيضاً مفارقُهمْ ... يسبِّحون وباتوا في الخنى سُبُحا [3]

أو تظاهراً لأجل أمير:

تديّنَ غاويهمْ حِذارَ أميرهمْ ... فلمّا انقضتْ أيامُهُ ذهبَ النُّسكُ
فأصبحَ من بعدِ التمسّكِ بالتُّقى ... لأرْدانهِ من طيبِ فاجرةٍ مسّكُ [4]

---

(1) م. ن: 324/1.

(2) اللزوميات: 51/1.

(3) اللزوميات: 292/1 ومثله ينظر: م. ن: 296/1.

(4) م. ن: 215/2 (المسك، بفتح الميم: الجلد).

أو الخوف:

والنــاسُ يطغـونَ في دنيـاهُمُ أشــراً لولا المخافةُ ما زكوا ولا سجدوا [1]

وهناك من تراجع بعد الاستقامة:

أصـــبَحَ الشّـــيخُ مـــارداً بعـــدَ مـــا حَـــجَّ واســـتَلَم
خُـــطّ أمـــرٌ لفاعـــلٍ إن يجـــئْ غـــيرَهُ يُلـــم
خـــبَطَ القـــومُ في الضّـــلا ل، فهـــل تُكشَـــفُ الظُّلَـــمْ [2]

وهؤلاء على أية حال في دائرة النفاق، فهم منافقون في: صلاتهم:

وتـرى الصـلاةَ علـى الغـوي ثقيلـةً مثـلَ الهضـابِ تـؤدُهُ ركعاتُهـا [3]

وصيامهم:

إذا القـومُ صـاموا فعـافُوا الطّعـامَ وقـالوا المُحـالَ، فقـد أفطـروا [4]

وحجهم:

يَعـــودُ أخـــوكَ إلى غَيّـــهِ وإن حَـــجّ، مـــن نُسـكهِ واعتمَـــر [5]

وزكاتهم:

دفـعَ الزكـاةَ إلى الغـنيّ سَـفاهةً وغـداً يحـجُّ، فـردّهُ الإحصـارُ [6]

---

(1) م. ن: 324/1 (إلا شر: البطر).
(2) م. ن: 489/2.
(3) م. ن: 210/1.
(4) م. ن: 482/1.
(5) اللزوميات: 613/1.
(6) م. ن: 470/1 (الاحصار: الحبس عن السفر لعلة).

فكثر التمويه:

ومـوّهَ النـاسُ حتـى ظـنَّ جـاهلُهُمْ إن النبـوةَ تمويـةٌ وتـدليس [1]

فتوهم الناس:

ومـن الرزيّـةِ عـاهرٌ متـوهّمٌ في الناسـكين، وناسـكٌ في العُهـر [2]

فعليه:

ولا تطـيعنّ قومـاً مـا ديـانتهُم إلا احتيـالٌ علـى أخـذ الأتـاوات [3]

هذا الواقع الديني برأي المعري سياسي. ولا نعدم بلا شك فئات تعبد الله عبادة خالصة فيقول أبو العلاء (ولن يعدم المسلمون أزكياء بررَة، وهم بحمد الله كثير في هذه البلدة)) [4].

الفقهاء:

كان الفقهاء الكبار [5]، يعلم كل منهم ما كان عليه الآخرون من المستوى في العلوم الشرعية. ويتبادلون احترام الآراء، ويقدرون المكانة، وكان الاتصال بينهم بخط مستقيم، والعلاقة مقدسة بما يناسب روح الإسلام [6].

---

(1) م. ن: 25/2.

(2) م. ن: 566/1.

(3) م. ن: 228/1 (الأتاوات واحدتها أتاوة: خراج الأرض).

(4) رسائل أبي العلاء – مارجليوث: 88.

(5) مثل الإمام مالك والشافعي وأبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل (رحمهم الله).

(6) مما يدل على روح التعامل، نذكر على سبيل المثال: بعد لقاء ضم الإمامين مالك وأبا حنيفة، وقد مسح الإمام مالك العرق عن جبينه وقال: عرقت مع أبي حنيفة، أنه لفقيه. وقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، ونقد تام. ينظر: مالك – حياته وعصره، آراؤه وفقهه: 14/2– 15.

وكان الشافعي يقول: الناس كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه ويقول أيضاً عن الإمام أحمد بن حنبل – وهو تلميذ الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أروع ولا أعبد ولا أعلم من أحمد بن حنبل: ينظر: طبقات الشافعية لأبي عاصم محمد بن أحمد العبادي (ت 458 هـ): 12.

وكان ثمرة ذلك، مدة الاجتهاد المشرق ومن خلاله برزت العقول الإسلامية الفذة، التي استطاعت معالجة الأمور الحياتية في ضوء النصوص بتوظيف القياس والعرف وحاجة الناس المتغيرة دائماً، وترجموا عملياً صلاحية الدين لكل زمان ومكان، ولم يجدوا غرابة في اختلاف التلميذ مع أستاذه [1]. فنجد مجموعة من الآراء في مسألة واحدة. وهذا يسهل أمور الناس ويرفع عنهم الحرج.

ولم يرغب هؤلاء العلماء بفرض آرائهم، وكانوا يرجعون إلى الأدلة الأصلية، ويقفون على آراء المخالفين بدون تعصب، ثم تكون ترجيحاتهم على هذا الأساس [2].

وكان الإمام مالك يقول: ((ربما وردت عليّ المسألة، تمنعني من الطعام والشراب والنوم)) [3].

ولكن عندما حلّ الجدل، محل المنافسة العلمية الهادفة، لنصرة هذا المذهب أو ذاك، وترتب عليها خصومات وعداوات، أدت إلى إراقة الدماء فميا بعد.

وبحكم التوجهات السياسية، حصل التعصب والتحامل، وكتبت الكتب حول هؤلاء الأئمة الكبار، وحصلت معارك كلامية، وجدال بين الشافعية والحنفية على أيام المعري، هذا الجدال أثمر كتابات متعصبة في المدح والذم، لا تخدم الإسلام من قريب ولا من بعيد. في الوقت الذي كان المفروض على الفقهاء أن يكونوا هداة ودعاة وإرشاد الرؤساء لإصلاحهم [4]، خاصة وإن سلطان الدين بقي تأثيره على

ويمثل هذه الأخلاق، كان من يتبعهم، أول الأمر، ومما يذكر أنه عندما دخل حاتم بن علوان بن يوسف أبو عبد الرحمن الزاهد الأصم، أحد أتباع الإمام الأعظم بغداد. فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل عجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته، لأي معنى فقال حاتم: مع ثلاث خصال بها أظهر على خصمي، فقالوا أي شي هو قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا أخطأ وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله: ما أعقله من رجل ينظر الطبقات السنية في تراجم الشافعي – للمولى تقي الدين عبد القادر التميمي الدارمي الغزي المصري الحنفي (ت 1005 هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو: 8/3.

(1) ينظر: البداية والنهاية: 326/1.

(2) ينظر: المجتمع الإسلامي المعاصر – محمد المبارك: 81.

(3) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك – أبو الفضل عياض السبتي (ت 544 هـ) تحقيق أحمد بكير محمود: 144/1.

(4) كما فعل أبو يوسف عندما ألف كتابه – على سبيل المثال – كتاب الخراج يتضمن النصح والإرشاد للخليفة ومعاملته للناس والرحمة بهم.

الخلافة العباسية إلى وقت متأخر. بينما كان هؤلاء الفقهاء على أيام المعري سبباً في التمزق والتفرق فينصح بالصد عنهم:

والنُّسكُ لا نُسكَ موجودٌ فنبغيَهُ   فعَدِّ عن فُقهاءِ اللفظِ، مُرّاق [1]

وهو لا يعد اختلافهم في الرأي رحمة على ما يبدو فيقول:

أجازَ الشافعيُّ فعالَ شيءٍ   وقالَ أبو حنيفةَ لا يجوزُ
فضلَّ الشيبُ والشبانُ منا   وما اهتدتِ الفتاةُ ولا العجوزُ
لقد نزل الفقيهُ بدار قومٍ   فكانَ لأمرهِ فيهم نجوزُ
ولم آمنْ على الفقهاءِ حبساً   إذا ما قيلَ للأمناءِ حوزوا [2]

ذلك لأن الفقهاء كانوا في تلك الأجواء السياسية المضطربة – التي تحدثنا عنها – فلحق الزيف في المواقف، وتحول الإفتاء إلى جدال وحوار لغرض الجدال، وكان هذا على ما يتضح من قوله المتقدم مدعاة لتضجره من الفقهاء، وتأكيداً على ذلك يقول:

الظلم أكثر ما يعيشُ بها الفتى   وأقلُّ شيءٍ عندَهُ الإنصافُ
مُنعتْ من القسم الحقوقُ كأنها   رجزٌ تهافتَ ما له إنصافُ
وعُنوا، فقال الشافعيُّ ومالكٌ   وأبو حنيفة قبلُ والخصّافُ [3]

ويقول في رسالة الغفران: ((وفي الناس من يتظاهرُ بالمذهبِ ولا يعتقده يتوصل به إلى الدنيا الفانية، وهي أغدرُ من الورْهاءُ الزانية)) [4].

---

(1) اللزوميات: 208/2.
(2) اللزوميات: 624/1.

(3) م. ن: 158/2 (منعت من القسم الحقوق: أي منعت مما هو مقسوم لها، تهافت: تساقط. الخصاف: هو أبو بكر أحمد بن عمر صاحب كتاب الحيل الشرعية).
(4) الغفران: 461.

الخطباء والوعاظ:

يقول شاعرنا:

وخَطيباً لو قامَ بينَ وحُوشٍ ... علَّمَ الضارياتِ بِرَّ النِّقادِ [1]

أي لو خطب بين الوحوش ووعظها، لم تعد السباع على الغنم لخلوص المعتقد والطوية، مع حسن البيان والموعظة، لأن الموعظة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب [2].

وعلى أيام المعري، الذي انتهت إليه مرحلة مد الشعر، برز على الساحة الخطيب ورجل الدين [3].

ويرى أبو العلاء أن: ((قول الحق زكاة اللسان)) [4] ولكن يريده مع الفعل، والذين يعنيهم أبو العلاء في هذا المجال هم الخطباء والوعاظ.

ولمن يعظ الواعظون في تلك الأجواء؟

يوفي على المنبر العالي خطيبُهُمُ ... وإنما يعظُ الآسادَ والنُّمُرا
هُمُ السباعُ إذا عنت فرائسُها ... وإنْ دعوتَ لخيرٍ حُولوا حُمُرا [5]

فالموعظة والنصيحة لا تكفي، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه العزيز: ((وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)) [6].

فهو كثيراً ما يؤكد على التفاوت بين القول والعمل:

---

(1) شروح السقط: 988/3 (النقاد: صغار الغنم، الضاريات: السباع).

(2) م. ن: والصفحة.

(3) الشعر العربي المعاصر – الجماليات المتجددة للقصيدة العربية: 61.

(4) الفصول والغايات: 263.

(5) اللزوميات: 496/1 (حولوا حمرا: أي تحولوا حميراً).

(6) القرآن الكريم – سورة النمل – الآية: 25.

رويـدَكَ قـد غُـررتَ وأنـتَ حـرٌّ بصـاحب حيلـةٍ يعـظ النّسـاءَ
يحـرم فـيكمُ الصـهباءَ صُـبحاً ويشـربُها علـى عمـدٍ مسـاءً [1]

لذلك فإن أبا العلاء يستغرب كيف لا يهتز المنبر فيقول:

كـذبٌ يقـالُ علـى المنـابرِ دائمـاً افـلا يَميـدُ لمـا يُقـالُ المنـبرُ؟ [2]

الزهاد والمتصوفين:

لم يتعرض أبو العلاء للسالكين في طريق الله، لمن حسنت سيرهم، وزكت أخلاقهم، وتطهرت قلوبهم، إذ لم نجد مثل هذا في آثاره.

فأبو العلاء يرى في صفات الزهد والتصوف: من الصمت والحزن والتواضع وتطهير القلب بالكلية مما سوى الله تعالى فضائل يدعو إليها. بما في ذلك التوكل على الله. والثقة بالله دون البشر.

إن من الأرواح ما لا يشبعها. ومن النفوس ما لا يقنعها إلا مزيد من الحب لله والرسول (صلى الله عليه وسلم). ويتبعون أي سبيل لتحقيق صفاء هذا الحب. وكان من وسائله الزهد والتصوف[3]. بل استعدادهم لفناء الذات في الحب الإلهي[4].

---

(1) اللزوميات: 61/1 ومثل ذلك ينظر: م. ن: 474/1.

(2) م. ن: 448/1.

(3) ينظر: إحياء علوم الدين: 43/3 و 47/3 و 59/5 ن 62/5.

(4) ينظر: الغزالي – كارادوفو: 181 ويعد البارون الإمام الغزالي ((مثالاً على صوفي بالغ العظمة)) ينظر: 181، لأن الغزالي لم يشتهر بكونه صاحب كرامات وهو عالم بالأخلاق وعلم النفس، ولأن الإمام الغزالي يرى أن حب الله إذا قوي وغلب على القلب استولى عليه. فيتعدى إلى كل موجود سواه، فإن كل موجود أثر من آثار قدرته، وإذا ما انتهى الحب إلى هذه الدرجة، أدى إلى نوع من الفرح يزول معه كل مكروه، وعاد الذي يحب بهذا الحب لا يفرق بين البلاء والنعمة، فكل من الله.

وفي حقيقة الأمر أن التجاوز على حدود الله الشرعية هو التصوف المتغالي لم تطمئن نفس الغزالي إليه، تأتي من أفكار خارجة عن الإسلام. ينظر: الغزالي فقيهاً وفيلسوفاً ومتصوفاً – الدكتور حسين أمين: 20 و54.

وإلى هنا ينتهي كل شئ. فأبو العلاء لا تعنيه التسويغات التي تؤدي إلى التطرف بكل أشكاله. فهناك من اتخذ من الزهد والتصوف مظهراً، ومنهم من تأثر بالحب الإفلاطوني، ومنهم من تطرف وادعى الألوهية، أو تأليه أحد الرجال أو الادعاء بالاتحاد مع الله – جل جلاله – ومنهم من لجأ إلى الشطح، والدعاوى الغريبة، وارتفاع الحجاب ومخاطبته تبارك وتعالى. ومن هذه التيارات ما يأتي كرد فعل لاضطراب الأحوال السياسية العامة ومثله إلى الخلاعة والمجون [1].

ومن الصوفية من يبدل صفاته وحركاته وملبسه طريقاً نحو الله، من غير اعتماد على النقل والعقل، وإنما يعتمدون على المسائل الذوقية في هذا المجال [2].

ويتوقف أبو العلاء عند الحلاج فيقول: ((فأما الحسينُ بن منصورٍ فليس جَهلهُ بالمحصور، وإذا كانت الأمة ربما عبَدتْ الحجرَ، فكيف يأمنُ الحصيفُ البُجرَ[3]. أرادَ أن يدير الضلالة على القطب، فانتقل عن تدبير العطبِ [4]. ولو أنصرفَ إلى علاج البرس[5] ما بقي ذكر عنه في طرسْ ولكنها مقاديرُ تغشى الناظرَ بها سمادِيرُ [6]. فكون ابن آدم حصاةً أو صخرةً أجملُ به من يجعل سُخرةً [7]. والناسُ إلى الباطلِ سِراعٌ. ولهم إلى الفتنِ إشراعٌ. وكم افترى للحلاج، والكذِبُ كثيرُ الخلاج [8]. وجميعُ ما ينسبُ إليه مما لم تجر العادةُ بمثلهِ، فإنه المينُ الحبريتُ [9] لا أصدقُ به ولا كريتُ.. [10] وفي الصوفية إلى اليومِ من يرفعُ شأنه ويجعلُ مع النجم مكانه. وبلغني أن ببغدادَ قوماً ينتظرون خروجَهُ. وأنهم يقفون بحيث صلب على دجلةَ يتوقعون ظهوره. وليس ذلك ببدْع من جعل الناس، ولو عبدَ عابدٌ ظبيَ كِنَاس. فقد نزل حظٌ على قِردٍ. فظفر بأكرمِ الورد. وقالت العامَّة:

---

(1) ينظر: معالم الشعر وإعلامه في العصر العباس ي الأول 0(عصر الدولة الموحدة) – د. محمد نبيه حجاب: 25.

(2) ينظر قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 73.

(3) البجر: جمع جرة وهي العيب.

(4) العطب: القطن.

(5) البرس: القطن أيضاً.

(6) السمادير: شئ يتراءى للإنسان من ضعف بصره، أو عن سكر أو دوار أو نعاس، أو هو الكلول في البصر، واحده سمدار.

(7) والسخرة: من يسخر به، ولعل المعنى: أجمل به من أن يجعل سخرة وحذفت (أن) على وجه التوسع.

(8) خلجة الأمر: شغله، جد به، غمزه، وخالجه خلاجاً ومخالجة: نازعه.

(9) حنبريت: خالص، بحت.

(10) كرى الرجل يكري كرى: نعس.

اسجُدْ للقردِ في زمانه. وأنا اتحوَّبُ من ذكْرِ القِردِ الذي يقالُ: إنَّ القوادَ في زمنِ (زبيدة) كانوا يدخلون لسلام عليه. وأنَّ يزيدَ بن مزيدَ الشيبانيَّ دخل في جملةِ المسلمين فقتله)) [1].

وأبو العلاء حين يهاجم التطرف يعلم ما يرافق الحوادث من المبالغات من جهة وتملق الناس وكذبهم من جهة أخرى، وهو يشابه خروج الحلاج عن مألوف العقيدة مع قرد (زبيدة) الذي كان القواد يزورونه للسلام عليه نفاقاً [2]. لذلك كثيراً ما تلتبس الأمور كما هي مع الحلاج [3].

وعلى هذه الشاكلة يستمر أبو العلاء في رصد الواقع الديني ورفض الموضوعات التي يراها ليست من الدين في شئ من دعاة الكرامات [4] أو التنجيم [5] أو القراء [6]، أو القصاصون [7].

مع الأديان الأخرى:

أشرنا في الحديث عن الأديان. أن الإسلام منح الشعوب المغلوبة حريتهم وحمايتهم، وبقيت كنائسهم ومساكنهم ومزاراتهم، والذين يقصدونها، فلن يجول في خاطر العرب، إن يكرهوا الشعوب الخاضعة لهم على اعتناق الإسلام. ومنحوا المسيحين واليهود والأديان الأخرى حق ممارسة عبادتهم [8]. ولم يحصل للحكومة الإسلامية أن تدخلت في خصوصيات الشعائر الدينية لأهل الذمة [9].

---

(1) الغفران: 452 – 454. وينظر فضائح الباطنية: 109.
ونقل متز قول المعري مضيفاً: وكان لا يزال في عصر أبي العلاء قوم في بغداد ينتظرون خروجه... الخ ينظر الحضارة الإسلامية: 65/2.

(2) ينظر: أبو العلاء ناقد المجتمع: 128.

(3) ينظر: الأنساب للإمام السمعاني (ت 564 هـ) تقديم وتعليق – عبد الله عمر البارودي: 292/2 وينظر أعلام التصوف في الإسلام – د. محمد جلال شرف: 39– 40.

(4) اللزوميات: 578/2.

(5) م. ن: 493/2.

(6) م. ن: 496/1.

(7) م. ن: 117/2.

(8) ينظر شمس الله تسطع على الغرب – د. سيجريد هونكه – ترجمة وتحقيق وتعليق د. فؤاد حسنين علي: 268.

(9) ينظر: الحضارة الإسلامية: 87/1– 88.

فاليهود يتصورون أن الله – جل جلاله – خاص بهم، ووصفوه بصفات البشر عز وجل – وينسبون إليه المال وحركات الإنسان، وعند المسيحية التثليث: الأب ويعنون به الله، والابن أي الكلمة، وروح القدس: الحياة، وعندهم الاتحاد والحلول [1]. – هذا على سبيل المثال. وفي حالات التجاوز، فإن السلطة لا تقف مكتوفة اليد [2]. لأن الأساس التعايش بسلام. وهذا ما يتمناه المعري ولكن:

عدمتكِ يا دنيا، فأهلكِ أجمعوا   على الجهل طاغٍ: مسلمٌ ومعاهدُ [3]

وحارب أبو العلاء جميع التضليل الذي لحق الأديان، وكل تقوقع فكري، والمشاحنات كافة، والحروب التي قامت بين الأديان[4] التي أشار إليها الشهرستاني[5]، وتحدث أبو العلاء عن جانب منها [6]. مع علمه أن العيب ليس بالأديان السماوية ولكن بتفسيرها حسب الأهواء:

وإذا ما سألت أصحابَ دينٍ   غَيَّروا بالقياس ما رَتبوهُ
لا يَدينونَ بالعقُولِ ولكنْ   بأباطيل زُخرفٍ كَذّبوهُ [7]

وعلى أية حال، فإن أبا العلاء عندما يعطي رأياً، إنما يمثل وجهة نظره من الزاوية التي يقف بها. وحتى إذا كان في ذلك شئ من المبالغة. إلا أن له أصلاً في الواقع، حيث يمارس الدين بالطقوس والشعائر وبالأقوال دون الأفعال. وليس كما يقرر الدكتور عبد القادر زيدان إنما مرد ذلك ((إلى خلق وشك داخل أبي العلاء))[8].

(1) ينظر الملل والنحل – الشهرستاني: 25/4، وينظر المسيحية – د. أحمد شلبي: 59.

(2) يحدثنا الطبري في تاريخه بأمر المتوكل سنة 235 بأخذ النصارى وأهل الذمة كلهم بلبس الطيالسة والعسلية والزنابير وركوب السروج... وأمر بهدم بيعهم المحدثة... وأن يجعل على أبواب دورهم صور من خشب مسمورة تفريقاً عن المسلمين. ينزر الطبري: 354/7– 355.

(3) اللزوميات: 311/1.

(4) م. ن: 204/2.

(5) الملل والنحل: 16/2 وينظر زهرة الآداب وثمرة الألباب – حوادث (سنة 403): 288.

(6) ينظر الصاهل والشاحج: 495.

(7) اللزوميات: 609/2، وينظر: م. ن: 268/2 و 567/1.

(8) قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 327.

فالعصر يشهد ببعض ما يقول أبو العلاء، فقد حصلت أعمال خارجة عما يرتضيه العقل والمنطق [1].

وعندما يخضع أبو العلاء أحكامه للعقل، فعن هذا الطريق استطاع أن يكشف الزيف والخلل. ولا يتطلب الأمر مرة أخرى حكم الدكتور عبد القادر زيدان بقوله ((إن أبا العلاء يلتقي مع الاتجاه الاعتزالي، أو إذا غالينا في القول مع الاتجاه الإلحادي)) [2]، والأمر لا يحتمل، وقد يكون في مجال الشك الذي ينتاب الفلاسفة أحياناً [3].

ولأنه في هذا المبحث هو المدعي والحكم، فما وجدنا منه إلا القساوة والشتيمة، ولا يعني ذلك أننا نجد مسوغاً لتحامله الذي يطلقه عاماً مطلقاً دون تقييد، ولكن نقلت بأمانة وجهة نظره الشخصية. وفي هذه الحالة لا يعني أني أقف إلى صفه بهذا التوجه. فهذا النقد العنيف لرجال الأديان وبأسلوبه الغامض مع ما سلكه في حياته كان مبعث التهم له. لأن الناس ليس في داخله ولا يقرأون ما خلف السطور الأمر الذي دعاه إلى تأليف كتاب زجر النابح [4] يوضح القصد في الأبيات التي أثارت القالة والشكوك ومن جملة ذلك على سبيل المثال دفاعه عن أبيات:

يا عالَمَ السَّوءِ ما عَلِمنا ... أن مُصَلّيكَ أتقياءُ
لا يكذِبَنَّ امرءٌ جهولٌ ... ما فيكَ للهِ أولياءُ [5]

فقال في الرد على من اعترض عليه في هذين البيتين:

((هذه مخاطبة لعالم السوء دون عالم الخير ومعلوم عند كل ذي لب، أنه ليس فيمن وصف بذلك ضير، ولا يلتمس عنده مير... [6] وفي هذه الأمة معشر

---

(1) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول.

(2) قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 327.

(3) كما يؤيد ذلك وأشار إليه غوستاف لوبون، ينظر كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 148 وينظر دائرة المعارف الإسلامية – كتاب الشعب: 551/1 وينظر قصة الإيمان: 112 حيث أكد الشيخ نديم الجسر ذلك. وقد سبق ذكره.

(4) زجر النابح – لأبي العلاء المعري – تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي والمحقق هو جزء من الكتاب الذي عثر عليه.

(5) اللزوميات: 50/1.

(6) مير: أي جلب لهم الطعام.

كفرة كلهم يزعم انه لله ولي، وأن شيوخه الذين يأخذ عنهم أبرار أتقياء. وكل فرقة مدعية على الأخرى ضد ذلك. وفي الكتاب العزيز ((قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ(24)))[1]. وإن هذا الصدق خالص، وإن الصالحين في البشر لأقل من الغراب الأعصم... وأما ذم المصلين الذين ينطوون على نية ليست بجميلة فقد نطق به الكتاب الكريم في قوله تعالى: ((فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5))[2]...))[3] وهكذا يخرّج كثيراً من الأبيات بهذه الطريقة. التي تتضح صعوبتها على الآخرين، وما الداعي لذلك يا أبا العلاء ؟.

(1) القرآن الكريم – سورة ص – الآية: 24.

(2) القرآن الكريم – سورة الماعون – الآية: 4- 5.

(3) زجر النابح: 8- 9.

المبحث الثالث
المؤسسة الاجتماعية

المجتمع:

انسحب أبو العلاء من المجتمع، وأصبح لا يكاد يستصوب كثيراً من تصرفات أفراده، لأنه انسحب، وفي نفسه شئ من عدم الرضا، فتكونت العلاقة بينه وبين المجتمع على هذا الأساس إلى حد ما، لأن ((المجتمع هو علاقة بين الأفراد)) [1].

لذلك فإن هناك المزيد مما يمكن أن يقال حول فكر المعري، فهو لم يقف عند السلطة الحاكمة، أو الواقع الديني، وإنما تعدى ذلك إلى المجتمع، لأن نظمه مترابطة ومتكاملة [2]، فيعد الاهتمام به، وبأنظمته هو المقصود من السياسة نظرياً [3].

ومع انسحابه وتألمه ((كان يعيش قضايا الإنسان من خلال رؤيته لواقع المجتمع الذي يعيش فيه، وعصره الذي قدر له أن يكون من بين رجالته، وكانت محنته وقل مأساته، ما كان يجد من انفصال حاد بين ما يظهر للرأي وبين ما يخفى)) [4] بين القول والفعل من سلوك مزدوج، فضلاً عن النفاق الذي يتخذه الناس وقاية من بطش الظالم هذا النفاق يعده أبو العلاء نتيجة القهر والخوف من الأذى، وليس أخلاقية يدعو إليها أو يوافق عليه:

أمسى النِّفاقُ دروعاً يُسْتَجنُّ بها   من الأذى ويقوّي سَرّدَها الحلِفُ [5]

(1) العرب والتربية والحضارة – الاختيار الصعب: 21.

(2) ينظر: دراسة المجتمع – مصطفى الخشاب: 119.

(3) ينظر العقل بين الحضور والغياب في انطلاقة النهضة العربية الحديثة –علي عطية عبد الله – مكانة العقل: 135.

(4) قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 256.

(5) اللزوميات: 154/2 (يستجن بها: يستتر بها، سردها: نسجها).

فهي ظاهرة مدانة عند كل الناس، وعيب من عيوبهم يشاركهم فيها:

أنافقُ في الحياةِ كفعلِ غيري ... وكل النَّاس شأنُهُمُ النّفاقُ [1]

ولأنه يعتقد ذلك فيقول:

طباعُ الورى فيها النّفاقُ فاقصِهم ... وحيداً ولا تصحبْ خليلاً تنافقُه [2]

العلاقات الاجتماعية:

يخاطب أبو العلاء ربّ العزة قائلاً: ((ربَّ العزةِ إنْ شِئْتَ.. جَمَعتَ العالَمَ في مثلِ السِّنفْ، وطوائِفَ الأرْضِ في أصْغَرَ من حَلقَةِ الدِّرع، ولا يُعْجِزُ قدرتكَ المُسْتَصْعَباتُ)) [3].

إلا أن الواقع يشير إلى التفاوت الطبقي، والتوزيع غير العادل في الأرزاق:

ورد القومُ بعدما باتَ كعبٌ ... وارتوى بالنميرِ وفدٌ ظِماءٌ [4]

ولم يكن أبو العلاء متسرعاً في الحكم على المجتمع، لكن تأتي أحكامه منسجمة مع الأحداث في حينها، وليس لمجرد التفكير بلؤم الناس كما ذهب أحد الباحثين [5].

أو أساءَ الظن بكل شئ من خلال عادات الناس وتقاليدهم كما تصور باحث آخر [6]، لأنه لا بد من بين طلابه أو أصدقائه ممن يثق بهم، ينقلون إليه هذه الصور

---

(1) م. ن: 184/2.

(2) اللزوميات: 181/2.

(3) الفصول والغايات: 328 (السنف: وعاء ثمرة المرخ، ويقال السنف الورقة من المرخ).

(4) اللزوميات: 58/1 – 60 (كعب: هو كعب بن مامة الأيادي، وقصة اروائه مضيف النميري وحرمانه نفسه من الماء مشهورة، النمير: الزاكي من الماء).

(5) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه – حنا فاخوري: 85/2.

(6) ينظر عبقرية الخيال في رسالة الغفران – عمر أنيس الطباع: 18.

من المجتمع، ولعلهم يرغبون في تعبئته بسبب تألمهم من تردي الأوضاع ليزداد هجوماً على المجتمع الذي بدأت عوامل الانحلال تتولى عليه، وأسباب التدهور تتضاعف من الداخل ومن الخارج [1]. وأصبح المجتمع لا يسوده العقلاء والفضلاء والنبلاء. فيواجه أبو العلاء هذا الوضع:

والناسُ شتى فيُعطي المقتَ صادقُهم ... عن الأمور ويحبى الكاذِبُ المَلِقُ
يغدو إلى المين من قلّتْ دراهِمُهُ ... فيجمعُ المالَ ما يفري ويختلِقُ
وربما عَدَلَ الإنسانُ مهجَتَهُ ... في الصدقِ حين يرى جدَّ الذي يَلِقُ [2]

وأصبح في المجتمع خاصة وعامة، ويشير أبو العلاء إلى دخائل النفوس فيقول: ((والسائسُ في الجمازة وهي من اللبّدِ، يحَسُّ الدابة ويرى أنه أولى بناصيتها من مالكها...)) [3] ولعل هذا من إفرازات المجتمع، عندما يرفل الوضيع بالنعيم، بينما ذو الخلق الرفيع في ضائقة. وهناك من المعدمين، وهو يستقبل الشتاء بلا غطاء وآخرون متخمون، تتضاعف عليهم المدخولات:

لقد جاءنا هذا الشتاءُ وتحتَهُ ... فقيرُ مُعرّى أو أميرٌ مدوجُ
وقد يُرزَقُ المجدودُ أقواتَ أمّةٍ ... ويُحرمُ قوتاً واحداً وهو أحوجُ [4]

وهناك الشاب الفقير المحروم، وهو في عز الشباب يواجه الدنيا مع العدم، بينما نجد الرجل الطاعن بالسن يعيش بالنعيم:

يعيش الفتى في عُدمهِ عيشَ راغبٍ ... ويثري مُسِنٌّ للمَعيشةِ سائم [5]

---

(1) ينظر الشعر والشعراء في العصر العباسي – الدكتور مصطفى الشكعة: 171.

(2) اللزوميات: 182/2 (يفري: يكذب، يلق الكلام: يدبره).

(3) الصاهل والشاحج: 168.

(4) اللزوميات: 253/1 (المدوج: لابس الدواج، وهو نوع من الثياب يشبه اللحاف من حيث الكثافة، وكونه محشوا قطناً أو صوفاً).

(5) م. ن: 389/2.

ومن نتائج هذا الوضع البائس:

مظـالمٌ أخـذ مـا لا يحـل لـه ومنصفٌ ظَلَّ فيهم ليس ينتصِفُ [1]

ونـال أبـو العـلاء مـن ظلـم المجتمـع فـاتهموه بالزندقـة والإلحـاد، ولم تكـن العلاقات كما يتمنى بأن يسود العطف حتى على الحيوان، فتصدى من خلال الصفاء والنقاء الروحي والجسدي الذي يمتلكه لظلمة المجتمع من الطغاة والبغاة.

ولماذا لا يهجم على هؤلاء ؟ فمن الذي تطوع لحماية المخلصين في هذا المجتمع، حتى نلومه على هجومه على الباغين في زمانه ؟

وهو في الأصل لا يريد الهجاء، ولا يشجع عليه. والذين يسلكون هذا المسلك وصفهم بالبؤس لأنهم يشتمون الناس [2]. فلا يقصد أبو العلاء هذا الهدف. فما كان الهجاء أن يضر المهجو فيقول: ((ما نطق ابنُ الزِّبعرى لَغَيرُ لاحقٍ بالشّعرى وما أرسله الحُطيئَةُ من كَلِمٍ بِمُقانٍ [3]، ذهب فلم يُعْلقْ بالزِّبرقانِ، وما ضرَّ فوارسَ المروتِ [4] هدرُ الفرزدقِ بشدقٍ مهروتٍ [5]، وأن دراماً [6] ذات الشرف لم ينقص شرفها من قرير، تهكمٌ ينقلُ عن المرءِ جرير)) [7].

فيرى المعري:

إذا قضـى الله بالمخـازي فكـلُّ أهليـكِ أشـقياءُ [8]

---

(1) م. ن : 152/2.

(2) ينظر الفصول والغايات: 428.

(3) من قنية: أي دانية، ومن قانيت، أي خلطت.

(4) المروت: واد لبني كليب بن يربوع، قوم جرير.

(5) المهروت: المشقوق.

(6) دارم: قوم الفرزدق من سادات بني تميم.

(7) الصاهل والشاحج: 175 – 176.

(8) م. ن: 50/1.

فيبدأ يكشف عن المجتمع دون أن ينزه نفسه عن الرعية:

وقد غلبَ الأحياءَ في كل وجهةٍ ... هواهمْ وإن كانوا غطارفةً غُلْبا
كلابٌ تغاوتْ أو تعاوت لجيفةٍ ... وأحسبُني أصبحتُ ألأمَهَا كلباً [(1)]

وقد تولى الغرباء السيطرة على المجتمع، بينما صار أولو الفضل في أوطانهم غرباء فيقول:

أولو الفضل في أوطانهم غرباءُ ... تشذّ وتنأى عنهمُ القُرباء [(2)]

فكثر النفاق الاجتماعي، وبرزت الطبقية بين الناس:

فإنّ الغِنى والفَقْرَ في مَذْهبِ النُّهى ... لسيّانِ بلْ أعفَى مِن الثّروةِ العُدْمُ [(3)]

ويعلق البطليوسي في شرحه: ((إن الغنى والفقر، وإن كان أحدهما عند الناس محبوباً والثاني مكروهاً، فإنهما فيما يوجب العقل مستويان، لأن الإنسان لا يفضل بكثرة المال وإنما يفضل بشرف الأفعال، وكرم الخلال، أو بعقل وعلم يسود بهما على الأقران والأمثال)) [(4)].

ولكن المجتمع لا يلتفت إلى رأي أبي العلاء، فيعود يتألم، فليس كل المجتمع على مذهب النهى، حتى يفضلوا الفقر على الغنى، وهؤلاء الأغنياء منعوا حتى الزكاة وانقلبت الموازين:

يا قوتُ ما أنتَ ياقوتٌ ولا ذهبٌ ... فكيف تُعجِزُ أقواماً مساكينا؟
وأحسبُ الناسَ لو أعطوا زكاتهمُ ... لما رأيتُ بني الإعدامِ شاكينا
فإن تعشِ تبصر الباكين قد ضحكوا ... والضّاحكينَ لفرْطِ الجَهْلِ باكينا [(5)]

---

(1) م.ن: 114/1 (تغاوت: تجمعت. الغطارفة: جمع غطريف: السيد الشريف).
(2) اللزوميات: 41/1.
(3) شروح السقط: 1155/3 (سيان: أي مثلان: الثروة: المال الكثير. والعدم: الإعدام).
(4) شروح السقط: 1155/3.
(5) اللزوميات: 517/2.

ومن جملة ما ترتب على هذه الطبقية ما أنطق المعري:

فمـا لـي لا أقـولُ، ولـي لسـانٌ وقـد نَطَـقَ الزّمـانُ بـلا لسـانِ
وبيعـت بـالفلوس لكـل خَـزْيٍ وُجُـوهٌ كالـدّنانيرِ الحسـانِ [1]

ولا عجب فإن الفقر من الظواهر الاجتماعية الخطيرة:

والفقـرُ مـوتٌ غـيرَ أنَّ حليفَـه يُرجـى لـه، بتمـولٍ إنشـارُ [2]

فهو ينطلق من الواقع الاجتماعي الذي أفرزه الواقع السياسي فيقول:

حـديثُ فـواجرٍ وشِـرابُ خمـرِ وقتلـى يُطرَحـونَ لأُمّ عمـرو
وملِـكُ جولَـةٍ وقيـامُ أُخـرى كـذاكَ الـدّهرُ أمـرٌ بعـد أمـرِ [3]

لـذلك كـان فقـدان الوحـدة الاجتماعيـة، وغيـاب روح التكافـل، بسـبب اضطراب الحياة السياسية [4].

الأسرة:

حـدثنا التـاريخ علـى أيـام المعـري، عـن احتـدام الخـلاف بـين أفـراد الأسـر الحاكمة ولعل ما استعرضناه في مدة حكم بني بويه من وضع مزر، دليل حق وشاهد صدق، حيث تقطعت عرى هذه الأسر الحاكمة. لذلك لا نعدم انتقال هذا الوضع إلى عموم الأسر المحكومة في ذلك المجتمع [5]، الذي أصبح في عمى:

ويصـيرُ الأقـوام مثلـي، أعمـى فهَلُمّـوا في حِنـدِسٍ نتصـادم [6]

(1) م. ن: 567/2.

(2) م. ن: 451/1 (الانشار: القيامة من الموت).

(3) م. ن: 548/1 (الشراب، مصدر شاربه: شرب معه. أم عمرو: كنية الضبع).

(4) ينظر علم الاجتماع – فاروق محمد العادلي: 45– 46.

(5) ينظر الجواري والشعر في العصر العباسي الأول – الدكتورة سهام عبد الوهاب: 25 وما بعدها.

(6) اللزوميات: 488/2.

ويرى أبو العلاء إن من طالت صحبته مع الأيام، رأى أموراً غريبة وأحوالاً عجيبة لم يعهدها... ومن طال عمره، جرب الناس وعرف الأمور [1]:

ومــن صــحبَ الليــالي علّمتــهُ　　　خِـداعَ الإلْـفِ والقيـلَ المُحـالا [2]

ويعلق البطليوسي بقوله: الإلف: الصاحب الذي تألفه ويألفك. ومن صحب الليالي والأيام واحتاج إلى مصاحبة الكرام واللئام، اضطر إلى المخادعة في المقال[3].

ومما يواجه به واقع الأسرة قوله: ((أهلُ البيتِ بالوليدِ فرحونَ، وهمْ بالشيخِ متبرمونَ، كلامُ هذا يستظرفُ، وكلامُ ذاكَ خَرَفُ)) [4] وهذا إيذان لنتعرف الأسرة من الداخل.

الرجل:

((الرجل مغرور بمحبة الأولاد، لا ينزل أحداً منزلتهم في الوداد، فلذلك تراه أبداً يسعى لهم بجد واجتهاد)) [5] فيقول أبو العلاء:

والمــرءُ يحتــالُ ويغتــالُ مــا　　　عــاشَ ويأتــالُ بقصــدٍ وميــل [6]

ويعد فهولاء الرجال الآباء هم جناة، لأنه يخشى على الأولاد الشقاء حتى ولو أصبحوا ولاة أو خطباء:

علـى الولـدِ يجني والـدٌ ولـو أنهـمْ　　　ولاة علــى أمصــارهم خُطبــاءُ
وزادك بُعــداً مــن بنيــك وزادَهــم　　　عليــك حقــوداً أنهــم نُجبــاءُ [7]

(1) شروح السقط – التبريزي: 81/1.
(2) شروح السقط: 81/1.
(3) م. ن: 92/1.
(4) الفصول والغيات: 267 (الخرف: فساد العقل).
(5) شروح السقط – الخوارزمي: 1940/5.
(6) شروح السقط: 1940/5.
(7) اللزوميات: 42/1.

وكان مما يقوله أبو العلاء: ((أوردني أبي مورداً لا بدَّ أن أرده، ووالله لا أوردتُه أحداً بعدي)) [1].

المـرأة:

يشير ابن الجوزي إلى تدهور الأحوال الاجتماعية، ومنها ما يتعلق بالمرأة التي كانت على حال توجب النقد، فعلى سبيل المثال – أنه تم الحظر على خروج النساء ((من منازلهن والاطلاع من سطوحهن، ودخول الحمامات، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف لهن)) [2] وقتل عدة نسوة خالفن هذا الأمر، وعينت عجائز لتقصي أخبار العلاقات المشبوهة. وعندما تكونت مجموعة من النساء المخالفات أغرقن، ومتى ما تخرج المرأة من بيتها أبيح دمها. ((فكانت المرأة إذا ماتت كتب وليها رقعة إلى قاضي القضاة يلتمس غاسلة لغسلها فتوقع إلى صاحب المعونة إذا صح عندك وفاة المرأة المذكورة، أمرت رجلين من ثقاتك أن يحملوا الغاسلة تغسلها ثم تعاد إلى منزلها)) [3].

ومع كل ما اتخذته السلطات من إجراءات قاسية لمنع النساء من الخروج. كان هناك كيد النساء ما يدل على تحلل الأخلاق [4].

وكان أبو العلاء يقصد إلى الإصلاح الاجتماعي، فيهجم على الباطل بعنف مخلصاً للحقيقة، مترفعاً عن الأغراض الذاتية. ولعل اليأس يغلب عليه فيكون شعره قاتم اللون في هجومه على المرأة من خلال الواقع. فمن ((يرفض الحياة يرفض المرأة)) [5].

---

(1) مرآة الزمان – تعريف: 156.

(2) المنتظم: 268/7،حوادث سنة 405 هـ.

(3) م. ن: 7 /269.

(4) م. ن: 269/7– 270 وينظر حسن المحاضرة: 83/2.

(5) مطالعات في الكتب والحياة – عباس محمود العقاد: 117.

ولأن العار في هذا المجال خطير يلحق بالإنسان حيث كان، كما يلحقه الحتف وهو الموت فيقول:

وكانَ العارُ مثْلَ الحَتْفِ يأتي   على نأي المنازِلِ والخلاجِ [1]

لأن المرأة تمتلك من سلاح الإغراء، والفتنة ما يترتب عليه تبعات خطيرة فيقول:

لا تتبعَنَّ الغانيات مماشياً   إنَّ الغواني جمّةٌ تَبعاتُها [2]

أو لأنهن ضعيفات بطبيعتهن فيقول:

يُغادِرْنَ الكواعِبَ حاسراتٍ   يُنِلْنَ مِنَ العُداوةِ مِنِ استنالا [3]

أي أن الخيل عندما تصيب الرجال فإنها، تفجع بهم النساء، فيندبنهم ويقمن النياحة عليهم، حاسرات، ويصبحن من الذل، والضعف وعدم المنعة بحيث لا يستطعن الدفاع عن أنفسهن. فمن طلب منهن شيئاً أنلنه، أي أعطينه، وهو المقصود بقوله ((ينلن من العداوة من استنالا)) [4].

وعندما يهجم أبو العلاء على المرأة وهي نصف المجتمع [5]، ويعنف كما يبدو من خلال الواقع، فالأوضاع السياسية كانت قد أثرت على الحياة الاجتماعية، واختلطت الأجناس، وكان هناك من الظواهر الاجتماعية التي ينقدها أبو العلاء – فعلى سبيل المثال – تخرج المرأة بحجة المشاركة بحفل العرس، وهي في هذه الحالة تخرج متبرجة. متعطرة، وربما تتحلى بالأساور والحجول، فيقول:

نصحتكِ يا أمّ البنَاتِ فحاذري   وساوسَ ولاّجِ الأساوِدِ خنّاس

---

(1) شروح السقط: 4/ 1743.

(2) اللزوميات: 208/1.

(3) شروح السقط: 52/1.

(4) م. ن: والصفحة.

(5) كتبت منى عيسى هاشم البدري – رسالة ماجستير عن المرأة في أدب المعري – جامعة البصرة 1416هـ – 1995م تحدثت عن صورة المرأة في أدب المعري، الأم، الحبيبة، والزوجة، وطبيعة وسلوك المرأة.

ولا تُلبسي الحجلين بنتَكِ والبُرى   لتشهَدَ عُرسا وأشغِلنها بعرناسِ [1]

وتؤمن أحياناً بالخرافات والتنجيم، مع انكشاف كذب المنجم، فهو يخبرها بأن عمر طفلها مائة عام ويموت بعد شهر:

سالت منجّمَها عن الطفلِ الذي   من المهدِ كم هو عائشٌ من دهرِهِ
فأجابها مائة ليأخذَ درهماً   وأتى الحِمامُ وليدَها في شهرِهِ [2]

وهن يبعن الأسلحة، ويشرين الحلي:

يبعْنَ تُراثَ آباءٍ كِرامٍ   ويَشرينَ الحُجُولَ أو الحِجالا [3]

ويترتب على ذلك أيضاً أنهن يكثرن شراء اللباس والحلي، فيغلوا أسعارها ويكثرن بيع الأسلحة فترخص [4] فيقول:

يُغالينَ المَدارعَ والمَدارى   ويُرْخِصنَ المَناصِلَ والنِّصالا [5]

وتنسحب وجهة نظر أبي العلاء على النساء غير المسلمات [6]. وقد أباحت الشريعة اليهودية أن يبيع الرجل بنته بيع الرقيق ليحل به أزمته المالية [7]. وغلا رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة، فيقولون المرأة شر لا بد منه، وكارثة مرغوب فيها، وفتنة مهلكة [8].

---

(1) اللزوميات: 41/2 (الولاج / كثير الولوج، الدخول. الأساود – الواحد أسود. الحية العظيمة شبه الولاد بها. الخناس: الشيطان، وسوس له الشيطان: حدثه بشر، أو بما لا ينفع فيه ولا خير، الحجلين: الخلخالين. البري: الواحدة برة: الحلقة. العرناس: من آلات الغزل).

(2) م. ن: 570/1.

(3) شروح السقط: 56/1.

(4) م. ن: والصفحة.

(5) م. ن: 57.

(6) ينظر اللزوميات: 570/2.

(7) ينظر: المرأة في الفكر الإسلامي – جمال محمد فقي رسول الباجوري: 27/1. وينظر: عدالة الإسلام في المرأة – الدكتور عبد الرزاق السعدي: 6.

(8) ينظر: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية – د. محمد شكري سرور: 28 وما بعدها.

الأولاد:

ينجب الآباء أولاداً على شاكلتهم. فمن شابه أباه فما ظلم. لينضموا إلى ذلك المجتمع. وبناءً عليه فإن أبا العلاء لم يكن أشد وضوحاً منه في ذم النسل ويبدأ من الأصل:

أكانَ أبوكم آدمٌ في الذي أتى　　نجيباً فترجون النجابَةَ للنّسلِ [1]

ومرة أخرى لأن الحياة رفيقة الشر ونتيجتها العدم والفناء، فهو يفضل العدم على الوجود:

وأرحتُ أولادي فَهُم في نعمةِ الـ　　ـعدم التي فضلَتْ نعيم العاجلِ
ولو أنهم ظَهروا لعانوا شدّةً　　ترميهمُ في متلِفاتِ هواجلِ [2]

وعلام الفرح يا أم الطفل ؟ ((يَبْرمُ بكِ ولَدك، فبئسَ ما جازاكِ، لقدْ حملتِ فوضعتِ وغذوتِ وأرضعتِ، وسهرتِ لأجلهِ والناس نيامٌ، وآثرته على نفسكِ في أشياء كثيرةٍ فما حفظكِ ولا رعاكِ... أسملَ ثوبٌ فنبذَ، وهرِمَ عودٌ فترك بالمراحِ)) [3].

فيتمنى أبو العلاء موت الوليد ساعة وضعه:

وليت وليداً ماتَ ساعةَ وضعهِ　　ولم يرتضِعْ من أُمّهِ النُّفساءِ [4]

---

(1) اللزوميات: 315/2 وقد جاء في كره النسل شواهد كثيرة ينظر اللزوميات: 566/1، 570، 603، و 14/2، 21، 78، 79، 145، 195، 275، 280، 290، 318، 333، 345، 354، 375، 431، 440، 445، 494، 512، 518، 537، 552، 592، 619، 631، و 256/1، 323، 326، 328، 343، 345، 352، 354، 428، 437، 482، 510، 512، 520، 546.

(2) اللزوميات: 354/2 (الهواجل: الفلاة القفر التي لا أعلام فيها).

(3) الفصول والغايات: 386 – 387.

(4) اللزوميات: 63/1.

وعلام يرغبون بالولد والواقع يشير إليه أبو العلاء:

فكـمْ ولـدٍ للوالـدينِ مضـيِّعٍ يُجازيهمـا بُخـلاً بمـا نَجـلاهُ
طوى عنهما القوتَ الزهيدَ نفاسة وجـرّاهُ سـاراً الحَـزنَ وارتحـلاهُ [1]

فهو لم يشجع على الزواج، لأنه وسيلة لإنجاب الأولاد، وتحملهم الشقاء في هذه الدنيا، مثل آبائهم، وكان أساساً قد ذم الرجل والمرأة:

فـأفٍ لعصـريْهِمْ: نهـارٍ وحِنْـدسٍ وجنْسـي رجـالٍ مـنهمُ ونسـاءِ [2]

وأبو العلاء يواجه المشكلة عندما لا يكون خياراً أمام النسل، فإنه يحبذ ما ينفع المجتمع. وهذه إشارة نستخلص منها أن أبا العلاء، لو تخيل الأولاد نافعين في مجتمع يسوده العطف والرحمة والتعاون لما حارب النسل، ولاحترم الآباء والأمهات على حد سواء.

ويارك المجتمع في حياته، ولكن الحال كما علمنا، وهي على أية حال وجهة نظر لأديبنا المعري. وهو كالعادة لا يفضل نفسه على البشرية فيقول:

لـو أنّ بـنيّ أفضـلُ أهـلِ عصـري لمـا آثـرتُ أن أحظَـى بنسـلِ
فكيـفَ وقـد علمـتُ بـأن مثلـي خسـيسٌ لا يجـيءُ بغـيرِ فَسْـلِ [3]

ولعل هذه الإدانة، جاءت عندما وجد أن الأفكار هي مجرد أحلام وأمنيات، ومن نتائجها العملية أنه لم يتزوج فعلاً. وقاوم حاجة ليس من اليسير أن تقاوم. وما أردنا الوقوف عليه، هو وجهة نظر أبي العلاء من خلال تصوره عن المجتمع، تمهيداً لتعرف فكره الذي نسعى إلى التوصل إليه في هذا البحث، ولم نرد الوقوف على

---

(1) م. ن: 594/2.
(2) م. ن: 63/1 (العصر هنا اليوم والليلة. الحندس: الليل المظلم).
(3) اللزوميات: 345/2 (الفسل: الرذل الذي لا مروة له).

كيفية نقد المجتمع [1] أو تحليل دخائله من اتخاذه المواقف اتجاه قضايا العصر من تشاؤم او حيرة [2].

فالدكتور عبد القادر زيدان يرى مثلاً أن عزوف أبي العلاء ((عن الزواج ورفضه له، إنما يعلن في الحقيقة عن عدم مشاركته في هذه اللعبة السخيفة التي تمارس باسم الحياة)) [3]. ولعله عبر عن الواقع المرير الذي يحسه أبو العلاء باللعبة السخيفة، فأبو العلاء لم يقل عن هذه العملية (لعبة سخيفة)، فيما يذكر الدكتور زيدان في مكان آخر انه ((كان على أبي العلاء أن يختار فاختار العدم منذ البدء، ومن ثم جاءت هذه الراحة التي رضيها لأولاده، بعد أن فشل في تحقيق الراحة لنفسه)) [4] ويعود مرة أخرى ليذهب في تأييد الشيخ أمين الخولي في عزوف أبي العلاء عن الزواج بسبب العجز الجنسي ويقول: ((أحسب أنه ترجيح مقبول)) [5].

فهذه الأفكار لسنا بصددها، وحسبنا من الموضوع أنه لم يتزوج لأنه لم يشجع على النسل لرؤيته الخاصة عن الحياة، وفي ذلك شواهد كثيرة أشرنا إليها.

ومن خلال التعمق في شعره. نلمس أنه يشتهي النساء ويعرف مقدار الفتنة. وسلطان المرأة القاهر، ويقف على أساليبها لتلفت عناية الرجال وتشغلهم:

فوارسُ فتنةٍ أعلامُ غيٍّ	لقينَكَ بالأساورِ معلِمات
وشنّفنَ المسامعَ قائلاتٍ	وكلّمْنَ القلوبَ مكلّمات
وقد يُصبحنَ عن برٍّ ونسُكٍ	بأطيبِ عنبر متنسّمات
كأن خواتمَ الأفواه فُضّتْ	عن الصُّهْب العِذاب مختَّمات
خمورُ الرّيقِ لسْنَ بكلِّ حالٍ	على طُلابهنّ محرَّمات
ويتركنَ الرّشيدَ بغيرِ لبٍّ	أتينَ لهدْيه متعلمات [6]

(1) فقد كتب زكي المحاسني كتابه (أبو العلاء ناقد المجتمع).

(2) فقد تناول هذا الجانب الدكتور عبد القادر زيدان في كتابه (قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري).

(3) قضايا العصر في أدب أبي العلاء: 274.

(4) م. ن: 278.

(5) م. ن: 289.

(6) اللزوميات: 231/1 – 236 (معلمات: موسومات بعلامات، أو مزينات. كلمن: جرحن. فضت: فتحت. الصهب: العذاب أراد بها الإسنان).

المبحث الرابع
المؤسسة التعليمية

مكانة العلم:

يقول الله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) (1) والتمهر في العلوم ومجالسة أهل الآداب والحلوم... هو مما يحتاج إليه الملوك)) (2)، وفي التراث العربي الإسلامي لا شئ أعز من العلم. وعلى أولي الأمر توفير مستلزماته (3).

ولعل منزلتي المجد والكرم إنما تنالان بالسيف وبالقلم (4)، فامتدح أبو العلاء تلك الكف التي لا تخلو من قلم أو سيف فيقول:

فمنْ صارمٍ بالكفّ يُحمَلُ كُلّهَا ومنْ صارمٍ يختصّ بعْضَ الأناملِ (5)

وازدهرت الثقافة منذ أيام المأمون، بما في ذلك العلوم الصرفة (6). وتحدثوا عن القلم والدواة والكلم (7). وساهم التدوين والترجمة في انتشار الثقافة. وكان العلماء يحثون على العلم فيقول أبو حيان التوحيدي وهو من المعاصرين لأبي العلاء: ((جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء)) (8) وكتب الخطيب البغدادي وهو معاصر

---

(1) القرآن الكريم – سورة المجادلة – الآية: 11.

(2) الخراج وصناعة الكتابة: 46 وينظر كتاب مقامات العلماء بين الخلفاء والأمراء – الغزالي – تحقيق محمد جاسم الحديثي: 47.

(3) ينظر القرآن الكريم والمجتمع الحديث – عبد الرزاق نوفل: 177.

(4) ينظر صبح الأعشى: 264/14.

(5) شروح السقط: 1083/3.

(6) ينظر تاريخ التمدن الإسلامي – جرجي زيدان، ج3. وينظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – طه باقر: 235.

(7) ينظر عيون الأخبار: 49/1.

(8) رسالة الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي – تحقيق: الدكتور إبراهيم الكيلاني: 53.

لأبي العلاء أيضاً (ت 463 هـ) (كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) تحدث فيه عن آداب التعلم [1]. وكانوا يقصدون وجه الله بتعليم من علموا.. [2].

وألفت الكتب في المجالات المختلفة، ثم توسعت مراكز العلم في الكوفة والبصرة وبغداد والشام [3]. وكانت بغداد لغاية خلافة القادر بالله (ت 422 هـ))) مركزاً علمياً مخلصاً لاستراتيجية المأمون الثقافية)) [4].

الواقع العلمي:

إن الاضطرابات السياسية التي رافقها تدهور في الأوضاع الدينية والاجتماعية رافقها تطور وازدهار في العلم كما أشرنا [5]. وفي الوقت نفسه كانت الأزمة الفكرية بين النقل والعقل، وما سببته من خلافات بين المسلمين قائمة.

وأبو العلاء الذي لم تترك له التجارب غرضاً في مودة أحد من الرؤساء والأمراء والفقهاء والقضاة والرجال والنساء عموماً، إلا القلة الصالحة بسبب الظروف، فإن الوضع مع المؤسسة التعليمية يختلف إلى حد ما. ذلك أن التنافس الذي حصل بين العلماء بتأثير الاضطرابات السياسية كان له أثر في ظهور الكتب فيقول:

لولا التنافُس في الدنيا لما وُضعَتْ ... كتبُ القناطرِ لا المُغني ولا العُمَدُ
قد بالغوا في كلامٍ بانَ زُخرُفُهُ ... يُوهي العيونَ ولم تثبُت له عُمَدُ [6]

---

(1) ينظر: الجامع لأخبار الراوي وآداب السامع – الخطيب البغدادي – تحقيق: الدكتور محمود الطحان: 105 – 165. وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للسيوطي شرح وتعليق مجموعة من الأدباء: 330/2.

(2) ينظر: أدب الدنيا والدين – للماوردي – تحقيق: مصطفى السقا: 76.

(3) يشمل الازدهار القرنين الثالث والرابع حيث انتشرت الكتب ومنها كتب الفلسفة والمنطق والحكمة. ينظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام – دي بوت ج – ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة: 18 وينظر: المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة – عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي: 40.

(4) تكوين العقل العربي – الجابري – مكانة العقل: 256. وتمثل رسائل أخوان الصفا نماذج في نظريات التعلم وقدرات المتعلم ومواصفات المعلم واختبارات الذكاء والقدرات العقلية.. ينظر الرسائل: 262/1 و50/4 و114.

(5) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول.

(6) اللزوميات: 321/1.

وكانت هناك المجالس العلمية بفضل اهتمام الرؤساء والوزراء [1]. وزاد الإقبال على دراسة العلوم الإسلامية لأنها من الواجبات على كل مسلم ومسلمة. إلا ان الأمر لا يعدم تحولاً عن الهدف وتغير الأوضاع فيقول أبو العلاء:

فُقِـدتْ فِي أيامـك العلمـاءُ ... وادلهمَّتْ عليهمُ الظلّماءُ
وتغَشّ دهماءَنَا الغَيُّ لمّا ... عُطّلتْ من وضوحها الدّهماءُ [2]

ويعود أبو العلاء إلى العقل لاعتماده في الحكم على العلم السائد لاتخاذ الموقف المناسب دون التسليم للتقليد فيقول:

هل صحّ قولٌ من الحاكي فنقبَلَهُ ... أمْ كلُّ ذاك أباطيلٌ وأسمارُ؟
أما العقولُ فآلت أنّه كذبٌ ... والعقلُ غرْسٌ له بالصدقِ أثمارُ [3]

لأن أبا العلاء يهدف إلى العلم النافع فـ:

إذا كان علمُ الناسِ ليس بنافعٍ ... ولا دافعٍ فالخسْرُ للعلماءِ [4]

وهذا الأمر مدعاة للحسرة فيقول:

فَهمُ الناس كالجهولِ وما يظـ ... ـفر إلاّ بالحسرة الفهماءُ [5]

وهذا التردي الذي شمل العلم هو على نطاق جميع أهل الأديان رجالاً ونساء [6]. الأمر الذي حمله للقول: ((ما يجمل بالرجل من الصالحين أن يصيب من

---

(1) كما هو الحال على سبيل المثال الصاحب بن عباد (ت 385 هـ) وقد جمع كتباً عظيمة كان يحتاج إلى نقلها أربعمائة جمل. ينظر: المنتظم: 181/7

(2) اللزوميات: 57/1 (الدهماء من الناس: عامتهم، والدهماء، من الدواب التي اشتدت خضرتها حتى قاربت السواد. يريد غلب على عامتنا الجهل والضلال حين فقدت العلماء المرشدين لها الذين كانوا فيها بمنزلة الأوضاح في الفرس الدهماء).

(3) اللزوميات: 435/1.

(4) م. ن: 64/1 (الخسر: الهلاك).

(5) م. ن: 60/1.

(6) ينظر: اللزوميات: 337/1.

سفرجل جنة في النعيم الدائم وهو لا يدري كيف تصغيره وجمعه ولا يشعر أيجوز أن يشتق منه فعل أم لا)) [1].

وكالعادة يحاول أن يذوب نفسه مع المجموع تواضعاً فيقول:

ولمّا رأيت الجَهْلَ في النّاس فاشياً   تجاهَلْتُ حتّى ظُنَّ أنّيَ جَاهِلُ [2]

ولعل هذا يعني من وجهة نظر أبي العلاء انتفاء فاعلية التعليم في التغيير الاجتماعي لاضطراب الأوضاع [3].

ويسلط أبو العلاء الضوء على جانب من هذا الواقع. الذي تأثر بالأوضاع العامة بقوله: ((ربما لقينا مَن نَظرَ في كتبِ الحكماء. وتبعَ بعضَ آثارِ القدماء، فألفيناهُ يستحسِنُ قبيحَ الأمور، ويبتكرُ بلُبِّ مغمور، إن قدرَ على فضيع ركبَهُ، وإن عرَف واجباً نَكبه، كأنَّ العالَم سعَوا له في إفقادٍ، فهو يعتقدُ شرَّ اعتقاد، وإن أُدِعَ وديعةً خانَ، وإن سُئلَ عن شهادةٍ مانَ، وإن وَصف لعليلٍ صفةً، مما يَحفِلُ أقتَله بما قال، أم ضاعفَ عليه الأثقالَ بل غرضُه فيما يكتسِبُ، وهو إلى الحِكمةِ مُنتَسِبُ.

وربَّ زارٍ بالجهالةِ على أهلِ ملّةٍ، وعلَّتُهُ الباطنةُ أدهى علّة، وإن البشرَ لكما جاءَ في الكتابِ العزيزِ: ((مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) [4] وهنا تتضح قدرة أبي العلاء على النقد [5].

---

(1) رسالة الملائكة: 28 – 29.

(2) شروح السقط: 528/2 (فشا الشيء يفشو، إذا كثر).

(3) ضحى الإسلام – أحمد أمين: 15/3.

(4) الغفران: 464 – 465 (يبتكر: ابتكر الفاكهة باكورتها). والآية الكريمة من سورة الروم – الآية: 32 ومن سورة (المؤمنون) – الآية: 53.

(5) ينظر: خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصبهاني الكاتب (ت 596 هـ) – تحقيق: محمد بهجة الأثري: 104/3 هامش المحقق.

فكما تأثرت المؤسسة الدينية، تأثرت المؤسسة التعليمية [1] ولا يعفي أبو العلاء الأدباء من مسؤولية تردي الأوضاع فيقول:

ومـا أدَبَ الأقـوامَ في كـلّ بلـدةٍ إلى المـينِ إلّامعشـر أدبـاءُ [2]

ويتصدى أبو العلاء إلى الخلافات العلمية بين علماء النحو فيقول: ((كَذَبَتِ النُّحاةُ أنها تعْلَمُ لمَ رُفِعَ الفاعلُ، ونُصِبَ المَفعولُ، إنما القَومُ مُرجمون، والعلمُ لعالِمِ الغيوب خالقِ الأدب والآداب)) [3].

فأبو العلاء لا يستهين بالأمر عندما يختلط الجاهل بالعالم، بل يعد ذلك من شرور الدنيا فيقول:

يكفيكَ شرّاً من الدُّنيا ومنقَصةً أن لا يَبينَ لك الهادي من الهاذي [4]

أبو العلاء معلماً:

تجاوز المعري رحلة طلب العلم والحفظ والاستظهار فكان يمارس النقد والتحليل، ويميز بين الخطأ والصواب، ولعل العلوم اللغوية ((هي أظهر الفنون التي درسها أبو العلاء... وهي التي أنفق أيام عزلته في درسها للناس)) [5].

ويشهد له في ذلك ابن القارح. فقد ورد في معرض رسالته ((الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل)) [6] وهناك من الباحثين المحدثين

---

(1) ينظر: الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع: 63، وينظر: كتاب آداب المعلمين لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن سحنون – تعليق: محمد العروسي المطوي.

(2) اللزوميات: 43/1.

(3) الفصول والغايات: 78 ويرى أحمد أمين أن سمة نقد المعري أما خيالية كما في رسالة الغفران وأما فلسفية دينية أدبية كما في عبث الوليد ومعجز أحمد ينظر كتابه النقد الأدبي: 451/2.

(4) اللزوميات: 409/1، ويؤيد هذا الثعالبي معاصر أبي العلاء بقوله: (العلماء غرباء لكثرة الجهال) ينظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ت 429) تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو: 164.

(5) تجديد ذكرى أبي العلاء: 227، وينظر: الحضارة الإسلامية – متز: 462/1 فيه إشارة لمكانة أبي العلاء في هذا المجال.

(6) الغفران: 26، وينظر الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: 146/4.

من يعده من أعلم المدارس النقدية في مجال الانتفاع من النص الأدبي، بروح العلم ومقياس الصحة في مجال التفسير اللغوي والنحوي للنص الأدبي [1].

وكان أبو العلاء يشجع على التجديد، فقد اهتم بالشعر المحدث، وشرح دواوين البحتري وأبي تمام والمتنبي. ويرى السيد وليد محمود خالص أنه لم ((يكن المعري ليرضى عن هذا التكلف والتعسف الذي جعله النحاة من دعائم منهجهم في دراسة موضوعات اللغة والنحو...))) [2]. ويرى أبو العلاء أن التعليم المناسب يتم ((بثلاثة أشياء: بالقياس الثابت والعيان المدرك والخبر المتواتر، في الوقت الذي يلتزم منهجاً واحداً يعتمد الموضوعية والتروي في جميع مباحثه النقدية على السواء)) [3].

ولاحظ وليد محمود خالص أن أبا العلاء لا يسمي السرقة في الشعر بهذا الاسم (السرقة) وإنما يسميها الأخذ، وتعطي المعنى نفسه مع الفارق ((إذ ان السرقة من حيث هي فعل منكر قبيح يتهم الشاعر بشاعريته وبموقفه الأخلاقي)) [4] وهذا يدل على الروح السامية في مجال العلم وما يتطلبه من أخلاقية في الأداء.

ويتواضع أبو العلاء ويحترم آراء الغير فيقول: ((يزعمون أني من أهل العلم، أنا منه خلو إلا ما شاء الله، ومنزلتي إلى الجهال أدنى منها إلى الرهط العلماء)) [5].

ويدعوا إلى التفكير:

فكرّوا في الأمورِ يُكشف لكم بعـ ـض الذي تَجهلونَ بالتفكير [6]

---

(1) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري – الدكتور منصور عبد الرحمن: 150.

(2) أبو العلاء المعري ناقداً: وليد محمود خالص: 217.

(3) م. ن: والصفحة وينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (ت 542هـ): ق4 / مج 1 / 88.

(4) أبو العلاء المعري ناقداً: 135.

(5) رسالة الملائكة: 49.

(6) اللزوميات: 602/1.

فكان ((على وعي تام بوظيفة المثقف الحقيقية، فقد أدرك أن الثقافة تعني الاستقامة في ميادين الفكر والعقل والروح والنفس والعمل)) [1].

وقد اتخذت العلوم مناهج خاصة وأساليب علمية في تنظيم المعارف ولعل ما يدل على ذلك خطبة الكتاب في الفهرست لابن النديم عام (377 هـ) [2]. فضلاً عن اختلاط العلماء وما يترتب عليه من اكتساب المعارف [3]. والحديث عن الجوانب التربوية يأتي استكمالاً لصورة الواقع في ذلك العصر.

واستكمالاً لهذا المبحث أيضاً، نأتي إلى المعاهد والأماكن المخصصة للعلم وطريقة التعليم، وبذلك ليس لنا عودة إلى هذا الموضوع في المؤسسة العلائية.

المساجد:

كانت المساجد أكبر معاهد للدراسة واهمها، تؤدي مهمة التعليم مثل مساجد بغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة ومصر والشام، يتلقى الناس فيها العلم، وتكونت فيها حلقات الدرس، ((وكان في كل جامع كبير مكتبة لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجامع)) [4].

وكان التعليم أمراً لازماً للدعوة الإسلامية من أجل إبلاغها للناس، فاختلط التعليم بالوعظ والإرشاد، ويمثل ضرباً من المواعظ الدينية بالتذكير الروحي.

وسرعان ما أصبح المسجد المركز الرئيس للتعليم، فكان عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) يجلس بفناء الكعبة، ويقصده المسلمون من أقصى البلاد يسألونه.

---

(1) المعري وأزمة الشاعر المثقف – د. عبد الفتاح نافع – مجلة البصائر، مج 2، العدد 2: ص66.

(2) الفهرست – لابن النديم: 3 وما بعدها.

(3) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق – لأبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه – تحقيق: حسن تميم: 49.

(4) ينظر: صبح الأعشى: 390/3، وينظر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه – الدكتور عبد الحليم منتصر – 64-65.

وفي زمن التابعين كان للحسن البصري (ت 110 هـ) حلقة كبيرة في مسجد البصرة، وكانت المدة من مطلع القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الثالث من أزهى عصور التعليم المسجدي، فالجامع الأزهر الذي أنشأ في سنة 361هـ أصبح جامعة حقيقية في زمن العزيز الفاطمي، انتظمت فيه الدراسة سنة (378 هـ)[1].

وتطور الأمر إلى مجالس المناظرة في العلوم كافة، في اللغة والفقه، وازدهرت هذه المناظرات على أيام المعري، وكثيراً ما تنسحب هذه المناظرات إلى قصور الخلفاء أنفسهم [2].

وقد ألف السيوطي كتابه (الأشباه والنظائر) من هذه المسائل الخلافية، وشهد أبو العلاء هذه الحلقات والمناظرات عندما كان في بغداد [3]. وأحياناً تكون هذه المناظرات حامية جداً، كما حصل في مجادلة بين البيروني (ت 440 هـ) وابن سينا [4]. وبرز كثير من العلماء، امتدح بعضهم أبو العلاء مثل الخطاط أبي الحسن علي بن هلال ابن البواب الكاتب (ت 413 هـ) يقول:

ولاحَ هِلالٌ مثلُ نُونِ أجادَهَا   بجَاري النُّضارِ الكاتِبُ ابن هِلالِ [5]

وكتب إلى أبي حامد بن محمد الاسفراييني (ت 406 هـ) الذي كان يدرس في بغداد ويحضر مجلسه ما بين ثلاثمائة وسبعمائة فقيه [6].

الكتّاب:

مما يذكر أن أساس التعليم كان بالكتّاب، وكان الكوفيون يعلمون الأولاد، وينتهي بهم الأمر إلى حلقة في المسجد، وحسب اجتهاد المعلمين، ويتعلمون

(1) ينظر: صبح الأعشى: 410/3، وينظر: تاريخ التمدن الإسلامي: 142/4،وينظر: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى – محمد عبد الرحيم غنيمة: 26– 27 و46.

(2) ينظر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه: 51.

(3) ينظر: عصر الدول والإمارات – د. شوقي ضيف: 277.

(4) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية – ف بارتولد– ترجمة حمزة طاهر: 76.

(5) شروح السقط: 1197/3.

(6) ينظر: الحضارة الإسلامية – متز: 333/1.

على حسابهم الخاص على يد معلم الكتاب، وبعض المعلمين كانوا يعلّمون حسبة لله لا يأخذون على تعليمهم أجراً [1].

((ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً (كتّاباً) بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز)) [2].

وانتشرت الكتاتيب: ((في أنحاء المدن والقرى، وقد تكون إلى جوار المساجد وقد تكون بعيدة عنها)) [3]، وفي الشام كانت الكتاتيب منفصلة عن المساجد وكان الصبيان يتعلمون فيها القراءة والكتابة [4] والغرض من تعليم الصبيان عند القابسي (ت 403 هـ) الذي يمكن أن نجعل كتابه الأساس في الكلام عن هذا الموضوع في القرن الرابع الهجري لأنه: ((مرآة للعصر الذي عاش فيه)) [5] ومهما يكن من أمر فإن الغرض هو تعليم فضائل القرآن، وآداب حامله،وحكم الوالد الذي لا يعلم ابنه القرآن والكتابة والخط والإعراب والقراءة الحسنة... الخ [6].

المكتبات ودور العلم:

ازدهر بيت الحكمة زمن المأمون، وهي في الأصل للعلم وليس للعبادة. وأساس الفكرة هي المكتبة. ثم تطورت إلى دور العلم حيث تلقى فيها المحاضرات العلمية والثقافية. وكما أصبح فيها أيضاً الترجمات وتبادل الرأي وتطورت من المكتبات ودور العلم إلى ما يشبه ((الأكاديمية للبحث العلمي)) [7].

---

(1) ينظر البيان والتبيين: 208/1، وينظر: ضحى الإسلام: 50/2.

(2) ينظر: كتاب آداب المعلمين – تعليق محمد العروسي المطوي: 33.

(3) التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي – الدكتور أحمد فؤاد الأهواني: 52.

(4) م. ن: 98.

(5) م.ن: 43 ويتضح أن القابسي اعتمد على كتاب محمد بن سحنون.

(6) ينظر: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن علي بن خلف المعروف بالقابسي (403هـ): 287/1.

(7) تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى: 51. وذكر الدكتور محمد عجاج الخطيب بأن ((المكتبات في الإسلام قد نشأت مع نشأة المساجد)) ولم نجد لهذا الرأي ما يدعمه (ينظر كتابه لمحات في المكتبة والبحث والمصدر: 29) سوى ما أشرنا إليه من صبح الأعشى في الحديث عن المساجد ووقف الكتب فيها.

وجاء في رسالة الغفران على لسان جارية: ((أتدري من أنا يا عليَّ بنَ منصور ؟ أنا توفيقُ السوداءُ التي كانت تخدُمُ في دارِ العلم ببغدادَ على زمانِ أبي منصور محمد بن علي الخازن، وكنت أُخرجُ الكتبَ إلى النُّسَّاخِ)) [1].

وفي سنة (382 هـ) أسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي دار العلم حيث جعل داراً في الكرخ سماها دار العلم. ((وكانت هذه الدار مقصد العلماء والأدباء، وممن تردد عليها الفيلسوف الشاعر المشهور أبو العلاء المعري خلال إقامته في بغداد. وله فيها أبيات عامرة بالإخلاص والشوق إلى مجالسها الفياضة بالعلم والأدب [2]، ومن ذلك يخاطب خازنها:

أخازنَ دارِ العِلْمِ كمْ من تَنُوفَةٍ   أتَتْ دونَنَا فيه العَوازِفُ واللُّغْطُ [3]

وكذلك اتخذ الشريف الرضي (ت 406 هـ) ((داراً سماها دار العلم وفتحها لطلبة العلم)) [4].

وفي سنة أربعمائة بنى الحاكم داراً للعلم، ونقل إليها الكتب العظيمة، وأجلس فيها الفقهاء والمحدثين، إلا أنه بعد مرور ثلاث سنين، هدم الحاكم هذه الدار وقتل خلقاً ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة [5].

وأرسل الحاكم بأمر الله إلى والي حلب وأعمالها (الوزير الفلاحي) ليحمل أبا العلاء إلى مصر ويبني له دار علم يكون متقدماً فيها. وسمع بخراج معرة النعمان واجتمع بأبي العلاء وأخبره فاستمهله وكتب إلى الوزير الفلاحي يستعفيه من ذلك فأعفاه [6].

---

(1) الغفران: 287.

(2) تاريخ الجامعات الإسلامية:57.

(3) شروح السقط: 1632/4 (التنوفة: البرية. والعوازف: من عزيف الجن. واللغط: من الغط القطا).

(4) الحضارة الإسلامية – متز: 330/1.

(5) ينظر: حسن المحاضرة: 282/2.

(6) ينظر: في أدب مصر الفاطمية – د. محمد كامل حسين: 91.

المدارس:

المدرسة في المفهوم الذي يتبادر إلى الذهن باجتماع الأستاذ وطلابه في مكان مخصص تحتضنه الدولة هو من مستحدثات القرن الرابع الهجري. ومن أوائل الذين بنوا المدارس هو الوزير نظام الملك [1]. ((وقد جمع الناس على طبقاتهم... ليدّرس فيها الشيخ أبو إسحق الشيرازي، فجاء الشيخ ليحضر الدرس، فلقيه صبي في الطريق فقال يا شيخ كيف تدرس في مكان مغصوب ؟ فرجع الشيخ واختفى. ثم إن نظام الملك احتال على الشيخ.. حتى درّس بها)) [2].

ويذكر السيوطي ربما كانت أول مدرسة هي البيهقية بنيسابور قبل نظام الملك، وانتشرت بعد ذلك المدارس باحتضان الدولة لفكرة المدرسة واتخاذها مركزاً لنشر العلم وكانت من أهم المدارس المدرسة النظامية في بغداد [3]. وهذا الانتشار بعد وفاة أبي العلاء.

وتأخر بناء المدارس لأنه كان هناك من فقهاء العصر ((من اعتبروا بناء المدارس (بدعة) بدعوى أن العلم إنما كان يتلقى على عهد السلف الصالح في المساجد)) [4].

---

(1) وهو قوام الدين الحسن بن علي الطوسي، استوزر للسلاجقة (456 – 485).

(2) حسن المحاضرة: 255/2.

(3) ينظر: م. ن: 256/2 – 257 و 373. وينظر: ضحى الإسلام: 278/2 – 289. وتاريخ الجامعات الإسلامي: 68 – 75 وينظر: مدارس بغداد في العصر العباسي عماد عبد السلام رؤوف: 13– 14.

(4) وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعصر – د. محمد عابد الجابري: 41.

المبحث الخامس
المؤسسة العسكرية

أجواء الحرب:

كان أبو العلاء، على وعي تام بما يحيط بالبلاد العربية الإسلامية من أعداء، خصوصاً الأطماع البيزنطية في بلاد الشام. فالروم في حالة استعداد دائم للغزو، ويحلمون بعودتهم إلى البلاد، التي نزحوا عنها صاغرين بعد الفتح الإسلامي الأول.

إذن الشام مهددة، ومعرة النعمان ليست في مأمن، وأبو العلاء بلا شك قد علم بالآثار المادية والنفسية لغزوات الروم. وكيف نشروا الفساد والدمار. فقد اضطر الناس إلى أن ينهزموا ويتجهوا إلى بغداد لعلهم يجدون عوناً من الحكومة المركزية هناك، وتكونت لديهم الفكرة لملاقاة الروم وتجهيز الجيش في زمن عز الدولة بختيار بن بويه،ولكنهم لم يوفقوا لذلك. حيث ابتز بختيار أموال الخليفة بهذه الحجة. وفعلاً أخذ ما لدى الخليفة من أموال. ولكنه أخذ المال لصالحه.

وخفضت أصوات المطالبين بالجهاد، ونسوا العدو المتربص بهم وليعودوا إلى الصراع والاقتتال فيما بينهم. وكان من نتائج ذلك تقسيم الشام والجزيرة، وتوقف أبو العلاء، عند ذلك قائلاً:

أرى حَلَباً حازها صالحٌ ... وجالَ سنانُ على جِلّقا
وحسّانُ في سَلَفَيْ طَيّءٍ ... يُصَرِّفُ من عِزّه أبلَقا [1]

وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على اقتسام هذه المنطقة وابتلعوها فعلاً، ولكن الظاهر صاحب مصر – الذي تولى الحكم بعد الحاكم بأمر الله – لم يدعهم يهضمونها بسهولة ويسر. فأرسل قواته لمحاربتهم. فقتل صالحاً وابنه الصغير،

---

(1) اللزوميات: 201/2.

واستطاع ابنه شبل الدولة أن ينجو بنفسه،ويملك حلب. وهرب حسان إلى بلاد الروم[1].

وهذا جزء من الواقع السياسي للأمة الإسلامية بشكل عام. والذي ساعد على انفصال الأقطار عن الحكومة المركزية. ليحل القتال بين هذه الأقطار بدلاً من الوحدة في الداخل. فيما تدخل الأعداء من الخارج فيصف أبو العلاء هذه الاضطرابات بقوله:

والشامُ فيه وقودُ الحربِ مشتَعِلٌ   يشبُّهُ القومُ شُدّتْ منهمُ الحُجُزُ
وبالعراقِ وميضٌ يستهلُّ دَماً   وراعدٌ بلقاءِ الشرِّ يرتجزُ [2]

أما العدوان الصليبي المتوقع باستمرار على الشام فكان على مقربة من أبي العلاء:

إذا دنوتِ لشام أو مررتِ به   فنكبيه وراء الظهر أو حيدي
فقد غيّر الدهرُ منه بعدَ مبتهجٍ   والحد السيفُ فيه بعد توحيدِ [3]

القواد والجنود:

كان أمير الجيش هو الخليفة، أومن ينوب عنه من قواده. وذلك لقدسية الجهاد في الإسلام (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[4]. وكانت الأمة بأجمعها تمثل الجيش العامل الفعال[5].

---

(1) وكما أشرنا لذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(2) اللزوميات: 623/1 (يشبه: يوقده. الحجز، الواحد حجاز: ما يشد به الوسط في تشمير الثياب. ارتجز الرعد: سمع صوته متتابعاً) وينظر: معجم الأدباء: 120/3.

(3) اللزوميات: 383/1.

(4) القرآن الكريم – سورة الحج – الآية: 78.

(5) ينظر: تاريخ العرب – فيليب متى – ترجمة محمد مبروك نافع: 212/1.

وتجمع الأدبيات السياسية في العالم الإسلامي على القول: إن الركنين الأساسيين والضروريين لبناء الدولة والحفاظ عليها هما الجند والمال [1].

فعبارة (الملك بالجند والجند بالمال) تتكرر في تلك الأدبيات كإحدى بديهيات الفكر السياسي [2].

لذلك تحدثت المصادر عن صفات القادة والجنود، بأن يكونوا من ذوي البأس لأنهم حملة السلاح، وبهم يدفع الأعداء. وتفتح البلدان، ولا يقبل من كان معتاداً للرقة والراحة، ولكن قوادهم أبرهم قدراً. وأعرفهم بالوقائع والحروب ومكايدها، ويعرف ترتيب الجنود وتنظيمهم وتقسيمهم. كأن يجعل على كل عشرة قائداً، وعلى كل عشرة من القواد رئيساً، وهكذا حتى ينتهي إلى القائد الأعلى. ويتفقدهم في كل مدة، ويطالع أحوال العدو في كل ساعة بالجواسيس ولا يغفل أمره. وأن يخفي أخباره عن عدوه بكل ممكن، ويسترها عمن يخاف سريرته، ولا يثق بمستأمن من جهة العدو، إلا بعد خبرة حاله وصفاء نيته، ويتخذ الكمائن، ويحذر كمين الأعداء، لا يستصغر عدوه، ويقابله بما يقابل الأمر العظيم. إذ لا معول على ريب الزمان وليجعل المحاربة آخر حيلة، فإن النفقة فيها من النفوس وفي غيرها من المال. يقسم الغنائم على أصحابه بالعدل ويرضينهم بقدر الإمكان، ويقدم من يجب تقديمه... [3].

وكان هناك ديوان خاص للجيش، يتضمن استحقاق الجنود ومعرفة أوقات أعطياتهم، وفي بداية القرن الرابع كان أمير كل ولاية هو قائد الجيش، وتأتيه الأخبار من صاحب البريد في جميع النواحي بما في ذلك تحديد الطرق والمسالك.

وتطور الجيش العباسي، وزاد عدد أفراده إلى مئات الألوف ودخل فيه العنصر الفارسي، ثم العنصر التركي. وكان لتدخل العجم وسيطرتهم على مقاليد الجيش، مساوئ كثيرة. ولتعدد الجنسيات والقوميات حصلت المنافسة بين الأتراك والديلم.

---

(1) ينظر: الخراج وصناعة الكتابة: 30.

(2) ينظر: العقل السياسي العربي: 165.

(3) ينظر: سلوك المالك في تدبير الممالك: 183.

ومما ظهر في هذه الفترة، في القرن الرابع الهجري، الاقطاعات العسكرية وهي أسوأ أنواعِ الاقطاع في زمن البويهيين، حيث وزعوا اقطاعات على قادة الجيش والجند عوضاً عن رواتبهم. وعندما تنعدم خصوبة الأرض يردونها إلى الدولة، ويأخذون أحسن منها خصباً [(1)].

وتدهورت أحوال الجيش وأخذ القادة المسلمون يستعينون بالأعداء في محاربة بعضهم البعض فيقول أبو العلاء:

حالتْ عُهودُ الخلق كم من مسلمٍ   أمسى يَرُومُ شفاعَةً بمُعاهدِ [(2)]

وأصبح المسلمون في حالة خوف من الأعداء فيقول:

أعُبَّادَ المَسيحِ يَخَافُ صَحْبي   ونحنُ عبيدُ من خَلَقَ المَسيحا [(3)]

قال أبو العلاء هذا في قصيدة، وملك الروم قد خرج إلى أرض المسلمين، وخاف الناس الذين في مواجهة العدو، فرحلوا عن أوطانهم. ويوضح التبريزي المعنى بقوله: ((إنَّا لا يحسن بنا ونحن عبيد الله أن نفرق من عبّاد المسيح))[(4)].

ويخاف أبو العلاء على الأرض والعرض فيفكر بالقائد لمواجهة زعيم الروم. فقد اضطرب الناس ويقولون أنه: ((قد نهدَ إلى أرضِ المسلمينَ)) [(5)].

ويتمنى أبو العلاء تكذيب هذه الأخبار، وفي الوقت نفسه يثق بمواجهتهم فيقول: ((والسيدُ عزيزُ الدولة وتاجُ الملةِ أميرُ الأمراءِ – أعزَّ اللهُ نصره – بردُّها حقيقٌ، وإني لأحسَبُ هذا الخبرَ كذباً إن شاءَ اللهُ)) [(6)].

---

(1) ينظر: المنتزع من كتاب التاجي: 21، وهذه الاقطاعات يسميها الماوردي: اقطاع الاستثمارات العسكرية. ينظر: الاحكام السلطانية والولايات الدينية:194 – 198، وينظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: 383، وينظر: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 15 و 36 و 47.

(2) اللزوميات: 393/1.

(3) شروح السقط: 246/1.

(4) م. ن: والصفحة.

(5) الصاهل والشاحج: 415.

(6) م. ن: والصفحة وعزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء: هو فاتك الرومي أبو شجاع مولى سنجوتكين غلام العزيز بالله صاحب مصر. تولى حلب سنة 407 هـ إلى أن قتل سنة 413 هـ. وقد مر ذكره في المبحث الثاني من الفصل الأول.

وفي المواجهة الحاسمة يريد أبو العلاء السرعة، وإخماد نار الحرب وهزيمة العدو بفضل القائد الذي: ((ركبَ لحياطةِ الجاليَةِ وكَفَّ الدَّعرةِ وقد سكنت الدَّموكُ المجَعْجعةُ لطعامِه على النَّقَمْي،... وهو بإقبال السيد عزيز الدولة أمير الأمراء... متجلِّدٌ على ذلك لم يبِنْ فيه الخَوَرُ ولا الضعفُ. فمثله مثل سميِّه من الشعرِ وهو الوزنُ الكاملُ تذهبُ منه ست حركات فلا يغيضُ ذهابُهنَّ منه، بلْ يمكث على السَّجيَّةِ المعهودةِ، ولا يَعلَمُ ما ذهبَ منه إلا أهلُ الخِبرةِ)) [1].

ثم يبدأ أبو العلاء يوضح كيف يسهل الأمر على الآخرين، من أهل الفضل ويعبرون على الشدائد، ويتحملون المعاناة. بينما يتحمل ويتكلف بقية المسؤولين من أصحاب المعونة والقاضي، وأصحاب المهن المختلفة، وعامة الناس، يتكاتفون في مواجهة العدو لغاية النصر [2]. لأن القائد هو القدوة في ذلك. وهذه نماذج متكررة لاستمرارية الحروب، من ذلك قصيدته التي مطلعها:

أعَنْ وَخْدِ القلاصِ كَشَفْتِ حَالا ومِنْ عندِ الظَّلامِ طلَبْتِ مَالا [3]

قالها في سعيد الدولة حفيد سيف الدولة سنة 390 هـ. وقد كانت إمارته للمدة (380– 390 هـ) وقد أشار أبو العلاء إلى الحروب في القصيدة [4].

ولحصول بعض الهفوات، والتردد في مواجهة العدو أحياناً بعد معرفتهم بقدوم العدو. فهؤلاء يجعلون أبا العلاء يتذكر القائد العربي فيقول:

((ولو كان لهؤلاء القوم الظاعنينَ فارسٌ مثلُ (العُرَني) وفرسٌ كالعَرَادةِ، لأخذ لهم الخَفَرَ من (حَلَب حرسَها اللهُ) في الوقت الذي ليس بمتَطاولٍ، فإن الأخبارَ تختلفُ عند البيَانِ)) [5].

---

(1) الصاهل والشاحج: 446 (الدموك: الرحى، والدمك: الطحن. والنقمي من النقم: سرعة الأكل، وهو بإقبال: الضمير لوالي مصر).

(2) م. ن: 447 وما بعدها.

(3) شروح السقط: 25/1 (الوخد: نوع من السير سريع. القلوص: الناقة الفتية. يخاطب نفسه منكراً عليها مواصلة السير الذي لا يجلب الرزق. وقوله: من عند الظلام: أراد إدمانها السير في الليل.).

(4) م. ن: والصفحة.

(5) الصاهل والشاحج: 483.

ويمثل ذلك بالمعنى الذي يتم بالبيت الواحد من الشعر. فمثله القائد الذي يحسم الأمر منذ اليوم الأول. وبعضهم لا يتبين إلا في البيتين. ومثله القائد يحتاج إلى يومين. والشاعر الثالث لا يكمل المعنى إلا في البيت الثالث، وكذلك القائد، لا يكمل النصر إلا في ثلاثة أيام، ومثله في الأبيات والأيام الأربعة [1].

ولذلك طالما تحقق النصر في النتيجة فهو يحمد للسيد عزيز الدولة تدبيره على أية حال [2].

وهذا يشير بوضوح إلى أن القادة ليسوا على منزلة واحدة. فقد يكون للقائد أسباب تساعده على دحر العدو، ويكون فعلها مؤثراً في نفوس الأعداء فينال مراده، في صيانة ما يريد صيانته وحفظه، وابتذال عدوه. أي إباحة دمه وانتهاك حرمته فيقول أبو العلاء:

تكادُ سوابقٌ حَمَلَتْهُ تُغْني   عن الأقدارِ صَوناً وابتِذالاً [3]

والنفس الطويل الذي يتمتع به القائد:

يمِلُّ بها السَّباسِبَ والمَوَامِي   فتىً لم تُخشَ همَّتُهُ مَلالا [4]

فلهذا القائد همة لا تَملُّ ابداً لأنها لا تزال تطمع إلى عظائم الأمور، ومهما ركضت الخيل وجرى العساكر، وتمل البراري، تمل وتشكو من ركض خيله فيها وهو لا يمل [5].

وذكي القلب يهتدي بغريزة العقل، في توفير مستلزمات النصر، من إكرام الخيل بأن جعل جلالها حريراً، وأبدلها في الحروب جلالا من دم، فيصفه بذكاء القلب حيث تفطن لهذا الأمر من المجازاة [6] فيقول:

---

(1) م. ن: 483 – 484.

(2) الصاهل والشاحج: 484.

(3) شروح السقط: 44/1.

(4) م. ن: 58/1 (أرض سبسب: أي لا شئ فيها).

(5) م. ن: والصفحة.

(6) م. ن: 60/1.

ذكيٌّ القلبِ يَخْضِبُها نَجيعاً   بما جَعَل الحريرَ لها جِلالا [1]

وثقة يحترم كلمته:

متى يُدنْ على بَلَدٍ بسوطٍ   فقد أمِنَ المُثقَّفَة النِّهالا [2]

فهذا القائد، إذا أمن أهل بلد، أمنوا من أن يغار عليهم وتعرض لهم [3]. وهو في استعداد دائم:

ويُضْحي والحديدُ عليه شاكٍ   وتكفيه مهابتُهُ النِّزالا [4]

((والمعنى أنه لا يزال لابسا للسلاح، لا ليدافع عن نفسه بالسلاح لأنه مهابته ووقعه في النفوس، قد أغنته عن أن يقاتل أحداً وينازله وإنما يلبس السلاح لأن لبسه أحزم في الحروب وأحسن)) [5].

لذلك فإن من صفات القائد المطلوبة: المهابة في نفوس الأعداء:

تكاد قِسيُّهُ من غيرِ رامٍ   تُمكِّنُ من قُلُوبهم النِّبالا
تكادُ سُيوفُهُ من غيرِ سلٍّ   تُجِدُّ إلى رقابِهِم انسلالا [6]

---

(1) م. ن: والصفحة.

(2) م. ن: 62/1.

(3) شروح السقط: 62/1 شرح البطليوسي (والمثقفة: الرماح المقوسة بالثقاف،وهي خشبة تقو بها الرماح. وذكر السوط لأن المجير من العرب. كان إذا أجاز أحداً أعطاه سوطه فيحتمي به حيثما ذهب أو أعطاه سهماً من سهامه يكتب عليه فلان جار فلان).

(4) م. ن: 65/1.

(5) م. ن: والصحفة.

(6) م. ن: 43/1 – 44.

ومن صفاته أيضاً:

وقد كان يهوى الطّعنَ أما قناتُهُ   فذات لمىً والخِرصُ كالناب أشنبُ
ودرعُ حديـدٍ عنـدَه دِرعُ كاعـبٍ   من الودّ واسمُ الحرب هندٌ وزينـبُ [1]

وهكذا فإن هذا القائد، أغناه حب النزال عن الحب والغرام، ويبقى أمثال هؤلاء القادة ((يتهللون طلاقة سائلة جراحهم بالدم الأحمر)) [2] لأنهم يتصفون ((بالشجاعة وقلة المبالاة بما يصيبهم من الجروح. فوجوههم طلقة في الحرب كما هي طلقة في السلم)) [3] فيقول:

يتهلّلـونَ طلاقَـةً وكُلُـومُهُمْ   يُنْهَلّ مِنهُنَّ النَّجيعُ الأحمَرُ [4]

لأن الشجاعة مهمة للقادة والجنود على حد سواء، ويدعو إليها أبو العلاء:

وسـائِلْ مـنْ تـنَطّسَ في التّـوقّي   لأيَّـةِ علَّـةٍ مَـاتَ الجَبَـانُ [5]

فالجبان لا ينفعه التوقي. والاقدام على المهالك ليس علة لهلاك الشجاع. كما أن الجبن ليس علة لحياة الجبان. فلم يكن التوقي سبباً لعدم موته، وامتناعه لما يرديه ولكنها آجال مضروبة وآماد محسوبة، لا ينقص منها الإقدام ولا يزيد فيه الإحجام [6]. ((وموتٌ لا يَجرُّ إلى عارٍ، خيرٌ من عيش على رق)) [7]. ولا يتساوى من يواجه الموت بإقدام مثل المتردد. وفي مخاطبة الشاحج للصاهل حول هذا المعنى

---

(1) اللزوميات: 85/1 (فذات لمى: سمرة في الشفاه مستحبة. والخرمى: الرمح القصير الناب: السن. أشنب: بارد).
(2) شروح السقط: 1113/3 شرح التبريزي.
(3) م. ن: والصفحة.
(4) شروح السقط: 1113/3.
(5) م. ن: 217/1.
(6) م. ن: 218/1.
(7) الصاهل والشاحج: 97.

يقول: ((هل حُدِّثتَ بواحد من أصحابك هلك بطعنة أو ضربة ؟ فأنتم في ذلك مثلُ حمام الحرمِ، إنما يأتيها الموتُ بيد القضاء)) (1).

المعارك:

1. **الرغبة في السلام:**

يريد أبو العلاء من الناس أن تعيش في أمان. ولا يريد الحرب ولا يشجع عليها. لأن أساس العلاقة هو السلم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(208))) (2).

والحرب استثناء فيقول أبو العلاء: ((ما تصنعُ أيها الإنسان بالسِّنان ؟ إنك لمغترٌّ بالغرَار، كفتِ المنيةُ تأثراً ما أراد. ليت قناتَك بسيفِ عُمان، وحُسامَك – ما ولَجَ حديدهُ النار – وريشَ سهامك في أجنحة نسور الأيار. ليستيقظ جَفنك في تقوى الله ويهجع نصلك في القرابِ)) (3) ويقول: ((يا رب العب، إنَّ عبادكَ لفي تعبٍ، إلامَ الأسنِّة على الرِّماحِ والأعنَّة في أعناق الخيل ورحائلها فوق الأثباج)) (4).

ويحذر من القتال:

((أذكرْ ربكَ والسيفُ خَضَيب، والرُّمْحُ دامٍ، واخشى عقوبتهُ، وارجُ عقباهُ. وأنت بجُريْعَةِ الذقَنِ والأسنَّةُ نِطاقٌ لك. وامْتَر تفضُّلَهُ إذا الجبهة مُرِيَتْ بالأعْقَابِ)) (5).

وفي رسالته لداعي الدعاة أبي نصر بن أبي عامر بمصر يتساءل، حيث ليس هنا ربح لطرفي النزاع: ((وقد رأيت الجيشين، المنتسب كل واحد منهما إلى الشّرع

---

(1) م. ن: 116.

(2) القرآن الكريم – سورة البقرة – الآية: 208. والسلام الذي يدعو إليه القرآن العزيز هو سلام الفرد والمجتمع والعالم أجمع. ينظر فلسفة الجهاد في الإسلام السيد عبد الحافظ عبد ربه: 295 – 296.

(3) الفصول والغايات: 62 (الغرار: حد الرمح. الأيار: الهواء).

(4) م. ن: 276 (العب: تخفيف العبء وهو نور الشمس ويقال هو لعابها. الاثباج: جمع ثبج وهو وسط الشئ. ومعظمه. الرحائل: جمع راحلة وهي السرج أوهي من جلود لا خشب فيه.

(5) م. ن: 74 – 75 (جريعة الذقن: آخر النفس. والجبهة: الخيل، ومريت: استخرج ما عندهامن الجري).

المُنْفرد يلتقيان وكلاهما في مدد، ويُقتل بينهم آلافُ عدد. فهذا محسوب من أيّ الوجهين ؟ فليس عند النظر بهَيْن)) [1].

ويميل إلى نزع السلاح فيقول:

على أنها أمُّ الوغَى وابنةُ اللُّظَى وأخْتُ الظُّبا في كلِّ يومِ جلادِ [2]

فقد جعل أبو العلاء هذه الدرع، أم الوغى، لأنه يريد أنها أصل الحروب ومنشؤها. فتهاج الفتن والحروب. عندما يعتمد عليها. وجعلها ابنة اللظى لأنها في النار عملت. وجعلت أخت الظبا لأنها تردها ظبا السيوف [3].

2. ما يرافق الحرب:

إن الرغبة في السلام، إذا كانت هي الأساس. فإن ما تسببه الحروب بات معروفاً. واكتوى أبو العلاء بنار الأعداء. ففي قصيدته التي وجهها إلى خازن دار العلم ببغداد، يذكر الفتنة ومنها:

ولا فِتْنَةٌ طائيَّةٌ عامِرِيَّةٌ يُحَرَّقُ في نيرانِها الجُعْدُ والسَّبطُ [4]

أي وقود هذه النار، قتلى من الرجال دون تمييز. وإنما أراد أنها لا تبقي على أحد [5].

((يقولُ فرْخُ النَّسر لأبيهِ: رأيتُ فيما يرى النَّائم سناناً يركَّب على قناةٍ، فحَدَثني الكذوبُ بالشبعِ، فهلْ لكَ بهذه الرؤيا علمٌ ؟ فيقول: قرَّتْ عينُكَ (يقعُ كيدٌ بين القوم، فآتيك باللّحم غريضاً يقطرُ منه عبيطُ الدَّمِ. ويرزقُ الله النُّسور إذا بَدَتِ الرِّماحُ شُرعاً)) [6].

---

(1) معجم الأدباء – تعريف: 123.

(2) شروح السقط: 1716/4 (الجلاد: الضرب بالسيف).

(3) م. ن: والصفحة.

(4) شروح السقط: 1635/4 (والجعد: الذي شعره جعد والسبط: ضده).

(5) م. ن: والصفحة.

(6) الفصول والغايات: 460 (غرض اللحم: طريه. وعبيط الدم: طريه).

وفي الوقت الذي تكون فيه جثث القوم طعاماً للجوارح والهوام فإن الخوف ((إذا وقع بغتةً، رأيت المعروفَ بالحزامةِ وأخا التجربةِ ومن كان مشهوراً بالجُرأة، وقد حمَلَه الحزمُ واللُبُّ على قلّةِ الانبعاث وكُلُول الغَرْبِ، فصار كأنه الظعينةُ من خَوْفِ العاقبةِ وانفِلالِ الحدِّ)) [1].

فالحروب في كل الأحوال،لها ما يرافقها من الخراب والدمار. ((وربما طَمِعَ الجارُ — بهذه الفِتنةِ — إذا كان من أهلِ الشرِّ، في جارِه إذا كان من أهْلِ الخيرِ، فعَدَا على مَنزِلِهِ فأخَذَ ما فيه)) [2].

((وربما عايَنت المرأةَ الراكبةَ أو الماشِيةَ وعلى كَتفِها أو في حِجرِها صغيرٌ مثلُ التولبِ، وقد أخذه منها أبوه فتقدَّمها بالخطوات، وفَصَلَ بينها وبينَه سِواهُ، فهي تَنظرُ إلى ولدِها نظرَ شفيقٍ لا تصلُ إليه، وهو ينظر إليها نظرِ فقيرٍ إلى ما في الثَّدي)) [3].

ويرصد أبو العلاء الكثير من المشاهدات التي ترافق قيام الحروب، ومن جملة ذلك اختلاف آراء الناس حول ((هذه الجَولةِ وغيرها من الجولاتِ، ويكونُ اختلافُها متبايناً كاختلافِ العربِ في النشيدِ)) [4].

والإشاعات كثيراً ما ترافق أجواء المعارك فيقول أبو العلاء ((وتَحدَّثت العامَّةُ. أن سببَ الفسادِ بين السيدِ عزيزِ الدولةِ... وبين الطاغيةِ أنه سَامَه أن يجتمعَ معه. والمثلُ السائر: وهل يجتمع السيفان ويحكّ في غِمْدٍ ؟ وكيف يطمعُ مثلُه في هذه المنزلةِ.. وإنما قيلَ إنه جعلَ للسيد (عزيزِ الدولة).. العُشرَ في مَملكَتِهِ. ولا يَغيضُ من حالهِ)) [5].

---

(1) الصاهل والشاحج: 437.

(2) م. ن: 440.

(3) م. ن: 472 – 473.

(4) الصاهل والشاحج. أي في أداء النشيد، مجموعة تقف على ساكن وآخر متحرك ومجموعة تتقدم بكلمة وأخرى تتأخر...).

(5) م. ن: 685 ومثل هذه الإشاعات ينظر م.ن: 687 ، 419 و 420 و422.

والقريب من ذلك الدعايات التي تحاول تضخيم قدرات العدو الذين يسميهم أبو العلاء ((المرجفون)) (1) ويبدأ بذكر مزاعمهم التي يبالغون فيها ويرد عليها (2).

على سبيل المثال: ((ولعل المرجفين بذلك يظنونَ أن (السيد عزيز الدولةِ) – أعز اللهُ نصرَه – قليلُ العدَّةِ.. وكيف يُظنُّ ذلك بسلطانٍ بعضُ جنودِهِ (بنو عامر بن صعصعَةَ) (3).

3. **التعبئة:**

يجعل أبو العلاء التفاؤل أول مستلزمات التعبئة الجماهيرية بإشاعة المفاهيم التي تفسر أسماء الأماكن والمناسبات، بما يناسب النصر والفرح، والابتعاد عن تأويلات تؤدي إلى التشاؤم كما في ذكر همدان مثلاً: أي هم، دان. وإنما جميع الأسماء ((لا يعدمون في طريقهم ضروباً من الفأل، يمرون بسرمين... فصدرها لفظ السرور... وباقيهامين من المين، فعلُ ما لم يُسَمَّ فاعِلِهُ أي هذا الخبرُ عن العدوِّمَيْنٌ قد مِينَ أي كُذِّب)) (4).

وقد يريد أبو العلاء، أن يمهد لجعل مثل هذه الأمور الخطيرة بيد القادة، فليس من المناسب أن يسمح لعوام الناس بإطلاق الإشاعات وتنصيب أنفسهم قادة، ويبدأون بالتحليل والتعليل دون علم أو معرفة ((وإن الجهلَ ليَصنع بأهلِهِ أكثرَ من هذا الصنيع أفلا ينظرُ هؤلاء القوم حقيقةَ النظرِ ويعطونَ قَوسَ الرَّميّ (عَمِيرةَ) (5).

---

(1) م.ن: 528.

(2) م. ن: والصفحة.

(3) م. ن: والصفحة) عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان بن مضر. قال ابن حزم فيه (البيت والعدد) م.ن: والصفحة.

(4) الصاهل والشاحج: 510 (وسرمين: بلدة قديمة مشهورة من أعمال حلب). ومثل هذه النماذج ينظر: م.ن: 511 وما بعدها ومن ذلك يقول عن مدينة حلب ((وإن كانت من الحلب، حلب اللبن، فحسبها بذلك خيراً وبركة) م. ن: 512.

(5) م. ن: 432.

4. مواجهة الحرب:

استنتج أحد الباحثين [1] من خلال تأليف أبي العلاء لديوان الدرعيات [2]. أنه اتخذ من الحوم حول وصف الدرع، ومعدات الحرب، وسيلة إلى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد [3]. في حالة الدفاع عن العقيدة، والأرض والعرض وإحقاق الحق فعند ذلك يقول أبو العلاء:

لا رَقُدتْ مقْلَةُ الجبانِ ولا مثَّعها بالكرَى مُسَهِّدُها
والنَّفسُ تبغي الحَيَاةَ جاهِدةً وفي يَمِينِ المَليكِ مِقْودُهَا
فلا اقتِحَامُ الشُّجاعِ مُهْلكُها ولا تَوَقي الجَبانِ مُخلدُها
لكلِّ نفسٍ من الرَّدى سببٌ لا يومُهَا بَعدَهُ ولا غَدُهَا [4]

وهنا يسمح أبو العلاء ليأخذ الشعر مكانه في تحفيز الهمم ودفع الجنود فيقول:

جَزلٌ يُشجِّعُ مِنْ وافى له أُذناً فهو الدَّواءُ لداءِ الجُبْنِ والقلقِ
إذا ترنَّم شادٍ لليراعِ بهِ لاقى المنايا بلا خوفٍ ولا فَرَقِ [5]

أي أن هذا الشعر يشجّع من سمعه. ويشجع الجبان، وينفي عنه القلق فإذا ((ترنم بهذا الشعر مترنم للجبان زايله الجبن وأقدم بلا خوف)) [6].

لأن أهمية هذا الشعر ((للمجد كالحمائل للسيف، ومن شأن حمائل السيوف أن تُحلى وتزين، وخير ما زُيِّنت به ثناءُ بكرٌ ولم يتقدم له نظر، يكون مخلداً على الأيام)) [7] فيقول أبو العلاء:

---

(1) عمر فروخ، ينظر: حكيم المعربة: 31.
(2) الملحق بشروح السقط – السفر الثاني من آثار أبي العلاء في المجلد الخامس.
(3) ينظر: حكيم المعرة: 31.
(4) شرح السقط: 2/ 827 – 828.
(5) شروط السقط: 680/2.
(6) م.ن: والصفحة.
(7) م.ن: 385/1.

أرى المجدَ سيفاً والقريضَ نِجادَهُ ولوْلا نجَادُ السَّيْفِ لم يُتقَلّدِ
وخيرُ حَمالاتِ السيُوفِ حمالةٌ تَحلتْ بأبكارِ الثَّناءِ المُخَلّدِ [1]

فيدع الأقلام لمن يفخر بها، لأنه في معرض القادة،والحديث عن الفرسان فلكل مقام مقال. فالقائد المنتصر هو محل الاعتزاز والتقدير حتى لو كان أمياً فيقول أبو العلاء مؤكداً هذا المعنى:

دعِ اليراعَ لقومٍ يَفْخَرونَ بِهِ وبالطِّوالِ الرُّدينياتِ فافْتخرِ
فهُنَّ أقلامُكَ اللاتي إذا كتبَتْ مجدٌ أتتْ بمداد منْ دمٍ هَدَرِ [2]

ويستمر أبو العلاء في تحفظه على وجود الأجواء الصحية للمحافظة على المعنويات العالية. وضرورة اخبار العدو، وتقصي خطواته. فقد يطلقون إعلاماً مضاداً لغرض الإيهام. فيعلق أبو العلاء حول ما يزعمه العدو بأنه سيؤخر خروجه إلى الشتاء فيقول: ((لأن المُرجفينَ من أهل ملّةِ العدو يزعمون أنه يؤخِّرُ خروجَه إلى الشتاء. وأحلفُ إن كان عزم على الخروج في الربيعِ ثم انكسر عن ذلك، إنها لأوَّلُ هزيمة. والكسْرُ إن شاءَ اللهُ يتبعُ الكسر)) [3].

ويبني أبو العلاء معنويات متصاعدة على هذا التفاؤل فيقول:

((أي لو جاءَ المطرُ، واتصلَ لرعت الخيلُ فقويَتْ على الغزوِ والغارةِ...)) [4].

ويزيد أبو العلاء من التسويغات لتكوين القناعة فيقول: ((ولكنَّ الطاغيةَ هابَ العربَ وغيرها من جيوشِ المسلمينَ، فجعلَ يطلبُ المعاذيرَ. وقد كان رأى (حَلَبَ حرسها للهُ) في سنةِ خمس وثمانينَ ووطئ بساطه، من كان بها من الوُلاة. ولو رآها

---

(1) م.ن: 384/1.
(2) م. ن: 156/1.
(3) الصاهل والشاحج: 539.
(4) الصاهل والشاحج: 541.

الثانية لكان...)) [1]. ويستمر بذكر جميع الاحتمالات. ويجعلها جميعاً في طريق مسدود أمام العدو [2].

وفي المقابلِ يجمع أبو العلاء خبراته ويبدأ يحلل تحركات العدو المتوقعة لغرض ملاقاته بحيطة وحذر فيقول: ((ولزعيم الروم أوقاتٌ تكون مظنَّةً لنهوده إلى هذه الناحية، منها وقتُ الخريف إذا استقبلَ الشتاءَ وبعُدت الباديةُ عن هذه الأرضِ... وقد خرج زعيمُ الرومِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ في ابان الربيع وإنما حملته على ذلك ضرورةٌ دعتْ إليه لأن من كان بحلبَ حرسها اللهُ استدعاه لينصرهُ على محاصريه...)) [3].

وتبدأ المناوشات فيقول أبو العلاء ((ولو نزل جيشُ العدو – خذلَهُ الله – بظاهرِ (حلَبَ حرسها اللهُ))) [4]. ويوضح كيف أن اللحظة المحكمة تجعله في حيرة من الأمر. ويواجه مشقات وصعوبات، أهمها توافر الماء، والطرق الخاصة في النفاذ، حتى يختاروا الفرار. وإن جميع خطط العدو ومحاولاتهم للحصول على الماء، أو القيام بأعمال تؤثر على حلب أو نهر القويق المحيط بها، تذهب سدى. وكل ما يقوله ا لعدو مجرد كذب وادعاء [5].

ويشير أبو العلاء إلى وجوب أن يأخذوا جزاءهم على هذا الكذب ويحاسبوا. ولكن الكذب لا يحسن بأهل الإسلام، ولا بأحد من الناس، لأن كذبهم ظاهر، وإن مقابلة فعلهم القبيح على سبيل الجزاء لا يحسب ذميماً في الرأي. ولكنه يردد قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهلِ الجاهلينا

فإن الجهل الأول. كما يرى أبو العلاء قبيحٌ والثاني على طريق الجزاء فليس بقبيح. ولم يقف أبو العلاء عند ذلك. وإنما يقول: ((ولم نكن لنرضى في

(1) م.ن: 544.
(2) م.ن: 545- 548.
(3) م.ن: 487 – 488 (ويعني بسنة خمس وثمانين، بعد الثلثمائة).
(4) م.ن: 533.
(5) م.ن: 550.

مجازاتِهم بالمماثلةِ ولن نُضعِّفُ ونَزيدُ. لأن ذلك من أفعال اللهِ تعالى يجزي على السيئة والحسنةِ بالخلودِ الدائم.إما في الشقوة وإما في النعيم)) [1].

ويذكر أبو العلاء بدقة مواجهة الإعلام، بإعلام مضاد حيث يورد الأفكار، والعبارات المناسبة لها فيقول: ((وما الذي كنا نقولُ لو استحسنا ذلك ؟ (أي مواجهة الكذب بالكذب) كنا نزعُم أن السيدَ عزيزَ الدولةِ... قد راسَلَ أمير المؤمنينَ الظاهرَ لإعزازِ دين اللهِ (الذي تولى الحكم بعد مقتل أبيه الحاكم بأمر الله سنة 411 هـ وتوفي سنة 427هـ) بأن يأمرَ الحفَدة والأعوان، والعلماء بالهندسةِ ومجاري المياهِ. أن يصرِفوا البحرَ فيصير أرضاً مسلوكة تسافرُ فيه الناقةُ والبعيرُ، ويمكن الجيوشَ المنصورةَ أن تسلكه لفتحِ مدينتِهم... [2])) [3].

ويأتي رد أبي العلاء لأنهم أشاعوا على تحويل ماء نهر القويق قرب حلب. فيأتي من نفس الموضوع، وهكذا يرد كل واحدة بمثلها وزيادة [4]. وحتى ينتهي أبو العلاء من استدراجهم بكل ما يدعونه، ويفترض لو تخيلوا أنهم وصلوا إلى الكمال، فإن ذلك لا يعجز عزيز الدولة ويكون الانهزام مصيرهم [5]. لغاية هروبهم بلا رجعة ((فيسرعون الهربَ فيكونون حُذّاً في السرعة، وحذاً في خِفةِ متاعِهم، لأنه كالريشِ لهم. فيشبّهون بالقطا الحُذِّ أي القصار الأذناب)) [6].

وتأتي الملاحقة للعدو: ((وإن كان يعتصم بجبال وحصونٍ، فإن العربَ لا تعتصم بغير الرماح والسيوف)) [7]، فأبو العلاء يلاحق هذه المشاهد، ويرسم خطوطها، بعد أن يتأكد على ما يبدو ((أنه لم يخالف مفهوم المرئيات عند المبصرين)) [8].

---

(1) الصاهل والشاحج: 551– 553.

(2) م. ن: 533.

(3) م. ن: والصفحة.

(4) م. ن: 555.

(5) م. ن: 587 وما بعدها.

(6) م. ن: 594.

(7) الصاهل واشاحج: 602.

(8) أثر كف البصر على الصورة عند أبي العلاء المعري – رسمية موسى السقطي: 185.

ويزيد في الضغط النفسي على العدو ويصور أعماله: ((إنما هي أفعال المتلصصين والخُرّاب)) [1] فيفندها ويثبت اختلافها وأنها ليست أفعال الملوك [2]. ويلاحقهم حتى يعجزوا عن النداء، ((أي لا يقدرون مما نزل بهم أن ينادوا... لأنهم إما قتلى وإما أسرى، فقد ضعفوا عن الكلام)) [3].

وهذا النصر يوظفه أبو العلاء بضرورة استرداد ما أخذه الروم من ملك المسلمين في الماضي، ولكي يجعل الروم في حالة يأس من استرداد أراضيهم [4].

مقدمات النصر:

إن النصر الذي تحققه المؤسسة العسكرية يأتي لمقدمات يرصدها أبو العلاء منها: توفير الدروع الكافية بأي طريقة حتى ولو كان عن طريق الاستعارة [5].

وكذلك تجربة أدوات الحرب قبل النزال، ليميز الجيد من الردئ فيقول:

ومَنْ يبلُ مِنْ قبلِ اللقاءِ سُيُوفَهُ يميِّزْ ويُعْرِفْ عَضبَهُ من كَهَامِهِ [6]

وسرعة الجند في تنفيذ الأوامر:

وجئت للأرماحِ مَبْسوطَ البَاعْ

أعجلني عن لبسها صوتُ الداعْ

وحذَرُ الفوتِ وحُبُّ الاسَراعْ [7]

---

(1) الصاهل والشاحج: 643.

(2) م. ن: والصفحة.

(3) م. ن: 648.

(4) م. ن: 688 – 689.

(5) ينظر: شروح السقط – الدرعيات: 1956/5.

(6) شروح السقط: 487/2.

(7) م. ن: 1923/5.

والاقدام على الحرب في الوقت المحدد، عندما لا تكون غيرها:

لـــيسَ بـــيني ويـــينَ قَـــوْ مـــكِ غـــيرُ الجِـــلادِ [1]

لكـي تكـون هـذه المواقـف، درسـاً للعـدو. فلـو شـاء الله ((دوام دولـتهم وبقـاء عزتهم، لكانوا رعاياك، ولراسلوك طالبين للصلح منك، ولكن مخالفتهم لأمرك هي التي تذهب عزتهم وتستأصل دولتهم)) [2]. ولذلك ليس بعد الرسل والمخاطبات الا القتال فيقول:

وردُّ إليكَ الرُّسْلَ والصلحُ ممكنٌ وقـالوا غـير القتـالِ سـلامُ
فلا قولَ إلا الضربُ والطعنُ عندنا ولا رُسْـلَ إلا ذابـلٌ وحُسَـامُ [3]

والاستجابة لدعوة الحرب تأتي في المقدمة، بما في ذلك ترك الزواج من أجل هذه المهمة [4]. ولا ينشغلون بشئ إلا بما يعزز المعنويات. لذلك فإن أبا العلاء يحبذ استعمال الطيب في الحرب [5]. ولا تكون المشاركة في الحرب من أجل المغانم، وإنما لقهر الاعداء [6].

ولأن التدريب المستمر من مستلزمات النصر، فيوصي أبو العلاء أن لا تستقر الخيل في مكان، ولا تزال تثير في حوافرها الغبار [7]. ويستمر المقاتلون على مقدمات الحرب من المطاردة والرماة. ثم المطاعنة ثم المجالدة [8]. ومعرفة أسرار الحروب والنزال. من ذلك أنهم يخفون انفسهم. والخفة في مباغتة العدو، ويشدون ألسن

---

(1) شروح السقط: 1846/4.
(2) م.ن: 611/2.
(3) م. ن: 611/2– 612.
(4) م.ن: 2041/5.
(5) م.ن: 965/3.
(6) م. ن: 327/1.
(7) م. ن: 826/2.
(8) م.ن: 830/2.

الخيل لئلا تصهل [1]. وفي ساعة الحرج يلقون بالدروع عن أجسامهم، لتخف عنهم أثقالها فيكونوا إلى الحرب أسرع [2]. وهكذا.

أدوات الحرب [3]:

الفرس: أعطى أبو العلاء، لهذا الحيوان دوراً رئيساً في ترجيح كفة النزال، وذكر من الموصفات المرغوبة فيها فيقول:

وهيهاتَ هيهاتَ الجبالُ صوامِتٌ   وهذا كثيرُ النُّطْقِ جمٌّ الصّواهلِ [4]

فلا يقاس الحيوان الناطق الصاهل، بمثله من الجبال والرمال، فكيف يقاس الحيوان بالجماد ؟ [5]. وخاصة عندما تكون مدربة. ففي النزال هي لم تشرب من الماء فكأنها عطاش إلى النهل من الدماء فيصفها أبو العلاء:

وقى الخيل من ماءِ المخاضةِ عفةً   وهنَّ إلى ماءِ النُّفوس نِهَالُ [6]

ويوصف الفرس بالكرم إذا كان مطواعاً فيقول:

ومثلكَ للأصادِقِ مستقيدٌ   وشرُّ الخيلِ أصعَبُها قيَادا [7]

ويرى أبو العلاء أنه من الخلق الذميم، والطبع اللئيم ((أن يكون للإنسان فرس، يبذل له جده، ويجود عليه من الجري بما عنده، وهو يشح بماله عليه، ولا يراه أهلاً لأن يحسن عليه. فيكون الفرس أجمل منه صنعاً،وأكرم طبعاً ؟ وإنما يجب

(1) م. ن: 729/2.
(2) م. ن: 709/2.
(3) ينقل الثعالبي أن من الأقوال المشهورة عند العرب (السلاح ثم الكفاح) ينظر التمثيل والمحاضرة: 152، ويقول النويري: (أشجع الرجال يحتاج إلى السلاح، وأجود الخيل يحتاج إلى السوط) ينظر: نهاية الأرب: 92/6.
(4) شروح السقط: 1080/3.
(5) م.ن: 1059/3.
(6) م. ن: 1059/3.
(7) م.ن: 806/2.

على الكريم الطبع أن يكافئ بالإحسان من يحسن إليه، ويتفضل على من يتفضل عليه)) [1].

فيقول أبو العلاء:

وأعظمُ حادثٍ فرسٌ كريمٌ   يكون مليكُهُ رجلاً شحيحاً [2]

السيف:

ومما يمتدح به السيف قوله:

ومأكولةُ الأغمادِ مرْهفةُ الظُّبَا   براها قراعٌ دائمٌ وصقَالُ [3]

يعني سيوفاً عتيقة تآكلت أغمادها ولا يأكل الغمدَ إلا سيف عتيق حسن [4].

الرمح:

يقول أبو العلاء:

يُطيلونَ أرواقَ الجيادِ وطالما   ثنَوهُنَّ عُضباً غيرَ روق ولا جمٌ [5]

وأرواق الجياد، أراد بها الرماح. لأن العرب يقولون: إن الرماح للخيل قرون... والمراد أنهم يحطمون الرماح في الحرب [6].

(1) م. ن: 251/1.
(2) م.ن: والصفحة.
(3) شروح السقط: 1051/3.
(4) م.ن: والصفحة.
(5) م. ن: 962/3.
(6) م.ن: والصفحة.

الدرع:

يصف أبو العلاء شدة التمسك بالدرع، في أصعب الظروف، ويظل متمسكاً بها في أشد حالات العوز:

صنْتَ درعيَّ إذْ رمى الدَّهرُ صرْعَـ ـيَّ بما يـترُكَ الغـنيَّ فقـيراً [1]

وعلى لسان رجل أعطي إبلا،وأخذت منه درع يقول:

إبلاً ما أخذْتَ بالنَّثرةِ الحصَدَاءِ يـا خُسـرَ بـائع محـروبِ [2]

ومثلما يهتم العرب بالفرس الكريم، ويسقونه اللبن مع قلته، فإنهم يعالجون الدرع بخلاصة الزيت زيادة في العناية [3].

ومثل هذه المعاني عن أدوات الحرب نجدها كثيرة في ديوان الدرعيات.

وذكر أبو العلاء أن استعمال الحداء من المستحبات في الحروب وفصل في ذلك كثيراً ومما يقوله في مسوغات ذلك: ((أولست أنت وشيعتُكَ، إذا سمعتَ الحادين بالرجزِ رحبت خطوتك، وامتدتْ عُنُقك، وأدركتك أريحيَّةٌ في سيْرِكَ؟))[4] ومما استشهد به المعري قوله: ((وحدا عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة وفيها قتل...)) [5].

ويبقى أبو العلاء، مع آخر التعليقات في نهاية الحرب فيقول مثلاً:

((وتحدثَ العامةُ أن غلماناً وردوا من بلادِ الرومِ إلى حضرتِه العالية. واختلفَ فيهم القولُ، فقال بعضُ الناس: هم هديّةٌ من زعيمِ الروم، وقال آخرون: بل السيدُ عزيزُ الدولةِ... اشتراهم بمالهِ. فإن كانوا هدية، فهو... يجازي عنهم بأضعاف

(1) م. ن: 1775/4.
(2) م.ن: 1881/4.
(3) ينظر: م. ن: 1945/5.
(4) الصاهل والشاحج: 386- 387.
(5) م. ن: 385.

القيمة، وإن كانوا شراء ماله فإن ذلك أجدرُ بالنماء والبركة. وزعموا أن عدتهم نيف وثلاثون، ولم يثبتوا في العدة على قولٍ واحدٍ...)) [1].

وله عودة على بعض الحوادث التي ترافق الحرب، وما يزعمه الناس، فيتناوله بالتعليق والتحليل... ويختم بالقول: ((وهذا قولٌ مقنعٌ إن شاءَ اللهُ)) [2]. ويستخلص بعض النتائج منها قوله: ((وفرسان العرب إذا اجتمع بعضهم إلى بعض عظم بلاؤهم. وإن تفرقوا فالفرقة لا تضرهم في مجال الخيل، وفرسان الروم ليسوا كذلك، لأنهم يتكتبون كتائبَ ويجتمعون كراديسَ فإذا افترقوا في المعترَكِ، فذلك بوارهم لا محالة.)) [3] فهو لا يتوقف عند النتائج بل يتأمل بعمق ليظهر لنا نتائج الحكم [4].

فأبو العلاء، يرغب بالسلام أولاً ويدعو إليه. لأنه يعرف ما تتركه الحرب من آثار، وما يرافقها من أهوال. ولكنه يعدها مسألة مقدسة في حالة الدفاع عن الوطن والنفس، فهو يشير إلى مواجهتها في حذر واحتياط وتدبر من جميع الجهات. ويدعو الى الاستعدادات المعنوية، والروح العالية التي لا تعطي إذنا صاغية للإشاعات. وتفنيد ادعاءات العدو، والاستعدادات المادية بتوفير مستلزمات الحرب بما يحقق النصر بدءا من القائد المناسب، وادوات الحرب المطلوبة. وتدريب الجنود، واستعدادهم الدائم. والتخطيط للمعارك ومتابعتها، وانتهاء بالنتائج المرافقة لها والتعليق عليها، وتحليلها بحذر شديد وبشكل متكامل، ويشبه كل ذلك بالحركات والسكنات والتأويلات الي ترافق الكلام في اللغة العربية. ومقابلة ما تؤثر به كل حركة مهما كان بسيطاً في ميدان الحرب.

لذلك فإن المؤسسة العسكرية من وجهة نظر أبي العلاء، تأتي وكأنها من خبير عسكري،له تجاربه الميدانية، ويحمل من الغيرة، ونكران الذات للدفاع عن الوطن والمبادئ ما يعد نموذجاً.

---

(1) م. ن: 691.

(2) م. ن: 697.

(3) م. ن: والصفحة.

(4) ينظر فلاسفة يونانيون، من طاليس إلى سقراط – الدكتور جعفر آل ياسين: 7.

ومطالعة شروح سقط الزند توحي بهذه الأجواء ورسالة الصاهل والشاحج الميدان التفصيلي لهذه الخطط والتي كانت أصلاً موجهة إلى الحاكم في ذلك العصر، فهو يقصد ما يقوله ويعنيه.

وحيث تكتمل أبعاد هذه المؤسسة العسكرية من خلال الأوضاع التي كانت سائدة وما تتركه الحروب من آثار ونتائج، فإننا نترك هذه المؤسسة بلا عودة إليها مرة أخرى في المدينة الفاضلة لأبي العلاء لأن الحرب حالة استثناء لا يدعو إليها المعري.

الفصل الثالث

المؤسسة العلائية

الفصل الثالث
المؤسسة العلائية

المبحث الأول: الدين والدنيا

الدين والدنيا ثنائية واضحة [1]. ويربط الإسلام صلاح أمور الدين بصلاح أمور الدنيا ((لأن باستقامة الدين تصح العبادة، وبصلاح الدنيا تتم السعادة)) [2]. ويقال ((السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما الا بالأخر)) [3].

الدين:

يقول الله سبحانه وتعالى ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) [4] فدين الإسلام. لازم للكفار كلزومه للمسلمين، وكل دين سواه فهو باطل [5]. وأبو العلاء في بلد عربي مسلم. وهذا انتماؤه، وليس لأديان أخرى أن تنافسه على أرضه. فالعلاقة بين الإسلام والديانات السماوية الأخرى، علاقة تقوم على المغايرة وليس على الضدية [6]. والناس يحتاجون الى ((دين يتألفون به، ويتفقون عليه)) [7]، ويوصي أبو العلاء المعري: ((الزم دينك ولا تدعه))[8].

فالإسلام هو النموذج والمثال. وهو الصورة التي يكونها أبو العلاء في ذهنه [9] ((ويكونها المسلمون لأنفسهم عما يجب أن يكون عليه في عقيدتهم،

---

(1) ينظر المصطلح الفلسفي عند العرب: 23.
(2) أدب الدنيا والدين – الماوردي: 21.
(3) عيون الأخبار: 5/1.
(4) القرآن الكريم – سورة ال عمران –الآية:85.
(5) ينظر كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده: 202.وينظر: دراسات في الإدارة – الدكتور صالح أحمد العلي: 120.
(6) ينظر وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر: 29.
(7) أدب الدنيا والدين: 29.
(8) الفصول والغايات: 276.
(9) يراجع لصحة معتقد أبي العلاء، تعريف القدماء، تاريخ الإسلام للذهبي، وتتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي (ت 749 هـ): 211– 212 و 215، ومسالك الأبصار: 221، وينظر سقط الزند: 970/3 – تعليق الخوارزمي، وينظر أباطيل وأسمار: 78/1.

وسلوكهم وحياتهم العامة. الصورة التي تشكل في وجدانهم (المدينة الفاضلة الإسلامية)) [1]. التي تحققت كاملة في فترة النبوة، والخلافة الراشدة. فالمعري يعظم الإسلام ويقول:

أفملةُ الإسلام يُنكِرُ منكِرٌ وقضاءُ ربكَ صاغَها وأتى بها [2]

ويعد المصيبة في الدين أفدح من مصيبة الموت [3]. وفي المؤسسة العلائية نبتعد عن الخلافات والصراعات [4]. فهي استثناء ((ويمكن أن يقال أن الإسلام كان هو الدين الرسمي للدولة)) [5].

وأبو العلاء لا يهتم بالتفاصيل والجزئيات والهوامش التي تمليها متطلبات الخلاف الديني [6]. وليس الدين عنده رسوماً وشعائر وحركات. وإنما عمل لا يرقى اليه الا بمجاهدة الأهواء والرغبات. مثل الذي يريد الوصول الى الكاعب الحسناء فطريقها ليس سهلاً، فيقول:

هل الدين الا كاعبٌ دون وصلها حجابٌ ومَهرٌ معوزٌ وحياءُ [7]

((وكل هذه لا يقوى عليها الا الأشداء، ولا يصبر عليها، الا أولو العزم)) [8]. ولأبي العلاء في مؤسسته إشارات في المجال الديني:

---

(1) وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر: 30 – 31.

(2) اللزوميات: 170/1.

(3) ينظر: م. ن: 567/2.

(4) التي سبق الحديث عنها في الفصلين السابقين لموضوع الديانات.

(5) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية – تحرير جي ني كروبناوم – ترجمة د. صدقي حمدي ومراجعة الدكتور صالح أحمد العلي: 209.

(6) لا نعني بهذا الموضوع الخلاف بين الأئمة الأعلام فكان خلافهم رحمة لهذه الأمة. ينظر: رحمة الأمة في اختلاف الأئمة – لأبي عبد الله بن عبد الرحمن الدمشقي من علماء القرن الثامن الهجري: المقدمة د وما بعدها، أما خلافات الفرق فهي المقصودة وكما أشرنا في المبحث الثالث من الفصل الأول. وينظر: التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة – الباقلاني تحقيق: محمود الخضري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة. تناول فيه الباقلاني الرد على جميع المسائل. وينظر أيضاً الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به – الباقلاني: 13 وما بعدها.

(7) اللزوميات: 44/1.

(8) لزوم ما لا يلزم – السفر الثالث – لجنة إحياء آثار أبي العلاء – شرح وتحقيق إبراهيم الأبياري: 69/1.

1. مع الله جل جلاله: يريد أبو العلاء الإيمان المطلق بالله، من مختلف الأديان. ولا يقابل هذه المسألة، الا بالسمع والطاعة، ولا يريد نقاشاً في الموضوع. لأنه يسلم في هذه الحقيقة تسليماً كاملاً [1]. ((وهو في أكثر شعره مؤمن بإله واحد)) [2]. ويريد التوجه الى عبادة الله بنصح وإخلاص فيقول:

إذا قومُنا لم يعبدوا اللهَ وحدهُ   بنصحٍ فإنا منهم بُرآءُ [3]

ويقول ((الهنا الله ملكٌ أولٌ أحدٌ)) [4] ويطالب بدوام الخوف والخشية من الله ويعد ذلك مذهباً له [5]. وينصح به أيضاً:

إذا قيل لك: اخش الله مولاك فقل آرا [6]

أي قل نعم.

ويطالب بدوام ذكر الله: ((قد علم الله، جلت عظمته، أن أحبَّ الكلام اليّ ما ذكر به الله عزّ سلطانه، وأُثني به عليه)) [7] ويقول:

اذكرْ الهكَ إن هببتَ من الكرى   وإذا هَممْتَ لهَجعةٍ ورُقادِ [8]

وان لا يخلط الإنسان بإيمانه كفراً بعد الإيمان:

إذا آمَنَ الإنسانُ باللهِ فليكنْ   لبيباً ولا يخْلِطْ بإيمانهِ كُفراً [9]

---

(1) ويؤكد هذه الحقيقة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس في كتابه قصة الإيمان بين الفلسفة والقرآن: 113،ويعلق عن حقيقة إيمان المعري بقوله:(وأن قيل لك غير هذا فلا تصدقه).

(2) قصة الأدب في العالم – أحمد أمين وزكي نجيب محمود: 399.

(3) اللزوميات: 45/1.

(4) اللزوميات: 332/1 وهذا ما تدعو اليه العقيدة الإسلامية، وهو ما يقبله العقل وتلبي نداءه الفطرة. ينظر الخصائص العامة للإسلام – د. يوسف قرضاوي: 150.

(5) اللزوميات: 480/1.

(6) م. ن: 75/1.

(7) شروح السقط – مقدمة المعري:4.

(8) اللزوميات: 397/1.

(9) اللزوميات: 785/1.

2. رسول الله النبي محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم:

ومثلما فضّل دين الإسلام على سائر الأديان فإنه يفضل نبينا محمد (صلى الله وعلى اله وصحبه وسلم) على جميع الرسل والأنبياء فيقول:

دعاكمْ الى خَيرِ الأمورِ محمدٌ وليسَ العَوالي في القَنا كالسّوافل
والزمكمْ ما ليسَ يَعجزُ حَمْلَهُ اخا الضّعفِ من فَرضٍ لهُ ونوافلِ [1]

3. العبادات:

وهذه مكانتها متميزة في الدين ((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) [2].

أ. الصلاة: يعطي أبو العلاء للصلاة أهمية واضحة. فهي أهم من الدر والياقوت فيقول:

وشاهدُ خالقي إن الصلاةَ لهُ أجلُّ عندي من دُرّي وياقوتي [3]

وإذا كان الإنسان من المصلين فإنه أسبق الى دار السعادة، وإذا لم يكن كذلك فهو عبد آبق من يد الدهر:

إذا كنتَ في دارِ الشقاءِ مصَلياً فإنّكَ في دارِ السّعادةِ سابقُ
إذا الحُرُّ لم ينهَضْ بفرض صلاتهِ فذلكَ عبدٌ من يدِ الدّهرِ آبقُ [4]

ولا يرى أبو العلاء ثمة عقبات في المكان الذي يخصص للصلاة فيقول: ((صلِّ في الضَّراءِ والخمرِ، وفي البَراحِ الاكشفِ وباشرِ الأرضَ بمَسجَدِك وإن شئت فعلى الخُمُورَاتِ)) [5] ويفضل تأديتها في المسجد:

---

(1) اللزوميات: 322/2 وفي مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم):ينظر شروح السقط: 451/1. وتفضيل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حقيقة لأنه خاتم الأنبياء ولأن دعوته جاءت للجميع- الأعراف- الآية: 158.

(2) القرآن الكريم – سورة الذاريات –الآية:56.

(3) اللزوميات: 226/1 وفي الحديث الشريف (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) صحيح مسلم: 62/1. وحكمة الصلاة لصفاء الروح وحيث الصلة المستمرة بالله. ينظر: العبادات في الإسلام – محمد محمد إسماعيل عبدة: 95.

(4) اللزوميات: 177/2.

(5) الفصول والغايات: 116/1 (الضراء:ما وراك من شجر. والخمر: ما وراك من شجر وغيره والبراح: الأرض الواسعة المنكشفة. بمسجدك: المسجد هنا الجبهة. الخمرات: جميع خمر وهي السجادة).

مـا لـي رأيتُـكَ لا تُلِـمُّ بمسـجدٍ   حتى كأنّكَ في البلاغِ السـابعِ [1]

وإذا كان للإنسان طاقة واحتمال فينصح بصلاة الضحى والتهجد في الليل:

ارْكعْ لربّكَ في نهاركَ واسجُدِ   ومتـى اطقْتَ تَهجداً فتهجدِ [2]

ويرى أن تكلف المرأة بما يناسبها شرعاً وعرفاً وبما يلائم طبيعتها:

فصـلاةُ الفتـاةِ بالحمـد والاخـ   ـلاص تجزى عن يونُس وبراءه [3]

ومهما يكن من أمر الصلاة. فإن أبا العلاء يقرر ((وتـاركُ الصلاة مـن صُلاةِ السـعير)) [4] ويوصـي بإسـباغ الوضـوء فيقـول: ((كالمصـلي يريـغُ الضـوء بإسـباغ الوضوء)) [5].

ب. الصيام: بماذا ينصح من يصوم الدهر ؟ فأبو العلاء يريده صوماً خالصاً لله تعالى وليس مجرد الامتناع عن الأكل والشرب [6]. ويقول: ((فإذا صمت من المآثم فعند ذلك صم عن الطعام)) [7].

ج. الزكـاة: كـثيراً مـا يقـول أبـو العـلاء في شـعره – زكـوا) [8] و(ابـذل زكاتك) [9] كما يقول: ((فإذا زكيت اموالك فاخفها كل الإخفاء)) [10] ويحث كثيراً على التصدق فيقول: ((تصدق في حياتك فما للميت من صديق)) [11].

---

(1) اللزوميات: 142/2.
(2) م. ن: 388/1.
(3) م. ن: 63/1.
(4) الفصول والغايات: 22.
(5) رسائل أبي العلاء مع شرحها: 52 (يريغ:يطلب. والضوء: النور. واسباغ الوضوء: إبلاغه مواضعه وتوفية كل عضو حقه).
(6) ينظر: اللزوميات: 119/1 و 218/1 و390/2.
(7) الفصول والغايات: 28.
(8) ينظر: اللزوميات: 222/2.
(9) م. ن: 299/2.
(10) الفصول والغايات: 22.
(11) م. ن: والصفحة ويحث كثيراً على الزكاة في شعره. ينظر: اللزوميات: 517/2.

د. الحج: يفضل منذ البداية أن لا يقدم أحدنا لتأدية فريضة الحج، فيتوهم الديانة. الا بتصفية الحسابات، ويتوجه بنية خالصة لله. بما في ذلك على سبيل المثال عدم أذية الجار:

تسيرُ الى البيت الحرامِ تنسكاً   ويشكوكَ جار بائسٌ وخدينُ [1]

ويقول: ((واحجج كلومَ جرائمكَ فإذا برئت فاحج عند ذلك)) [2].

وعندما يشير أبو العلاء الى ممارسة هذه العبادات مثلاً فهو يعيد الى أذهاننا، ويذكرنا بأن نأخذ بسيرته، ونؤدي الصلاة والزكاة. لأن فيها صلاحنا وفي الوقت نفسه أن لا نصغي الى الأخبار الكاذبة فيقول:

خذوا سيرى فهنّ لكم صلاحٌ   وصلّوا في حياتِكمُ وزكّوا
ولا تصغوا الى أخبارِ قومٍ   يصدقُ مينها العقلُ الأركُ [3]

ه. العادات والأخلاق المرافقة للعبادة:

يعول أبو العلاء على الأخلاق، ويعدها روح العبادة وممتزجة بها ومن جملة ما يوصي به:

1. ترك الجدل في البعث وإرسال الرسل:

وأرقب الهك في عسرٍ وفي يسرٍ   واترك جدالك في بعث وإرسالِ [4]

2. التزود بالتقوى:

فعليك بالتقوى ذخيرةَ ظاعنٍ   إن التقيةَ افضلُ الإذخارِ [5]

---

(1) اللزوميات: 498/2 ومثله 482/1.
(2) الفصول والغايات: 28 (واحجج كلوم جرائمك: مداواة الجراح).
(3) اللزوميات: 222/2 (الارك: الضعيف) يعني اخبار الفرق المتطرفة والمتصارعة والكاذبة على الشرع. وغني عن البيان أن هناك اجماع الأمة وهذا لن يتعرض له المعري. فهناك الإجماع على مسائل كثيرة. ينظر: الاجماع – للإمام ابن المنذر (ت 318 هـ) تقديم ومراجعة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود.تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم أحمد.
(4) اللزوميات: 332/2.
(5) اللزوميات: 592/1 وينظر: 619/1.

3. الهروب من الذين همهم الدينار:

فاهرب بدينِكَ من أولئكَ إنهمْ حريوكَ واحتربوا على الدينار [1]

4. تحكيم العقل في الفتوى:

وينفرُ عقلي مغضباً أن تركتهُ سُدًى واتبعتُ الشافعي ومالكا [2]

5. الموازنة بين العبادة والعمل لكسب لقمة العيش:

صلاة الأميرِ الكاسميّ بمسجدٍ أبرُّ وأزكى من صلاةِ البطارق [3]

6. مطابقة المظهر والجوهر:

ثوبي محتاجٌ الى غاسلٍ وليتَ قلبي مثلهُ في النقاء [4]

7. دموع الزهد الحقيقية:

كفي دموعكِ للتفرق واطلبي دمعاً يباركُ مثلَ دمعِ الزاهدِ [5]

8. القلب السليم:

أبينا سوى غشْ الصدور وإنما ينالُ ثوابَ الله أسلُمنا قلبا [6]

---

(1) م. ن: 582/1 حريوك:أخذوا مالك. احتربوا:تحاربو).
(2) م.ن: 227/2.
(3) م. ن: 302/2 (الكاسمي: الذي يكد ليكسب قوت عياله).
(4) م. ن: 70/1.
(5) م. ن: 393/1.
(6) م.ن: 114/1.

9. الابتعاد عن الخضوع المطلق للتقليد في العبادة وتأدية الفروض بشكل رتيب:

في كل أمركَ تقليدٌ رضيتَ بهِ — حتى مقالكَ ربي واحدٌ أحدُ
وقد أمرنا بفكرٍ في بدائعهِ — وإن تفكر فيه معشرٌ لحدوا [1]

10. التخلص من أشكال الرياء في الإقامة في المساجد، أو المبالغة في رفع اليد في الدعاء:

لا تقومنَّ في المسَا — جدِ، ترجو بها الزُّلفْ
معملاً بسطَ راحتيْـ — كَ الى نائلٍ يُلفْ [2]

11. ترك الطمع الدنيوي. والثبات على العبادة والتماسك والانشداد، في حالة التعرض للأطماع المادية:

سبح وصلْ وطف بمكةَ زائراً — سبعينَ لا سبعاً فلستَ بناسكِ
جهلَ الديانة من إذا عَرَضَتْ له — أطماعُهُ لم يلف بالمتماسكِ [3]

12. الابتعاد عن الظلم:

أشدُّ عقاباً من صلاة أضعتها — وصومٍ ليوم واجبٍ، ظلمُ درهمِ
إذا لم يكن يوماً لديني تَعَلقٌ — لغيري رجيتُ السعادة فافهمِ [4]

13. الإنصاف لجميع الناس:

الدينُ إنصافكَ الأقوامَ كلهمُ — وأي دين لآبي الحق إن وجبا ؟ [5]

---

(1) م. ن: 324/1.
(2) اللزوميات: 173/1 (النائل: العطاء. يلف: يمنع).
(3) م. ن: 242/2.
(4) م.ن: 439/2.
(5) م. ن: 118/1.

14. عدم تصديق الخرافات:

زعم الناس أن قوماً من الأبْـ ـرارِ عولوا، بالجوّ بالطيران
ومشوا فوقَ صفحةِ الماءِ هذا الإفـ ـك هيهات ما جرى العصران [1]

15. تجنب التطرف:

تواجدَ القومُ من نسكٍ بزعمِهِمْ والله يشهدُ ما زادوا كما نقصوا
لا نالَ خيراً فتى أمستْ أناملُهُ مداري السَّرح موصولاً بها العُقَصُ [2]

16. لا يكون التدين لمصلحة مؤقتة [3].
17. إذا كثر الخصام لدى الرجل، فذلك مؤشر بأنه ليس من أهل النسك

لو انك في أهل التنسكِ والتقى لما كثرتْ فيما لديك الخصائمُ [4]

وأمثال هذه المؤشرات كثيرة في أدب المعري، فهو يحاول جاهداً تنزيه العبادة من النفاق فيقول: ((واعلم أن صلاة المنافق صِلاءُ النار)) [5] فالأخلاق تبين الفضائل، وتحذر من الرذائل ويترتب على ذلك السعادة النفسية الآمنة في الحياة الدنيا والنجاة من العذاب يوم الحساب [6]. وعلى أية حال فإن خير الناس هو:

ذو النُّسك خيرُ الناس في كلّ موطنٍ وزيهُّم بينَ المعاشر خيرُ زي [7]

---

(1) م. ن: 578/2 والإسلام تصدى لهذه الحالات. ينظر :الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – د. توفيق يوسف الواعي: 157.
(2) م. ن: 82/2 (المدارى: الأمشاط، الواحد مدرى، السرح، من سرح الشعر: مشطه، العقص،الواحدة عقيصة: الضفيرة من الشعر).
(3) اللزوميات: 215/2، مر ذكره في مبحث الواقع الديني، ص: 123.
(4) اللزوميات: 2/ 390.
(5) الفصول والغايات: 28
(6) ينظر تأملات في فلسفة الأخلاق – منصور علي رجب: 21،وينظر: الخلق الكامل – محمد أحمد جاد المولى بك: 3/1.
(7) اللزوميات: 655/2.

وبناء على ذلك يرى أبو العلاء ((قد تقبل صلاةُ الأميّ ويسمعُ دعاء الأعجمي)) [1] وبعد ((إنما الأمر بقوابله ولن يعدمَ المسلمون أزكياء بررةً)) [2].

الدنيا:

لازم أبا العلاء الوعي التام بحقيقة الموت [3] وذكر ذلك في مواقع كثيرة[4]. وصور هذه النتيجة في ذم الدنيا [5]، وصاحبه هذا الشعور على ما يبدو ليلاونهاراً وظل على هذا الوضع من التفكير والحذر والارتياب. وما ينتظره من قدومه على الجبار يوم الحساب. الذي يعده النهاية التي يرافقها الانعتاق من الحياة وزيفها.

فما الحقيقة التي يراها أبو العلاء؟

أمـا الحقيقـةُ فهـي أنـي ذاهـبٌ   واللهُ يعلـمُ بالـذي أنـا لاقِ [6]

وهناك من قال ((يساوي أبو العلاء بين الحياة والموت)) [7] ولكنه في الحقيقة يقرر دائماً أن الحياة خاتمتها الموت فيقول: ((هل سمعتم بمكان ليس فيه للموت استمكان؟ هيهات هيهات [8]، فهو مع القياس والفارق بينهما. فالموت محقق، والفناء

---

(1) رسائل أبي العلاء – مارجليوث: 33.

(2) م. ن: 153.

(3) يقول: نيكلسون: (إن أبا العلاء لم يكن متأكداً الا من شئ واحد وهو الموت) ينظر دراسات في الشعر الإسلامي كمبردج 1921: ص 43. عن كشاف مصادر دراسة أبي العلاء: 172.

(4) من الأشعار التي يصور فيها الموت أقرب من حبل الوريد ينظر اللزوميات: 64/2، 143، 172، 200، 255، 270، 243، 360، 367، 369، 392، 398، 408، 454، 457، 461، 475، 478، 481، 484، 486، 494، 499، 505، 506، 535، 545، 562، 584، 590، 612، 617، 619، 622، 646، 653، 656، و 207/1، 219، 220، 223، 256، 262، 265، 248، 249، 251، 264، 267، 269، 270، 287، 290، 293، 297، 301، 302، 313، 315، 321، 333، 340، 342، 410، 428، 432، 441، 453، 448، 463، 466، 477، 483، 501.

(5) وفي ذم الدنيا يكرر لفظة (أم دفر)كناية عن الشرور والمصائب عند العرب وينظر: اللزوميات: 47/1، 53، 55، 56، 58، 89، 90، 163، 171، 172، 176، 193، 208، 267، 221، 243، 257، 255، 259، 297، 378، 339، 348، 354، 355، 367، 384، 401، 418، 419، 423، 426، 433، 456، 460، 478، 485، 495، 509، 517.

(6) اللزوميات: 211/2.

(7) الرائد في الأدب العربي – أنعام الجندي: 430.

(8) الفصول والغايات: 218.

للحياة قرين. ويرى أبو العلاء أنما ننتقل من دار أعمال الى دار شقوة أو رشاد [1]. ويقول: ((ما أوهبَ ربنا لجزيل، فأعدى المطية، لبُعْدِ الطية والوقاء، من طول الشقاء، ولا تكوني مثل دريَّة الطاعن يغلو بك غيرك غلوة وليد بكتاب))[2] ويشعر بضيق الدنيا عندما يقول: ((ما أضيق علي دنياي... وأنت المفزع إذا بطل كل احتيال)) [3] فيلجأ الى المناجاة:

متى أنا للدارِ المريحة ظاعنٌ　　　فقد طالَ في دار العناء مقامي [4]

ويحاول أبو العلاء في تشبيه الدنيا بصفات ليبغضها الى النفوس، فهي خسيسة وفيه أصناف العظات والعبر:

خسستِ يا أمنّا الدنيا فأُفّ لنا　　　بنو الخسيسةِ أوباشٌ أخسّاءُ

وقد نطقت بأصنافِ العظاتِ لنا　　　وأنتِ فيما يظنّ القومُ خرساءُ [5]

وهي تشبه الميتة ونحن حواليها الكلاب النوابح:

أصاحِ هي الدنيا تشابهُ ميتةً　　　ونحنُ حواليها الكلابُ النّوابح [6]

ومهما تعطفت فهي قاسية تنظر بعين شوساء:

إذا تعطفتِ يوماً كنتِ قاسيةً　　　وإن نظرتِ بعين فهي شوساءُ [7]

وهي زائلة لا ينفع فيها لا البكاء ولا الغناء:

غير مجد في ملتي واعتقادي　　　نوح باكٍ ولا ترنُّم شادي [8]

(1) ينظر: شروح السقط: 979/3.

(2) الفصول والغايات: 49 (الطية: المسافة التي يطويها المسافر. والدرية:حلقة يتعلم عليها الطعانُ. والكتّاب: سهم يُتعلم به. ويقال فيه كتاب أيضاً).

(3) الفصول والغايات: 53.

(4) اللزوميات: 447/2.

(5) اللزوميات: 47/1.

(6) م. ن: 283/1.

(7) م.ن: 47/1 (شوساء: الناظرة شزراً بتكبر وغضب).

(8) شروح السقط: 971/3.

وأفعالها غير جميلة وينبغي أن لا نهوى جمالها:

فعالـــــةٌ غـــــير الجمــــــــــيلِ فلــمْ هويــتَ جمالهــا [1]

ولكثرة الشرور فيها لا نعرف كيف ـ منها، فيذهب الى تشبيه الحياة الدنيا بالمرأة الفاجرة، التي لا تبقى على صاحب واحد [2]. ويرى أن ((الدنيا قحبةٌ يوماً عند عطار ويوماً عند بيطار)) [3]. كل ذلك ويعلم أن للدنيا طلاباً. وما أكثرهم فيذكر قائلاً ((لا تغرنكَ قوةُ الجسد وسواد الشعر، واقتبالُ الأمل، فإنما أنتَ بشفى، تلتقط سلاء وسفى، تمسي أو تصبح منصرفاً من دار الرحلة الى دار المقام)) [4].

ولكن لا يصغي الى أبي العلاء في دعوته الا القلة المتناهية ممن يرفض الدنيا لذلك فهو يذكر تهالك الناس على حب الدنيا [5]. ويعترف على نفسه أيضاً حين يقول مخاطباً الدنيا:

أُشربتُ حبكِ لا ينفيه عن جسدي سوى ثرى لدماء الإنس شرابِ [6]

ومع حبهم للدنيا بماذا يفوز بها الفائزون ؟ ففي أحسن الأحوال طعام ونكاح.. وماذا بعد ؟

أفٍّ لها جلُّ ما يفيدُ بها من فاز فيها الطعامُ الوباءُ [7]

ومن الجانب الآخر في مواجهة الدنيا يحث على المنافسة:

تناهبت العيشَ النفوس بغرةٍ فإن كنت تستطيع النِّهاب فناهبِ [8]

---

(1) م. ن: 2059/5.

(2) م. ن: 996/3.

(3) م. ن: 997/3.

(4) الفصول والغايات: 16.

(5) ينظر: على سبيل المثال اللزوميات: 158/1، 271، 286، 312، 316.

(6) اللزوميات: 158/1.

(7) م. ن: 56/1.

(8) م. ن: 148/1 (الغرة: الغفلة).

فليس لطالب الدنيا أن يبقى مكتوف اليدين أو يبقى عالة على غيره أو يرضى بالمستوى الأدنى من المعيشة. بل ينصح أبو العلاء — إذا طلبت الدنيا فلا ترضى لنفسك الا بأرفع الحظوظ منها. وإلا فاطرحها، وتخل عنها)) [1]. فيقول:

ذر الدنيا إذا لم تحظَ منها — وكن فيها كثيراً أو قليلا
وأصبحْ واحدَ الرجلينِ إمّا — مليكاً في المعاشر أو أبيلا [2]

إذن ليس من المفيد أن ننكر حب الدنيا، ونظهر غير ما نضمر، فلا يخفى على الله شيء فيقول:

ولا تظهرنَّ الزهدَ فيها فكلنا — شهيدٌ بأنَّ القلبَ يضمرُ عشقَها [3]

وليس من الإنصاف أيضا أن ننقم على الدنيا ولا ذنب أسلفت الدنيا فنتكلف الكذب:

نقمت على الدنيا ولا ذنب أسلفتْ — إليك فأنتَ الظالمُ المتكذبُ
وهبها فتاةً هل عليها جنايةٌ — بمن هو صبٌ في هواها معذَّبُ [4]

فالناس في نظر أبي العلاء بطبعهم يسكنون الى الدنيا ويحرصون عليها. والإنسان بطبعه مطبوع على محبة الدنيا كاره للموت. يؤثر ما هو فيه من الشقاء على الموت والفناء. وقد استوى في ذلك الأنس والبهائم والجاهل والعالم والفقير والغني:

وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة — من الدهر الا وهي أفتكُ من قرْنِ
وجدنا أذى الدنيا لذيذاً كأنما — جنى النَّحلِ أصنافُ الشقاء الذي نجني
فما رغبتُ في الموتِ كُدرٌ مسيرها — إلى الوردِ خمسٌ ثم يشربن من أجنِ [5]

---

(1) شروح السقط – البطليوسي: 1371/3.
(2) م. ن: 1371/3 (والكثير هنا:النبيه الذكر. والقليل: الخامل الذكر. أبيلا: المتدين).
(3) اللزوميات: 195/2.
(4) اللزوميات: 86/1.
(5) شروح السقط:918/2.

إلا أنه فرق بين الشباب والشيوخ، فليس من المناسب أن يتذمر الشاب من الدنيا فهو في أيام الصبا والاقتبال. وهي التي توصل الى الأماني والآمال. وهي التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتأسف على فقدها المتأسفون. فإذا حصل من الشاب هذا التذمر فماذا عساه أن يقول إذا ولت أيام الشباب:

إذا الفتى ذمَّ عيشاً في شبيبتهِ فما يقول إذا عصر الشباب مضى [1]

وبعد ذلك يشير أبو العلاء الى قوة الإرادة والمعاندة وعدم الرضا والتسليم فيما يتعلق بأمور البشر والعلاقات والأعمال. أما الأيام فليس لأحد. ذلك لأنها صعبة القياد لا تخلي بين أحد وبين المراد فيقول:

أرى العنقاء تكبرُ أن تصادَا فعانِدْ من تطيق له عنادا
وما نهنهت من طلبٍ ولكن هي الأيام لا تعطي قيادا [2]

وعلى أية حال فإن أبا العلاء يضع هذه الموازنة المنطقية الى حد ما بين الاستعداد الدائم لمفارقة الدنيا. وبين العمل المستمر لديمومة الحياة:

أعمل لأخراكَ شروى من يموتُ غداً وادأب لدنياكَ، فعلَ الغابرِ الباقي [3]

---

(1) م. ن: 2/ 655.

(2) شروحا لسقط: 553/2 (العنقاء: العقاب سميت بذلك لأنها تعنق بصيدها فلا يقدر عليه. لذلك قالوا في الشئ الذي يذهب فلا يرجى: طارت به العنقاء. أي ما تريده من الأيام ممتنع عليه كامتناع صيد العنقاء فعاند من تقدر على عناده... نهنهت: كففت، ارتدعت.).

(3) اللزوميات: 207/2 (شروى الشئ:مثله).

المبحث الثاني
الفرد والمجتمع

ربط الإسلام بين الفرد والمجتمع ((وأوجد بينهما توازناً... فالفرد في الإسلام هو اللبنة الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي)) [1]. وتأسيساً على ما تقدم في مبحث الدين والدنيا، فعندما تكون العلاقة بين الأفراد على أساس روحي، وتبنى على التواد والتراحم والتعاطف. فإن المجتمع يكون مثل الجسد الواحد. فمسؤولية الإنسان ثنائية. فهو مسؤول عن نفسه في رسالته الشخصية وعن غيره من الأفراد لأنهم بذلك يكونون المجتمع [2].

ولأن المجتمع لم يكن كذلك – وكما أشرنا في الحديث عن الأحوال العامة – فقد ((أثر فساد الحياة الاجتماعية والخلقية في نفس أبي العلاء. آثاراً كونت له في الاجتماع والأخلاق آراء خاصة)) [3]. نتناولها في المجالات الآتية:

أولاً: الفرد:

لقد حكّم أبو العلاء العقل في كل شئ. واتخذ رأياً واقعياً لا نظنه بدافع الأنانية الفردية. وإنما بحكم الطبيعة البشرية فيرى:

1. أن يكرم الإنسان نفسه قبل غيره [4]. فهو أحق من الآخرين في إكرامه لنفسه.
2. بل يحلف أبو العلاء أنه لا يوجد أي إنسان، أولى بالتكريم من النفس. لأن جميع الخلق بلا استثناء لا يستحقون ذلك سواء من الفقراء أم من الملوك العظماء الذين تحرسهم الحجاب فكلهم ذميم فيقول أبو العلاء:

(1) نظام الحكم في الإسلام: 117.
(2) ينظر: نظام الإسلام – محمد المبارك: 81 وما بعدها وينظر: تجديد الفكر الإسلامي – د. محسن عبدالحميد: 116.
(3) تجديد ذكرى أبي العلاء: 79، وينظر: آراء أبي العلاء المعري -للرصافي: 77 – 78.
(4) في مجال (الأنا) والقوى المؤثرة عليها فإن (الأنا) هي الجانب الذي يتصل اتصالاً مباشراً بعالم الواقع. ولكن هذه الأنا تتعرض لعوامل.منها الواقع بقوانينه وتقاليده ومنطقه ومستوياته الخلقية. والعلاقات الإنسانية. فربما يتخذ الإنسان بعض المواقف يظهر فيها التكيف وهي عكس ما يضمر. ينظر: علم النفس، أسسه وتطبيقاته التربوية – الدكتور عبد العزيز القوصي: 32.

إذا كان إكرامي صديقيَ واجباً | فإكرامُ نفسي لا محالةَ أوجبُ
وأحلفُ ما الإنسان الا مُـذمَّمٌ | أخو الفقر منا والمليكُ المحجبُ [1]

3. مكانة الفرد ومجده بأفعاله هو. وليس بما فعله آباؤه وأجداده أو أبناؤه:

ومجدهُ أفعاله لا الذي | من قبلهِ كانَ ولا بعدهِ [2]

4. أن يعرف الإنسان قدر نفسه فيصونها عن المزاحمة فيقول: ((والواجبُ أن أقولَ لنفسي وراءكِ أوسع لك)) [3] أي بتأخره يجد مكاناً أوسع. ولعل مكانته تبقى محفوظة، ومنزلته مصانة وإلا من الأفضل ترك هذه الجماعة والارتحال عنها:

ورائي أمامٌ والأمامُ وراءُ | إذا أنا لم تكبرني الكبراءُ [4]

ويعلق البطليوسي: إذا الكبراء لم يوفوني حقي، ولم يعلموا لي مكانتي من الفضل وسبقي، فارقتهم مجملاً، وأدبرتُ عنهم مرتحلاً بعد أن كنت مقبلاً فصار أمامي وراءً وورائي أماما [5].

5. يفضل موت الإنسان على ذل المسألة:

والموتُ أحسن بالنفس التي الفتْ | عزَّ القناعةِ من أن تسألَ القُوتا [6]

6. مع أن النفس البشرية لها استعداد لعمل الخير والشر. وهي قادرة أن تسلك أي الطريقين تشاء الا أن أبا العلاء يرى أن النفس تنزع الى الشر، حتى يبدو وكأن الخير شاذ فيقول:

---

(1) اللزوميات: 88/1.
(2) شروح ألسقط: 1018/3.
(3) رسالة الملائكة: 48.
(4) شروح اسقط: 392/1.
(5) م. ن: والصفحة.
(6) م. ن: 1640/4.

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها فإنْ شذّ منا صالحٌ فهو نادرٌ [1]

7. للتربية العائلية تأثير في سلوك الأفراد:

وفي الأصلِ غشّ والفروعُ توابعٌ وكيف وفاءُ النَّجل والأبُ غادرُ [2]

8. يميل الإنسان الى الملذات متى ما وجد الى ذلك سبيلاً:

والمرءُ ليس بزاهدٍ في غادَةٍ لكنهُ يترقبُ الإمكانا [3]

ولعل الذين لا يجدون اللذات التي تستحق الانغماس فيها، يتظاهرون بالاعراض عنها فيقول:

ولم أعرضْ عن اللذاتِ الا لأن خيارهَا عنّي خنَسنة [4]

9. العفة للرجل، خاصة في مرحلة الشباب وفيه أساس الراحة النفسية والجسدية في الكبر والشيخوخة:

وصن الشرخ نفسك عن غوانٍ يزُرنَ مع الكواكبِ معتمات [5]

10. يفضل إذا كبر الإنسان أن يلتزم الصمت:

إذا ما أسنَّ المرءُ أقصاهُ أهلهُ وجارَ عليه النَّجلُ والعبدُ والعِرسُ
وأكثر قولاً والصوابُ لمثلهِ على فضله أن لا يُحَسّ له جَرسُ [6]

(1) اللزوميات: 421/1.
(2) م.ن.والصفحة.
(3) م. ن: 531/2.
(4) م. ن: 527/2.
(5) م. ن: 238/1 (الشرخ من الشباب: أوله. المعتمات: السائرات في العتمة).
(6) م. ن: 7/2.

وجعل تقدم العمر عيباً ((وان كان محبوباً مرغوباً فيه، لما يدرك الإنسان من الهرم وينالُه من الأوصاب والسقم. وأن الكبير الهرم يصير بغيضاً على من كان يحبه وثقيلاً على من كان يستخفه)) [1].

الأسرة:

وفي هذا المجال يقرر أبو العلاء:

1. إكرام الوالدين، وبالدرجة الأولى الأم فيقول:

العيشُ ماضٍ فأكرم والديكَ بهِ | والأمُّ أولى بإكرامٍ وإحسانِ
وحسبُها الحملُ والإرضاعُ تُدمِنُهُ | أمرانِ بالفضلِ نالا كلَّ إنسانِ [2]

2. العروس الموافقة للرجل جنته الأولى، فيوصي أبو العلاء بانتهاز الفرصة للمتعة في أيام العسل، وما بعده. لأن الزواج أساس الأسرة والأسرة أساس المجتمع [3].

وجنتك الأولى عروسُك وافقت | رِضاكَ فإن اجنتك فاجنِ ثمارها [4]

3. اختيار (فتاة الصدق التي تظل مستترة) للزواج منها فيقول:

تزوجْ إن أردتَ فتاةَ صدْقٍ | كمضمرِ نِعمَ، دامَ على الضّميرِ [5]

4. يدعو كثيراً لاختيار العقيم للزواج:

أرى النَّسل ذنباً للفتى لا يقاله | فلا تنكِحَنّ الدهر غير عقيمِ [6]

---

(1) شروح السقط – البطليوسي: 715/2.
(2) اللزوميات: 554/2.
(3) ينظر: الأسرة في الشرع الإسلامي – عمر فروخ: 78.
(4) اللزوميات: 493/1 (اجنتك: أعطتك الجنى، أو كثر جناها).
(5) م. ن: 558/1 (أراد بمضمر نعم: أن فاعل نعم يكون ضميراً مستتراً وجوباً متى كان مفسراً بنكرة منصوبة على التمييز وأراد تزوج فتاة تظل مستترة).
(6) م. ن: 445/2 ومن أشعاره في كراهية النسل ينظر: 256/1، 327، 326، 328، 343، 345، 352، 354، 428، 437، 482، 510، 512، 520، 546، 566، 570، 603، و 188/2، 333، 345، 354، 375، 431، 440، 445، 492، 512، 518، 592، 596، 619، 631.

5. النسل النافع: أبو العلاء في الأساس لا يحبذ الزواج، ولكنه يعلم حاجة الرجل للجنس فيفضل الزواج من العقيم.

ومع كرهه للنسل [1] والدعوة المستمرة لعدم الانجاب، لكنه يعلم أن مشاعر الأبوة، والرغبة في الأطفال فيرى أن افضل النسل هو النافع:

خير النّساءِ اللواتي لا يلدْنَ لكم   فإنْ ولدنَ فخير النّسلِ مانفعا [2]

وهنا يعد أبو العلاء النسل من الأعمال المفضلة إذا كان نافعاً فيقول:

والنسلُ أفضلُ ما فعلتَ بها   وإذا سعيتَ لهُ فهنْ عقل [3]

6. الزواج بواحدة فقط:

وواحدةٌ كفتكَ فلا تجاوز   إلى أخرى تجئُ بمؤلمات [4]

7. وتكون الزوج الواحدة، شريفة طاهرة وتناسب الرجل بالسن ومن مقامه اجتماعياً:

ولا يتأهلُنْ شيخٌ مقلٌ   بمُعصرةٍ من المتنعّمات [5]

8. يفضل البدويات على الحضريات لأنهن لا يذهبن الى الحمام. ويفضل المرأة التي تمشي على استحياء، وبهدوء حتى لا تحرك متعمدة أو غير متعمدة أكمامها فتثير الفتنة ولا تضع العطر فتنتشر منها الروائح المثيرة [6].

---

(1) يقول أحمد حسن الزيات أن أبا العلاء (حرم على نفسه الزواج ضمناً بنسله على لوم الناس) ينظر: تاريخ الأدب العربي: 307 ولا نظن الأمر كذلك فقط لكنه ضد فكرة الزواج أيضاً.
(2) اللزوميات: 133/2.
(3) م.ن: 358/2.
(4) م. ن: 238/1 وينظر م.ن: 526/1.
(5) م. ن: 238/1 (المعصرة: المرأة الشابة التي راهقت العشرين) وينظر: م. ن: 178.
(6) م. ن: 471/2.

9. يحذر الزواج من الغانيات [1] ولا يوافق على الزواج من المومس:

خِصاؤكَ خيرٌ من زواجِكَ حُرّةً   فكيفَ إذا أصبحتَ زوجاً لمُومسِ [2]

10. ومن اللطيف أن يفضل أبو العلاء الزواج في فصل الربيع، لما فيه من النظرة وحسن الأزهار:

وتمتع بنظرة العيش إذْ جا   ءتكَ في رَونقِ الزَّمان النضيرِ [3]

ومهما يكن من امر في اختيار الزوج في ضوء ماتقدم. فان زمام الأمر ينبغي ان يكون بيد الرجل. وأن تكون الهيبة له والقيادة بيده [4]. ويطلقها طلاقا قطعيا عندما يلاحظ اية شبهة فالمسألة لاتقبل التجزئة عند ابي العلاء:

إذا ركبت إجارها ورأيتها   تكلم يوما في التستر جارها
فبادر اليها البت واهجر وصالها   وقل تلك عنس حل راع هجارها [5]

11. وعندما يكبر الأولاد والبنات. فبماذا يشير أبو العلاء؟ يشير الى تزويج البنت وتخويف الولد من الزواج والنسل فيقول:

واطلب لبنتك زوجا كي يراعيها   وخوف ابنك من نسل وتزويج [6]

لان الزوج الكفء يعمل على صيانة المرأة فيقول:

وما حفظ الخريدة مثل بعل   تكون به من المتحرمات [7]

---

(1) م. ن: 178/2.
(2) م. ن: 42/2.
(3) شروح السقط: 226/1.
(4) ينظر اللزوميات: 235/1.
(5) اللزوميات: 495/1 (الأجار: السطح الذي لا سترة عليه. البت: أراد به الطلاق القطعي. الهجار: حبل تشد به الناقة.
(6) م.ن: 271/1.
(7) م.ن: 239/1.

ومن المهمات التي يدعو اليها المعرى كثيرا تعليم البنت الاشتغال في عمل النسيج او أي اعمال منزلية نافعة. لأن المرأة تتعرض لاحتمالات مستقبلية فيقول:

أن نشأت بنتك في نعمة   فالزمنها البيت والمغزلا
ذلك خير من شوار لها   ومن عطايا والد أجزلا [1]

ويقول: "إنسجن في النسج، وخذن عيدان العوسج، واشتغلن بالمغزل عن الغزل " [2] ومسوغات ذلك عند ابي العلاء انه عند وفاة المعيل، تاركا زوجته وبناته يغزلن ويجنين من غزلهن أطيب مطعم، اي طعاما حلالا:

ولّى وخَلّفَ عرسَهُ وبناته   يجنينَ أطيبَ مطعم من عوسج [3]

ومن ادبيات ابي العلاء، ان يعود الاباء والأمهات بناتهم احترام الزوج ولا يعصن أمره. ولعله يفضل طاعة الزوج على فريضة الحج مع معصيتها لزوجها فيقول: " لا احمد نساء عصين الأزواج وقعدن على ظهور الركائب حواج البيت ومعتمرات " [4]. وأذا ترملت المرأة يفضل المعرى ان تقعد على أطفالها ولا تتزوج ثانية فتكون بين النساء مثل البتول [5] وبهذا تحسن صنعا فيقول: " وأحسنت المشبل على الأصيبية كالسلفان " [6]. وهو يرى: " ان الرجل يقوى بأسرته ازره، ويشد بمكانهم ظهره " [7].

وقبل ان يغادر الأسرة. لا ينسى أمكانية وجود خادمة أو عبد فيستوصي بهم خيرا في المعاملة:

---

(1) م.ن: 306/2 وينظر م.ن: 41/2، 368/2.

(2) الفصول والغايات: 117 (العوسج: من شجر الشوك له ثمر احمر مدور كانه خرز العقيق).

(3) اللزوميات: 274/1 العوسج: المغزل.

(4) الفصول والغايات: 117.

(5) ينظر اللزوميات: 364/2.

(6) الفصول والغايات: 129 (المشبل: المرأة التي لاتتزوج بعد زوجها ولها أولاد. السلفان: جمع سلف وسلفة وهي فراخ الجمل والقطا، ويقال الأولاد الانسان الصغار سلفان تشبيها بذلك).

(7) شروح السقط: 1252/3.

واردد عصاك عن السوداء ماهنة   وأرفق بعبدك في المصطاف والقرس [1]

ومسوغات ذلك عنده، وهو ضعف الانسان. فما هي فاتحة عمره وما هي خاتمة أمره فيقول:

لو عرف الانسان مقداره   لم يفخر المولى على عبده [2]

ويقول: رب عبد هو أزكى من سيده " [3].

إكرام الجار: وقبل ان ينتقل الى المجتمع، يعطي للجار خصوصية بالتكريم، والمحافظة على حرمته. بما في ذلك الابتعاد عن محاورة نساء الجيران تحفظا لما يترتب على الحوار من علاقات مريبة. ويحذر أيضا من النظر الى الجوار عندما يكون الجدار بارتفاع قليل فيقول:

فنزه ناظريك عن الغواني   واكرم جارتيك عن الحوار

إذا قصر الجدار فلا تشرف   لتنظر ما تستر في الجوار [4]

ويقول: " لا تضر الجار إذا لم تنفعه، وإذا أوليت معروفا فأشفعه " [5].
ويفضل الهرب من جار السوء، بعد ان يقسم الجار الى " ثلاثة: أولهم كالماء العذب طهرك ووردته فأصدرك، إما غمرك واما غمرك والثاني كماء البحر قضى الفرض ولم يروك ولم يرو الأرض. والثالث كالخلب كانه جلب، فالهرب الهرب من سوء الجوار " [6].

(1) اللزوميات: 47/2 (الماهنة: الخادمة. القرس: شدة البرد).
(2) شروح السقط: 1016/3.
(3) الصاهل والشاحج: 167.
(4) اللزوميات: 559/1 (تتشرف الجدار: أي تعلو).
(5) الفصول والغايات: 276- 277.
(6) م.ن: 323- 324.

ثانيا: المجتمع:

يقول أبو العلاء " الرجل مع الرجل عصبة " [1] ويعطي قيمة للفرد. فربما لا تستغني عنه الجماعة فيقول:

وما كان يغني القرن عن حمل سيفه   إذا الحرب شبت كثرة من سهامه[2]

يريد: ان كثرة السهام لا تغني القرن عن حمل السيف في الحرب، أي ربما قام الواحد مقام الجماعة، والجماعة لا تغني عن ذلك الواحد [3]. والبشر يحتاج بعضهم بعضا ويخدم كلٌّ منهم الأخر:

والناس بالناس من حضر وبادية   بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

وكل عضو لأمر ما يمارسه   لا مشي للكف بل تمشي بك القدم [4]

وانتبه أبو العلاء على تشخيص بعض الرجال الذين لا ينتظر منهم التعاون فهم كقبر الميت، تمنحه أعز شيء ولا يعطيك تعويضا:

بعض الرجال كقبر الميت تمنحه   أعز شيء ولا يعطيك تعويضا [5]

ثم يقسم أبو العلاء الناس على ثلاث مراتب:

1. من يسمو بأعماله فيشبه الملائكة.
2. من ينحط في مستوى أفعاله فيكون مثل البهائم.
3. ومجموعة وسط من تمتزج سيئاتهم بحسناتهم وتمثل الانسان العادي فيقول:

---

(1) م.ن: 5.
(2) شروح السقط: 486/2.
(3) م.ن: والصفحة.
(4) اللزوميات: 398/2.
(5) اللزوميات: 90/2.

ثلاث مراتب: ملك رفيع — وإنسان وجيل غير إنس
فان فعل الفتى خيرا تعالى — إلى قنس الملائك خير قنس
وإن خفضته همته تهاوى — إلى جنس البهائم شر جنس [1]

إلا انه يرى الناس كلهم سواء في احتمال توقع الأذى منهم بما في ذلك العلماء [2]. لأنه يرى ان الشر وفساد الطبيعة غريزة في الانسان، وهي الأصل في سلوكه. أما الاخلاق الحميدة أذا وافقناها استثناء عن هذا الأصل:

ان مازت الناس اخلاق يعاش بها — فانهم عند سوء الطبع اسواء [3]

ويكرر أبو العلاء هذا المعنى كثيرا في شعره [4]. والا كيف نفسر هذا الصراع والخداع بين بني الانسان. وهناك من يرتفع ببعض الناس الى القمة ثم يهبط به الى الحضيض في يوم يجعلونه الها، وفي اليوم التالي يكفرونه، فما مصدر هذه الاهواء:

وكم أدى، أمانته اليها — امين خونته وسرقته
وقائم أمة زكته عصرا — فلما تمكن فسقته [5]

والناس يعرف بعضهم بعضا ويشتركون في هذه الصفة. ومادام الخلق بهذا الخلق فهو يتمنى ان " قوما لا منفعة في حياتهم، فقدت اعمارهم، وعوجلوا بمماتهم ليستراح من شرهم، ويؤمن من يتولى من ضررهم " [6] فيقول:

فليت شباب قوم كان شيبا — وليت صباهم كان اكتهالا [7]

---

(1) م.ن: 55/2 (الجيل هنا الصنف من الخلق والمراد به البهائم. القنس: الأصل)
(2) م.ن: 48/1.
(3) م. ن: 48/1.
(4) ينظر اللزوميات: 110،129،140/1، 142، 186، 212، 272، 309، 317، 321، 411، 432، 323، 324، 358، 421، 428، 443، 479، 480، 507، 542، و 482/2، 484، 504، 506، 510، 518، 535، 539، 545، 546، 548، 551، 553، 556، 562، 597، 566، 568، 569، 575، 576، 610، 611، 617، 626، 633، 644، 652.
(5) اللزوميات: 600/2.
(6) شروح السقط: 83/1.
(7) م.ن: والصفحة.

وعلى اية حال يريد أبو العلاء من افراد المجتمع:

1. جوهر الاعمال والاخلاق الحميدة. فان الفضل ليس في الملابس الرائقة، والحلي الفائقة. وانما الفضل في السبق الى غايات المجد. والاستكثار من المناقب والحمد كما ان الفرس الهجين لا يلحق مرتبة الخيل العتيقة ومداها بحلية جميلة وانما يلحقها بالسبق وشرف العتق:

وما يدرك العرب الهجين بجله ... ولا حلية في سرجه ولجامه [1]

2. المهم هو المبدأ حتى اذا اختلت الموازين. فاذا كان ذوو الفضل يصحبهم الحرمان، وان ذو النقص هم الذين يساعدهم الزمان. فلا يزيد من سرعة الخيل اذا كان السرج من ذهب، ولا ينفع الفارس انه مطوق بتبر فيقول:

وليس يزيد في جرس المذاكي ... ركاب فوقه ذهب ممار
ورب مطوق بالتبر يكبو ... بفارسه وللرهج آعتكار
وزند عاطل يحظى بمدح ... ويحرمه الذي فيه السوار [2]

3. يوازن أبو العلاء بين الواقعية والمثالية، فهو عندما يزهد في هذه الدنيا ليس بدافع التشاؤم فحسب. فقد جرب تقلب الاحوال وسوء المعاشرة. فهو لم يحرص على الحياة، كما يحرص عليها الشاب. فالاخير لقلة معرفته بالدهرة حريص ان يمد له في العمر فيقول:

جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ود آمرىء غرضا [3]

4. ومهما يكن من امر، في مواجهة اخلاق المجتمع، فان ابا العلاء يوصي بالاعتزاز بالبلد والعشيرة حتى اذا كان يبدو للفرد امكانية العيش الافضل في مكان

---

(1) م.ن: 487/2.
(2) م.ن: 816/2.
(3) شروح السقط: 656/2.

آخر. فانما يطيب في الظاهر فقط. فاما الباطن فانك فيه غريب، ولا تكون فيه كما تكون في بلادك وعشيرتك:

ظعنت لتستفيد أخا وفيا ... وضيعت القديم المستفادا [1]

5. مجانبة الناس لتأمن سوء افعالهم، ولكي لا تكون ممقوتا لديهم. فهم لابد وان يذموا كل من صحبوا مهما كان مظهرهم. وأفضل عمل هو التقوى لقضاء الوقت والتخلص منهم ومن سوء افعالهم:

وجانب الناس تأمن سوء فعلهم ... وأن تكون لدى الجلاس ممقوتا
لا بد من أن يذموا كل من صحبوا ... ولو أراهم حصى المعزاء ياقوتا
وقضي وقتك بالتقوى تجوزه ... حتى تصادف يوما فيه موقوتا [2]

6. ان الطبع سرق من الطبع، فالصحبة من وسائل التربية [3] فيشير الى عدم مجالسة أهل الدنايا:

ولا تجلس الى اهل الدنايا ... فان خلائق السفهاء تعدى [4]

7. يلجأ الفرد الى التجاهل والتغافل، في المجتمع الذي تختل فيه الموازين، تفاديا للمشكلات ولعدم الجدوى من المواجهة فيقرن العجب بادعاء الناقص للفضل. والاسف باظهار الفاضل للنقص:

فوا عجبا كم يدعي الفضل ناقص ... ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل [5]

---

(1) م.ن: 790/2.
(2) اللزوميات: 214/1 (المعزاء: الأرض ذات الحصى. تجوزه: تسوءه تراه جائزا).
(3) ينظر تربية المراهق في المدرسة الاسلامية – محمد جمال الدين محفوظ: 198.
(4) اللزوميات: 385/1.
(5) شروح السقط: 528/2.

8. يفعل ويقول الفرد، ما يرغب في مواجهته لنفسه من الاخرين:

وافعل بغيرك ماتهواه يفعله   واسمع الناس ما تختار مسمعه [1]

9. مياسرة الاصحاب فيقول: "وجدت المياسرة أفضل من المعاسرة" [2].

10. يؤيد أبو العلاء الثقة اذا أمن بعض الأفراد بعضهم الاخر على المال. ولا يأمن على الحرم فليس للثقة هنا مكان:

إذا امنت على مال أخا ثقة   فاحذر أخاك ولا تأمن على الحرم [3]

11. الحفاظ على السر، وعدم ايداعه لأي مخلوق:

فظن بسائر الإخوان شرا   ولا تأمن على سر فؤادا [4]

12. يحبذ العفو، والعفو المجرد غير المتبوع باللوم:

اذا عفوت عن الانسان سيئة   فلا تروعه تثريبا وتقريعا [5]

ولعل من مسوغات ذلك عند ابي العلاء قوله " ربما كان السكوت جوابا" [6].

13. رعاية المؤاخاة على الاجتناب لا على الاقتراب، فان الصاحب يعرف في الشدة وعند البعد:

ابا احمد اسلم إن من كرم الفتى   إخاء التنائي لا إخاء التجمع [7]

---

(1) اللزوميات: 134/2.
(2) الصاهل والشاحج: 610.
(3) اللزوميات: 455/2.
(4) شروح السقط: 559/2.
(5) اللزوميات: 134/2.
(6) الصاهل والشاحج: 166.
(7) شروح السقط: 1583/4.

14. يدين الرياء والنفاق:

ويظهــر لــي مودتــه مقــالا ويبغضـــني ضـــميرا واعتقـــاد [1]

15. التقشف في المأكل والملبس:

وأفضل من عيش الغني عيش فاقه ومــن زى ملــك رائــق زى راهــب [2]

16. الاقتصاد في البناء، فالدنيا دار رحيل:

وكيــف أجيـــد في دار بنـــاء وربّ الـــدار يـــؤذنني بنقــــل [3]

17. يحث على الكسب والعمل، وعدم الاتكال، ويعد ذلك من السمات الاساسية للدين:

تـروم رزقـا بـأن سموك مـتكلا وادين الناس من يسعى ويحترف [4]

18. ويدعو للزراعة. فيقول: " وحارث الارض عند ربه اوجه من الحارث الحراب" [5].

19. التكافل الاجتماعي:

اذا أوتيــت مــلء يــد طعامــا فــاطعم مــن عــراك ولـو كظفـر [6]

وله شواهد كثيرة، يحث فيها على المشاركة في النعمة واللقمة، ويكره الطبقية والتفاوت بين الاغنياء والفقراء ليتحقق التوازن المادي المطلوب، لاستقرار المجتمع وتفادي الصراع. وهو يقدم الفقراء ويقول: "واعلم أن الفقراء بطعامك

---

(1) شروح السقط: 567/2.
(2) اللزوميات: 145/1.
(3) م.ن: 344/2.
(4) م.ن: 151/2.
(5) الفصول والغايات: 85 (الحارث الحراب: ملك من ملوك كندة).
(6) اللزوميات: 556/1.

احق من الاغنياء" [1] ويقول:" الانفاق افضل من الإشفاق، وان الدرهم إذا جعل في كيس فما يزال في تنكيس. وإذا هو الى المقتر دفع، نمي الى الجو فرفع. وكذلك ينبغي ان تكون شيم الاولياء زيادتك في در الايتام، أبقى ذخيرة من الدر المعتام. ودعاء الفقير انهض بك من رغاء العقير. ويدارك مغوثة الارملة، خير من بدرك المكملة" [2].

تلك اذن نظرة ابي العلاء في تأكيده على مساعدة الفقراء ورعاية خاصة للأرامل والأيتام. ويريد ان نشمل في الرعاية الاجتماعية جميع الافراد حتى المسيئين منهم فيقول: "فأعط مالك ولو من ذمك" [3].

وحق الرحم يجب عدم تجاهلها: "ولا تضيعن حق الرحم فانه لا يجهل" [4]

20. نصرة المظلوم "وانصر المظلوم بالكلمة تنصر باليد واللسان" [5].
21. الاشفاق على العمال من مشقة العمل: فعلى لسان الشاحج، ينقل الشكوى من تواصل العمل مع طول النهار: " لم يلبث أن جاء الزراع فحلني للعمل. فيا لك يوما ما اطول" [6].
22. المشاركة الجماعية، ويفضل المساواة في كل شيء حتى في المطر، يريده ان يعم البلاد جميعا، وجنة الخلد لوحده لا يريدها، فهو لا يحب الاستئثار بشيء دون اخوانه:

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا
ولو أني حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا [7]

23. أفضل الناس اكثرهم نفعا: فيقول: " وانما أحب الناس الي اكثرهم نفعا لي، وأبغضهم الى نفسي من كثرت منه مضرتي" [8].

---

(1) الفصول والغايات:76.
(2) الصاهل والشاحج: 96.
(3) م.ن: والصفحة.
(4) م.ن: 105.
(5) م.ن: والصفحة.
(6) م.ن: 100.
(7) شروح السقط: 564/2.
(8) م.ن: 682.

24. التجرد في عمل الاحسان لخدمة البشرية والتعاطف بين بني الانسان فهو يدين الاحسان المشروط بالمنفعة وبالمقابل: "وقل ماجاءك إحسان ساعفك به الانسان الا وهو يأمل جزاء عليه اكثر مما نالك منه وأسرً. جاد ناسك بالبرة ليسمح له بملء الجرة. وتتبع الراعي بالصبة أنيق الكلأ. فأمعن طلبا لترويه بعد حلبا. وأضاف الرجل مضيف لأمرين: إما لثناء يكتسبه واما دفعا لمذمة تجدبه. على انه لا تخلو البسيطة من قوم يكرمون بالطبع، وينفعون العالم لغير نفع" [1] وخاصة في وقت الشدائد "وما أحسن بالقوم التأسي إذا نزلت الشدائد" [2] وأن لا يلحق ذلك منه:

إن من أقبح المعايب عارا ان يمن الفتى بما يسديه [3]

والسمة المطلوبة لجميع ما تقدم ان لا تسفك الدماء، فعدم سفك الدم يعده ذخيرة عند الله كما نفهم ذلك من قول النملة وهي توجه كلامها الى نادباتها. فيقول "لا تجزعن فقد ذخرت عند الله ذخيرة. من ذخر مثلها جدير بالرحمة، وذلك اني لم اسفك دما قط" [4].

وهذه المفاهيم التي يسعى اليها المعرى، هي التي امدتنا بإمكانية تأسيس المدينة العلائية الفاضلة على ما سنقف عليه في المبحث الخامس من هذا الفصل ان شاء الله تعالى.

---

(1) الصاهل والشاحج: 129.
(2) م ن: 500.
(3) اللزوميات: 635/2.
(4) أحكام صنعة الكلام – للكلاعي – نقلا عن كتاب (القائف المفقود) للمعرى: 209.

المبحث الثالث

الحاكم

إن الاسلام، أراد للحاكم أو السلطة عموما، فهماً يسقط عنها طبيعة المغنم الشخصي. ويبعدها عن روح التسلط. وتكون عهدا بين الحاكم والمحكوم أساسه العدل. أي العمل بالشريعة. فهو العهد والعقد كما هو الحال بين الله والعبد ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ))[1]. فيختار أهل الحل والعقد "أكثرهم فضلا واكملهم شروطا. ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته"[2]. فيدخل الناس تحت سلطته والانقياد له، شريطة ان يتبع الحق((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[3]، "و" اجتمعت الامة قاطبة الا من لا يعتد بخلافه على وجوب نصب الامام"[4].

ويحدد ابن خلدون الخلافة: في حراسة الدين وسياسة الدنيا[5]. ومهمة الحاكم وظيفة تنفيذية محكومة بالحدود الشرعية[6]. "لحماية المصالح العامة والدفاع عن البلاد، واقامة الاحكام، والفصل في المنازعات، وجباية الاموال وتوزيعها على مستحقيها، واختيار الولاة، وتكليفهم بمهماتهم، الى جانب المهمة الرئيسة التي يقوم بها وهي حماية العقيدة... وتعد الولاية في نظر الاسلام امانة، وعلى الحاكم ان يقوم بهذه الامانة على الوجه الاكمل"[7] ولهذه الاهمية يعد "السلطان كالقلب"[8] للجسم. فالحاكم هو الذي ينوب عن الرعية ليتولى تنفيذ الاحكام لمصلحة العباد والبلاد.

---

(1) القرآن الكريم– سورة البقرة –الآية: 40.

(2) الأحكام السلطانية والولايات الدينية:7.

(3) القرآن الكريم – سورة الأعراف –الآية: 8.

(4) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: 74 وينظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: 161 وينظر النظريات السياسية الاسلامية: 76.

(5) المقدمة: 170.

(6) ينظر سلوك المالك في تدبير الممالك:183.

(7) نظام الحكم في الاسلام، د. محمد فاروق النبهان: 39– 40 وينظر النظريات السياسية الاسلامية:133– 134.

(8) الشفاء في موعظ الملوك والخلفاء:62.

وهـذا الـذي نتوجـه اليـه، بهـذا المفهـوم، وبهـذا القصـد، فلعـل دائـرة الفهـم للمصطلح تشمل مفاهيم أخرى. فان الأمر لا يعني البحث. ولان" الاحاطة التامة بتفاصيل هذه النظم... هو امر ينوء عمله" (1).

ويرسم أبو العلاء، خطا مستقيما لاختيار الشخص الذي يتولى منصب (الحاكم) فلا يتبع اساليب الرشوة للحصول على البيعة بحجة الهدايا لانعاش الفقراء، واسعاد الاشقياء فيقول:"يفرقه في أفناء سبيعة ويأخذ به على القوم البيعة" (2) فجعل مايفرقه" من الحرير والديباج كالرشوة لاخذ البيعة وهو تهكم لاذع" (3) وكذلك لايتبع القوة للسيطرة على الحكم:

فلا تشهرن سيفا لتطلب دولة   فأفضل ما نلت اليسير المروج (4)

ومهما يكن من امر المبايعة، فانهم يبايعونه على السمع والطاعة. لأنه رسخ في اعتقادهم (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق). وحول هذا المفهوم يكون الخليفة هو الحاكم الوحيد على الامة الاسلامية جميعا. وهذا يفتقده أبو العلاء، ويعلم إن بلاد الاسلام اقطار متباعدة ومتصارعة. لذلك فان ابا العلاء يواجه هذا الواقع ونحن معه. دون أن نضطر الى تفاصيل الاختيار لخليفة المسلمين في فكر ابي العلاء.

ولعل تشريع الماوردي" لم يكن سوى وصف لأمر واقع، ومحاولة لأضفاء نوع من الشرعية الفقهية عليه. وقد تطور فقه السياسة بعد الماوردي عبر سلسلة من التنازلات والتخلي عن الشروط، حتى انتهى به الأمر الى الاعتراف بأن الحكم انما يتم بالشوكة والغلبة... ثم انتهى الامر بالفقهاء الى صياغة (مبدأ كلي) يلغي فقه السياسة الغاء تاما مبدأ القول: من اشتدت وطأته وجبت طاعته" (5).

---

(1) دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الأولى: 9.

(2) رسالة الهناء: 105 (سبيعة: اسم قبيلة).

(3) م.ن: والصفحة هامش المحقق.

(4) اللزوميات: 254/1 (المروج:المعجل).

(5) وجهة نظر: 92. وهناك وجهات نظر حول الغلبة والاستيلاء في الاسلام. ينظر النظرية الاسلامية في الدولة: 306-307.

وهناك من يلهم الفكرة وينعش الآمال في محاولة للاصلاح، وللأدب صلة بنظام السياسة، فهو مؤسسة اجتماعية، اداته اللغة، وهي من خلق المجتمع.. والأدب يمثل الحياة، والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة، والأديب عضو في المجتمع، كما انه يخاطب جمهورا مهما كان افتراضياً. ويتعهد هذا المنحنى الاجتماعي للأدب بشكل خاص أولئك الذين يعتنقون فلسفة اجتماعية خاصة، والأديب مواطن وله رأي في المسائل ذات الأهمية الاجتماعية والسياسية [1].

ومن هذا المنطلق يأتي الإيمان بان للمعرى فكرا سياسيا، ولكن هذا الفكر غير ملزم لاحد، فهو يمثل اراء املتها عليه ظروف العصر، وربما لا تلبي الحاجات الآنية لذلك العصر ولا المستقبلية منها.

لقد كان امام الامر الواقع، لذلك فان النصح وليس الرقابة، ولا الحد من السلطة هو الموضوع الرئيس في الفكر السياسي الاسلامي. والحاكم الذي يقبل النصح ويعمل بشيء منه، هو الحاكم الفاضل. ولكن كم مرة وجد مثل هذا الحاكم الفاضل؟ الم يضطر الفقهاء في كل عصر الى الافتاء بجواز تولية (المفضول) على الأفضل. وهل كانوا يستطيعون الإفتاء بغير هذا، وقد كانوا يتعرضون دوما لذلك الخيار المعروف. اما هذا القبول واما هذا السيف [2].

اما الخروج على الامام فقد تجنبوا الافتاء به بدعوى اتقاء الفتنة. ومن هنا "عملوا على تكريس المبدأ القائل: الحاكم الظالم خير من وضع لا حاكم فيه. وهو مبدأ كان من نتائجه ترسيخ روح الاستسلام، واتخاذ مبدأ (ليس في الإمكان أبدع مما كان) قاعدة للموقف السياسي" [3].

ويرى أبو العلاء ان الرعية هي مصدر السلطة لانها تختار الحاكم، وهو بمثابة الخادم للقوم، فالسلطة ليست مغنما بل مغرم اذا لم يؤد حقها في خدمة الرعية:[4]

---

(1) ينظر نظرية الأدب- رينيه ويليك- اوستن وارين- ترجمة محي الدين صبحي- مراجعة الدكتور حسام الخطيب:119-123، 120.

(2) ينظر النظريات السياسية الاسلامية: 75.

(3) وجهة نظر- د. محمد عابد الجابري:121.

(4) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 605- 606.

اذا مـا تبينـا الأمـور تكشـفت لنـا، وأمـير القـوم للقـوم خـادم[1]

" ومن هنا نعلم أن ابا العلاء، لا يـرى الملك ولا وراثتـه، وانمـا يـرى الانتخـاب والبيعة" [2] وينصح أبو العلاء بالابتعاد عن الحكم:

ان الرئاسة والريس اللذان هما أصل الحقود فلا ترأس ولا ترس[3]

مواصفات الحاكم في المؤسسة العلائية:

ممـا تجـدر الاشـارة اليـه. ان ابـا العـلاء لم يضـع مواصـفات للحـاكم علـى اساس منهج معين، أو على وفق الشريعة مثلا. لذلك لابد من تجميع ما ورد منها في ثنايا أدبه، وهذا يعني مرة اخرى إن ترتيب هذه المواصفات لم يأت على أساس أولويات رتبها أبو العلاء. وانما اجتهدت في ترتيبها على وفق ما يأتي:

1. النسك والتقوى:

يرى أبو العلاء، ان من صفات الحاكم المطلوبة النسك فيقول:

"كـان حـق الخلافـة أن تفضـي الى مـن هـو بنسـك معـروف، لا تصـرفه عـن الرشد صـروف" [4] لـذلك فهـو يمتـدح مـن كـان لا يصـرف اعضـاءه الا في طاعـة الله، عندما ذكر مناقب الشريف الطاهر، والد الرضي والمرتضي. وأشار الى معنى طهارة حاجاته انه لا يطلب من الحوائج الا المستحسنات فقال:

الطـاهر الابـاء والابنـاء والـ آراب والأثـــــــــواب والألآف [5]

---

(1) اللزوميات: 389/2.

(2) تجديد ذكرى ابي العلاء: 303- 304.

(3) اللزوميات: 47/2 (ترس:التبختر) ينظر حول المعنى من: 219/2، 264/1.

(4) الغفران: 445.

(5) شروح السقط: 1266/3 (آراب: الأعضاء: الالاف: الاصحاب).

ويعد التقوى هي التاج الحقيقي فيقول:

والتاج تقوى الله لا ما رصعوا   ليكون زينا للامير التائج [1]

ويحث لاتباع الحق حيث لافخر في الحسب والنسب:

لا يفخرن الهاشمي   على امرئ من ال برير
فالحق يحلف ما علي   عنده الا كقنبر [2]

ويذكر على سبيل المثال خفافا فقد ساد في قومه مع ان امه أمة سوداء فيقول:

مثل خفاف ساد في قومه   على أجتناب الحسب المظلم [3]

2. العدالة:

يريد عدالة شاملة كاملة. يريد من سيرة الحاكم العدل والاستقامة في جميع احواله وافعاله. وان سجيته تقتضي العدل مع الذوابل [4] فيقول:

وأبصرت الذوابل منه عدلا   فأصبح في عواملها آعتدالا [5]

ويوضح التبريزي في شرحه معنى البيت: ان الاعتدال الذي في عوامل الرماح انما هو كالطاعة لانها علمت ان هذا الحاكم يريد العدل، فصارت معتدلة كذلك [6].

---

(1) اللزوميات: 276/1 (التائج:لابس التاج) لأن تولي هذه المهمة في قيادة الرعية (أصل من اصول الدين، مشوبا بالملك والسياسة، فينبغي ان ينظر فيه الى جانب التقوى) ينظر الاشباه والنظائر– زين العابدين بن ابراهيم ابن نجيم (ت970): 262/2 وبذلك نطق القرآن الكريم (إن اكرمكم عند الله اتقاكم) سورة الحجرات– الآية:13.

(2) اللزوميات: 606/1 (قنبر: مولى علي بن ابي طالب رضي الله عنه).

(3) شروح السقط: 1809/4 (خفاف بن عمرو بن الشريد السلمي وهو ابن عم الخنساء الشاعرة).

(4) الذوابل: الرماح.

(5) شروح السقط: 71/1.

(6) م.ن: والصفحة.

ويؤكد شمولية العدالة اللازمة للحاكم عندما يشبه الامر كالمطر الذي يشمل الجميع دون تفرقة بين غني وفقير، وشريف ووضيع فيقول:

وقاسم الجود في عال ومنخفض　　　كقسمة الغيث بين النجم والشجر [1]

ويتحقق العدل والحاكم "مواس آس... فانه قد بسط آمال الناس" [2] في شمولية العدلية المشابهة للمطر، هذا العدل الذي يعم البلاد يترجم ثناء على العادل ومن آثار عدله ان يكون الجو عطرا فيقول:

"كاد يكون عدله في الآفاق مطرا وتأرجت البلاد بثناء عليه فَهَمَّ الجو ان يكون عطرا" [3].

ويسمي الحكام "ولاة العدل" [4] ويرى ضرورة تعويدهم العدل منذ الصغر وتأديبهم عليه فيقول: "واذا كان احدهم صغيرا، كان في الباطل واللعب مغيرا حتى اذا كبر أنف فلم يستأنف" [5].

ويمتدح عزيز الدولة لعدالته في المساواة حتى بين النساء الحضريات والبدويات على حد سواء فيقول:" ليتكلف من إيناس الرعية ما لا يحب على السلاطين، حتى لقد خلط بالنساء المدريات سواكن البر القفريات" [6] ويستحسن رعاية خاصة للايتام ويعد ذلك" ابقى ذخيرة" [7].

ويحدد بوضوح مؤشرات هذه العدالة، فيكون الحاكم هو آخر من يستفيد بعد ان يشمل بتوزيعه العادل جميع الخلق في البادية والحضر على حد سواء، بما في ذلك الماء في الوقت الذي يستمر الحاكم بمتابعة المحافظة على انتشار العدل، والضرب على يد المخالفين لحماية العدل ومما يقوله في هذا الصدد:

---

(1) م.ن: 138/1 (النجم: من النبات ما لم يكن له ساق، والشجر ما له ساق).

(2) الصاهل والشاحج: 95.

(3) م.ن: والصفحة ويتكلم هنا عن عدالة عزيز الدولة في حلب.

(4) م.ن: 96 لان العدل هو الأساس لانضباط المجتمع (ان الله يأمر بالعدل والإحسان) سورة النمل– الآية:90.

(5) م.ن: 95.

(6) م.ن: 523.

(7) م.ن: 96.

لا شام للسلطان الا أن يرى ... نعم البداوة كالنعام الطارد
ويكون للبادين، عذب مياهه ... مثل المدامة لا تحل لوارد
وتظل أبيات لهم شعرية ... كبيوت شعر من البلاد شوارد
ويقوم ملك في الأنام كانه ... ملك يبرح بالخبيث المارد
صنع اليدين بقتل كل مخالف ... بالسيف يضرب بالحديد البارد
قالوا سيملكنا إمام عادل ... يرمي اعادينا بسهم صارد [1]

ولذلك يتشدد في اختيار القاضي العادل كما ورد في الصاهل والشاحج فهو يتدرج من الضب الى الفاختة. وهذه شهرت بالكذب، ثم الغراب، وقد عرف عنه الفسق، ثم الزرياب فان به صرعا ثم يقول: "وهذه الإبل قد جاءت للورد فان شئت أن تستظهر لعلمك فاجعل الحكم بعضها توفق في ذلك" [2] ومسوغ هذه التحفظات عند المعرى على أساس " للكذب فيه سوق ليست للصدق، والباطل عنده مسالك زويت عن الحق" [3].

وفي الوقت نفسه يريد ان لا يحصل التأثير على القاضي فيذكر كيف قامت الفاختة عندما سمعت "مناجاة الصاهل وثناءه عليها، وأقوال الشاحج ونقصه منها، فترف عينها للصاهل، تغمز عليه وهو لا يراها، لأنه معصوب العينين، وتنطلق الى البعير الوارد فتعكس ما قال الشاحج فيه وتجعل القول الذي نطق به الصاهل من وصفه بالجهل محكيا عن الشاحج. تريد أذاته بذلك. فتخبره بما قيل فيه من الصفة بقلة اللب، فتملأ صدره من الغضب والحقد. حتى اذا اورد، يهش بفمه بعد الرى الى جحفلة ذلك المسكين فما شعر حتى أزم بها على الغرة إزمة حنق مغتاط

---

(1) اللزوميات: 394/1 (لاشام: لعله من قولهم ماله شامة ولا زهراء اي ماله ناقة سوداء ولابيضاء فيكون المعنى: لاتياق للسلطان. او لعله اراد بشام بلاد الشام، متخذا هذه اللفظة بمعنى بلاء على الأطلاق. الطارد: فاعل بمعنى مفعول، اي المجموع، المسوق: البادون: سكان البادية صنع اليدين: حاذق في الصنعة).

(2) الصاهل والشاحج: 198.

(3) م.ن: 202.

وهدر في ذلك هدر الموعد. فضج الشاحج وقال: ماهذا يا ابا أيوب؟ لقد سفه حلمك وخف وزنك ونفرت نعامتك" [1].

وغني عن البيان ان العدل من مبادئ الاسلام ((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ)) [2] ويقول ابن تيمية هذه الآية: نزلت في ولاة الامور [3]. ولعل مفهوم العدالة اكثر ما يذهب في البعد هو في الاسلام. حيث يشمل النفس فيقول تعالى: "ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين" [4].

3. ان يبتعد الحاكم عن الظلم:

يرى ان الظلم من صفات البشر، ويعد الناس اظلم من الذئاب:

لو حاورتك الضأن قال حصيفها   الذئب يظلم وابن آدم أظلم [5]

فينادي الحاكم:

أيا والي المصر لا تظلمن   فكم جاء مثلك ثم انصرف [6]

لان الظلم عند ابي العلاء قبيح ولا يجوزه، ولكن يعلم انه ليس له من الامر شيء فهو غير مطاع:

والظلم قبيح لا أجوزه   ولو أطعت لما فاوءوا بأجلاب [7]

---

(1) م.ن: 206- 207 (ترف: تختلج والضمير في عليه وهو لايراها، للشاحج. بهش بفمه: تناول، وبهش للشيء اذا تهيأ له وطلبه، وجحفلة البعير بمنزلة الشفة للانسان، وازم: عض. أبو ايوب كنية الجمل. ونفرت نعامتك: اشارة الى الطيش والخفة).

(2) القرآن الكريم- سورة النساء- الآية:58.

(3) ينظر السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية: 5.

(4) القرآن الكريم- سورة النساء- الآية:135.

(5) اللزوميات: 409/2 (الحصيف:المحكم العقل) وينظر م.ن: 415/2 و 472.

(6) اللزوميات: 171/2.

(7) اللزوميات: 155/1 (الاجلاب، من اجلب القوم: اختلطت اصواتهم وضجوا).

لذلك فهو يفضل الصخرة التي لا تظلم الناس على أفضل افضلهم:

أفضل من أفضلهم صخرة   لا تظلم الناس ولا تكذب [1]

ولماذا هذا الظلم؟

وحبل الشمس منذ خلقت ضعيف   وكم فنيت بقوته حبال [2]

ويريد بحبل الشمس كما يوضح البطليوسي ما يرى في الحر الشديد كانه خيوط عنكبوت في شعاع الشمس وتسميه العرب خيط باطل. ويسمونه ايضا لعاب الشمس. والمعنى اراد ان ذوى القوة والسلطان لا يقدرون على مايرى فيها من الضعف والوهن. قد قطعت الحبال المبرمة والاسباب المحكمة [3].

ومن المواقف التي يحددها أبو العلاء، بشكل واضح اتجاه الظلم قوله: "لاتكن الظالم ولا معنيه" [4].

واستكمالا للتحذير من الظلم، يذكر أبو العلاء دعوة المظلوم، وانها تصعد الى السماء ليس بينها وبين الله حجاب، وعلى الظالم ان يحذر من دعوته:

خف دعوة المظلوم فهي سريعة   طلعت فجاءت بالعذاب النازل [5]

وماذا بمقدور امثال ابي العلاء الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة، والنصيحة بظهر الغيب، فان الرأى والتدبير هما أمران جعلهما الله الى ولاة الأمر وليس للناس في ذلك شيء [6].

---

(1) اللزوميات: 107/1.
(2) شروح السقط: 1698/4.
(3) ينظر شروح السقط: 1698/4.
(4) الفصول والغايات: 311.
(5) اللزوميات: 352/2 ومثل هذا المعنى ينظر م.ن: 180/2 (ويأتي قول ابي العلاء موافق للحديث الشريف (اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) رواه البخاري ومسلم.
(6) ينظر العقل السياسي العربي:348.

لذلك فان المعرى كانه يخاطب ظالما مسلطا على الناس ويقول: أرفق بهؤلاء الأشخاص فانهم أرواح لطاف لا تقوى على احتمال هذا الظلم:

رويدا عليها انها مهجات   وفي الدهر محيا لامرىء وممات[1]

فالمرء موته غير مستحيل، فهو عرضة للموت، يقتله أدنى مؤلم، فأبق على هذه الاشخاص. ويقول:

فلا يغترر بالملك صاحبُ دولةٍ   فكم من ضياءٍ غيبته دجون [2]

ويعلم ان الظلم غريزة في الانسان فيقول: "وهل في الأرض ملك لايجور. إن الله جعل الظلم غريزة في الأنس. وسلطهم على كل جنس" [3].

واذا كانت هذه صفة الملوك، وطالت أيامهم، وجثموا على صدور الناس وهم في خنوع. فان هؤلاء لا يعجزون الأيام. فالأيام لايفوتها ذليل ولا عزيز فالايام خصمهم. والمعرى لا يملك سبل المواجهة أو المصادمة مع هؤلاء الحكام. فهم سادة عظماء، وليس الامر مستحدثا فهم كذلك في الجاهلية وقادة في الاسلام فيجعل الأمر في تعتيم [4] فيقول:

ولا يعجزُ الأيامَ اخضَعُ واحدٌ   ولا أهلُ عزٍّ كلهُم متشاوسُ
لهم رابعٌ في الجاهليةِ أولٌ   وثان وقد وافاهما الدين خامس [5]

ويقول:" ومحمد صلوات الله عليه. جاهد في طاعة ربه وأنتصر لاشياع الله وحزبه.ثم سكن في يثرب حضيراً ... وكذلك الملوك تأتيهم للمقادر الوك" [6].

4. يمنع الألقاب للحكام التي تقترب من صفات الله جل جلاله.

(1) شروح السقط: 1037/3.
(2) اللزوميات: 496/2.
(3) رسائل ابي العلاء: 184.
(4) ينظر: شروح السقط: 1973/5.
(5) م.ن: والصفحة.
(6) رسالة في تعزية ابي علي بن الرجال في ولده ابي الأزهر– حققها وقدم لها أحسان عباس:10.

وهو يدين من طرف خفي الحاكمين لقبولهم الألقاب، ومن لقبهم بذلك تملقا وتزلفا. فكان يدين تعاظم الحكام، ونفاق حاشيتهم:

لم أرضَ رأيَ ولاةٍ قومٍ لقّبوا ملكاً بمقتدرٍ وآخرَ قاهرا
هذه صفاتُ اللهِ جلَّ جلالُهُ فالحقُّ بمن هجرَ الغواةَ مظاهرا [(1)]

5. التواضع:

يكره التكبر فيقول: "وكل متكبر مقيت" [(2)] ويؤكد هذا المفهوم بقوله:" ومن كان ذا وفارةٍ من اللب كان بالعكس من هذه الصفة، لأن عقله يعلمه أن الله تعالى قادر على ان يخلق من يفضله. والحازم يرى التواضع فرضا لازما، والأخرق يرى التكبر حظا جزيلا" [(3)] لذلك ينصح أبو العلاء:

تواضع، اذا ما رزقت العلاء فذلك مما يزيد الشرف [(4)]

وتعلو مرتبة المتواضع، حتى اذا كان يظن اللئام ان التواضع للناس يخل باقدارهم فتعالوا فأبغضهم الناس فكان تعاليهم عائدا عليهم بالضعة. والكرام تواضعوا للناس ورأوا ان تواضعهم يزيدهم شرفا، فاحبهم الناس وحمدوهم فكان تواضعهم عائدا عليهم بالرفعة فيمتدح الحاكم المتواضع على هذا الاساس:

علوتم فتواضعتم على ثقة لما تواضع أقوام على غرر [(5)]

وفي مجال الذم لأحد الحكام يقول: "وكان لا ينادم أحدا الا الفرقدين تكبرا عن مجالسة أناس في الأبردين" [(6)].

---

(1) اللزوميات: 510/1 ومثله من: 418/1.
(2) الصاهل والشاحج: 166.
(3) الصاهل والشاحج: 166.
(4) اللزوميات: 171/2.
(5) شروح السقط: 167/1.
(6) رسائل ابي العلاء: 179 (الابردين:الغداة والعشي).

6. الحلم:

لان الحلم يكسب الانسان رزانة، ويمنعه من الخفة والطيش في الأمور وعدم الحلم يكسبه تهافتا وطيشا، كما يثبت الجمر لثقله، ويطير الشرر لخفته فيقول في مدح الحاكم الحليم:

خف الورى وأقرتكم حلومكم   والجمر يعدم فيه خفة الشرر [1]

لذلك فان ابا العلاء يوصي بالحلم، لأنه يعوض قلة الانصار للحاكم فيقول:

والحلم أفضل ناصر تدعونه   فالزمه يكفيك قلة الانصار [2]

على ان يكون هذا الحلم من غير ذلة، لان الحلم انما يستحسن اذا كان عن قدرة ولم تعد منه مذلة على صاحبه، فاذا كان فيه مذلة عليه كان الجهل خيرا منه:

فيا أحلم السادات من غير ذلة   ويا أجود الأجواد من غير موعد [3]

وبناء على ذلك فهو يرفض الحلم ويعد السفاهة خيرا منه اذا لم يكن الحلم نافعا [4] ويلتمس العذر للهفوات:" ولا بد للحليم وإن ثقل وزنه، من هفوات"[5].

7. الكرم: يقول أبو العلاء:

وكم ملك في الارض لاقى خصاصة   وكان باكرام العفاة خصيصا [6]

(1) شروح السقط:168/1.
(2) اللزوميات: 581/1.
(3) شروح السقط: 356/1.
(4) ينظر شروح السقط: 286/1.
(5) الصاهل والشاحج: 221.
(6) اللزوميات: 84/2.

وصفة الكرم مجردة بوصفها طبعا يمتدحها، حيث يؤثر الحاكم الاخرين على نفسه دون ان يخص بهذا الكرم طبقة مقربة، وعلى اية حال فان الكرم صفة يمتدحها في الحاكم، ويجعل من الجود المفضل، الذي يأتي من غير موعد، ويأتي بديهة [1] والنموذج المثال هو الحاكم الموصوف بالسماحة، وكرم النفس، وانه لا يحوج مستميحة الى السؤال، بل يعطي قبل السؤال فيقول:

ولكنْ بالعواصِمِ من عَديٍّ　　　أميرٌ لا يكلّفُنا السُّؤالا [2]

والحاكم يحتقر مايصير الى الاضياف من الكرم والبر، فلو ملأ لهم الجفان ذهبا لا لحما وثريدا لكان الذهب محقورا عند ذلك الحاكم الذي يقول عنه أبو العلاء:

ترى ما نالت الأضياف نزرا　　　ولو ملئت من الذهب الجفان [3]

8. الذكاء:

يقول "ان فراسة العاقل ربما تخيب" [4] فيستحسن ان يتصف الحاكم بالذكاء، وان يكون ذهنه متقدا في جميع الاوقات، فكأنه في هجير ابدا لإتقاد ذهنه، وان كان في وقت بارد. والذكي يوصف بحر المزاج والبليد يوصف ببرودته فيقول:

يذكي تلهب ذهنه اوقاته　　　فكأنما هو في الغدو مهجر [5]

---

(1) شروح السقط: 116/1.

(2) م.ن: 85/1 (العواصم من بلاد الشام في شق حلب. وسميت عواصم: لاعتصام الناس بها والالتجاء اليها وهي حصون بين حلب الى حماة. عدي: قبيلة).

(3) شروح السقط: 184/1 (يمدح ابا الفضائل سعيد بن شريف بن علي بن ابي الهيجاء) ومثل هذا المعنى ينظر شروح السقط: 64،65،86،93/1، 94، 136، 138، 140، 142، 185، 215، و 824/2، 263، 865.

(4) الصاهل والشاحج: 350.

(5) شروح السقط: 1115/3 وينظر م.ن: 74/2. والذكاء من اكثر الالفاظ شيوعا بين الناس ولا يتطلب مدلول الذكاء بوجه عام عناء كبيرا لفهمه. فالذكاء في اللغة هو القدرة على سرعة الفهم. ينظر في سبيل موسوعة نفسية- عرض وتقديم الدكتور مصطفى غالب: 82.

واذا كان الحاكم كذلك فريما" قد عرف خدع الازمان فأصبح من النوب في امان" [1]

9. العفاف:

في مقدمة الموضوع، ليست همته في النساء، وانما همته في طلب معالي الأمور:

من كل أزهر لم تأشر ضمائره   للثم خد ولا تقبيل ذى أشر [2]

ويحذر من الغانيات لان مخالطتهن ذل وندم، ومخالفتهن عز وكرم فيقول:

وتوق أمر الغانيات فانه   أمر اذا خالفته لم تندم [3]

اما الزوج المفضلة فهي المرأة المحجوبة عن جميع الناس الا عنه. فكأنها سر الله الذي حجبه عن الناس وأطلعه عليه:

كانها سر الإله الذي   عندك دون الناس يستكتم [4]

10. الاخلاق: يقول أبو العلاء:

أُسَرُّ إن كنتُ محموداً على خلق   ولا أسرُّ بأني الملك محمود
ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها   وانما هو بعد الموت جلمود [5]

ولعل المعرى يريد من الحاكم ان يكون انسانا على خلق قبل ان يكون ملكا، وان يشرف هذه المسؤولية قبل ان يتشرف بها. لأنه في جميع الأحوال يظل بشرا فضلاً عن موته المؤكد. لذلك يتقي الحاكم في مواجهة منتقدية وحاسدية بدرع من الاخلاق فيعظم نفسه بالتغافل ويحدث نفسه بالعزوف عن الحكم:

يسود الفتى كارها قومه   ويأمره اللب أن لا يسودا

---

(1) الصاهل والشاحج: 96.

(2) شروح السقط: 144/1 (لم تأشر: لم تفرط من النشاط للثم الخد والتقبيل).

(3) م.ن: 327/1.

(4) م.ن: 847/2.

(5) اللزوميات: 329/1 (وهذا يحتاج اليه الرجل في سياسة نفسه واهل بيته ورعيته) ينظر السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية: 137.

فـان خمولـك درع عليـك وقيـت بهـا عائبـا أو حسـودا [1]

فمن يدري لعل الخير في أطمار المساكين، وتكون أفضل من التاج لأن المظهر قبل الجوهر:

خير لصاحب تاج يدعى ملكا لـو انـه لابـس أطمـارَ مسـكين [2]

فالأعمال هي التي تؤشر سيرة الحاكم في النتيجة:

ياوالي المِصرِ والاقليم هل حُفظتْ صنائع لك، أم كلُّ امرىءٍ ناس
أودعت ضغنا فلا تجحدهُ مودعه إن الامانَةَ لم تُرفع من الناس [3]

11. الشورى:

يرى أبو العلاء في رحابة الصدر في الاستماع الى نقد الرعية من مواصفات الحاكم، وان لايغضب من اللوم عندما يوجه اليه. فمن هذا الذي يسلم من ذلك؟ بل مَن هو من البشر الذي كمل؟ [4]:

غضِبَ الأميرُ من الملامِ وهل ترى أحداً يفُوز بعرضِهِ لم يَدنَسِ؟ [5]

وبعد ذلك ان لا يكون الملك محجوبا عن الناس فيقول:

يلفى الحصير من الملوك معفرا لم يوق من وجه الثرى بحصير [6]

وليعلم أمثال هذا الملك ان اختفاءه عن الناس لن يدفع عنه القدر:

أقـام الملـك حراسـا عليـه ومـا تنفـى الحـوادث بـاحتراس [7]

---

(1) اللزوميات: 360/1.
(2) م.ن: 560/2.
(3) م.ن: 50/2.
(4) وكان خطاب الله تعالى تشريعا (وشاورهم في الامر) سورة ال عمران – الآية: 159.
(5) اللزوميات: 60/2.
(6) م.ن: 595/1 (الحصير: الملك المحجوب عنه الناس. بحصير: الحصير المنسوج من القصب).
(7) م.ن: 57/2 وينظر مثل هذا المعنى م.ن: 604/2.

12. الهيبة والشجاعة والقدرة على مواجهة الاعداء:

يريد أن يكون الحاكم ملء العيون ليس فيها فضله لغيره فقد اعجب الناس جماله، وحسن منظره وراعهم هيبة وجلالا فيقول:

راقهم منظرا وهابوه خوفا ، فهو ملء العيون ملء الصدور (1)

وشجاعته تجعله يقدم على تنفيذ الأمر دون أن يفكر في إجتماع معارضيه من الملوك الآخرين، وكونهم يدا واحدة عليه، فان تعاونهم وتظاهرهم لا ينفعهم، ولا يضره اذا كان الله تعالى يعينه وينصره فيقول:

فان تعاوَنَ الأملاك جَهْلُ   على ملكٍ بخالقه يُعَانُ (2)

فهو عندما يطاعن أعاديه، ومن بغى عليه، نفذ رمحه فيه، كما تناسب الحية في المسلك الضيق:

ويسلك رمحه في كل باغ   كما سلك المضيق الأفعوان (3)

هذا الحاكم، يشجع خيله أيضا بكثرة ممارسة الحروب، فصارت في الأقدام كالأسود وجعل الرماح حواليه مثل غاب الأسد وهو عرينه:

مُكلِّفُ خيلهِ قنصَ الأعادي   وجاعلُ غابهِ الأسَل الطوالا (4)

وبناء على ذلك فان هذا الحاكم، لكثرة ملازمته الحرب دفاعا عن البلاد، فان سلاحه يفنى بكثرة استعماله له، وليس كمن يخلد الى الراحات، ويتشاغل باللذات. وافادها نفوذا وتصميما، فصار فرند السيف دليل صحة جوهره وصار بريقه وصفاؤه الذي يعينه عن الصقال دليل ما أثره، وأفاده قوة التصميم والمضاء من عزمه النافذ، فكأنما عزيمته القضاء النافذ:

---

(1) شرح التنوير على سقط الزند – لابي العلاء المعري: 92/1.

(2) م.ن: 76/1.

(3) م.ن: والصفحة.

(4) شروح السقط: 42/1 (قنص: الصيد. الاسل: الرماح وايضا نبات ينسج منه الحصر).

فـيفني الـدرع لبسـا والـي   صـحابا والـرديني اعتقـالا
أفـاد المرهفـات ضـياء عـزم   فصار على جواهرها صقالا [1]

وترتب على هيبة هذا الحاكم وشجاعته ان أدخل الرعب في قلوب اعدائه حتى قسيه تكاد ترمي اعداءه بالنبال وتصيب بها قلوبهم من غير رام ينزع فيها، لأن همة هذا الحاكم ليست في صيد الوحوش كسائر الملوك، وانما همته في صيد الاعداء وقتلها وابادتها، بحيث لا يبقي منهم أحد حتى يذيق اولادهم اليتم صرفا[2].

ولا ينفك يحمل سيفه بيمينه حتى يمل بطول حمله، وإذا سئمت يمينه السيف نقله الى شماله، فهو ماهر في استعمال كلتا يديه، أو مدرب عليهما أو مجرب اياهما [3].

وعلى اية حال يريده أبو العلاء كما امتدح عزيز الدولة ان "يوصف بفارس من جهات، فهو فارس للأقران من فرس الأسد. فارس على الجواد العتد. فارس من فراسة الألمعي. سالم من الخطل والعي" [4].

ولم لا ؟ فان الحاكم لن يصل الى هذه المسؤولية بالسهل:" والملوك مثل البحار لايوجد لؤلؤها على السيف. وانما يوصل اليه بمعاناة ومساناة" [5].

13. يبني لنفسه المجد والعز:

ما تقدم من صفات الشجاعة والاقدام. يريدها أبو العلاء على مايبدو وسيلة لهدف أسمى، هو لتحقيق المجد والعز بقهر الاعداء. أخس الفرسان من يحارب لجر الغنائم، وليس للذب عن المحارم:

أدنى الفوارس من يغير لمغنم   فاجعـل مغـارك للمكـارم تكـرم [6]

(1) م.ن: 1/67– 70.
(2) ينظر شروح السقط: 1/50.
(3) ينظر شروح التنوير: 1/31.
(4) رسائل ابي العلاء مع شرحها: 98 (للاقران: جمع قرن بالكسر وهو النظير في الشجاعة والعلم وغير ذلك. وفارس على الجواد: الفرس السريع الجرى. والعتد: الشديد التام الخلق. الالمعي: الذكي المتوقد الفؤاد وفراسته استدلاله بالأمور الظاهرة على الخفية).
(5) رسائل ابي العلاء مع شرحها: 226 (السيف: ساحل البحر بمعاناه اي بمعالجة وتعب. والمساناة: من ساناه اي راضاه وداناه واحسن معاشرته).
(6) شروح السقط: 327. (ولا تعد الغنائم في الاسلام من مسوغات الحرب فيقول الله سبحانه وتعالى: "يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ولذلك فهي اذا كانت هدفا للحرب لا تجوز.

فيقول للحاكم: لا ترضَ لنفسك الا بأعلى المراتب ولا تكسب الا اسنى المكاسب. لأنه يؤمن بان هذا المجد يكتسب ولن يأتي بالاتكال على الحظ والذين يظنون ذلك فقد اجتمع لهم العجز والجهل لان الانسان مأمور بالسعي والاجتهاد:

قالت عُداتُكَ ليس المجدُ مكتسبا   مقالة الهُجنِ ليس السَبقُ بالحُضُرِ [1]

وبعد فان هذا المجد يبقى ذكرا حيا بعد وفاة هذا الحاكم وهو راحل لامحالة فيقول:

فكم ملك شيد المكرمات   ونال بها الصيت ثم انقرض [2]

ويقول: "ذكر باق خير من سعد راق" [3].

14. ان يهتم بالعلم والادب:

يوازن بين مستلزمات المجد والدفاع عن البلاد، ومستلزمات العلم. وفي جميع الاحوال يفضل هذين الأمرين على المكاسب المادية فيقول:

وان العز في رمح وترس   لأظهر منه في قلم ودرج
وما أختار أني الملك يجبى   الي المال من مكسب وخرج [4]

وفي مجال الاهتمام بالعلم والادب على حد سواء نجد مما يقوله في الحاكم: "اديب آدب وما بجديب ولا جادب... أقام السوق للفصاحة، واذكى القلوب بالتذكرة، وايقظ العيون من طول الرقدة" [5] ويمتدح الحاكم بقوله: "وحلية الدواة لديه أحلى الادوات. وحسن اليراعة أحسن البراعة" [6].

15. القدرة على اتخاذ القرار:

عندما يتخذ الحاكم قرارا ينبغي ان يكون ذلك بعد دراسة شاملة وفي ضوء تخطيط مسبق، توفيرا للوقت والجهد، وترصينا للقرارات. لذلك فان إصدار

(1) شروح السقط: 161/1.
(2) اللزوميات: 96/2 ومثله ينظر شروح السقط: 62/1.
(3) الصاهل والشاحج: 96.
(4) اللزوميات: 271/1 (الدرج مايكتب به).
(5) الصاهل والشاحج: 95 (فالكلام عن عزيز الدولة).
(6) رسائل ابي العلاء مع شرحها: 26 (حلية: زينتها. واليراعة: واحد اليراع أي القصب والمراد به القلم).

الامر بعد التوقيع يريده" توقيعا مؤبدا لا يكون بعده القول مرددا، بل يحسم بإيجاب طمع كل ناظر وجاب" [1].

وعلى مايبدو ان ابا العلاء يرى ان مستلزمات نجاح القرار ينبغي ان تكون واضحة من حيث توافرها او عدم توافرها قبل اتخاذ القرار. لذلك يضيف قائلا وهو يخاطب عزيز الدولة وتاج الملة أمير الامراء، فان جاءت بالنجح فلله الحمد ثم للسيد عز الدولة. "اذا كرم الزندان لم تتعب اليدان، ومن وقف على العناقة أروى الناقة" [2] ويقول: "على أن التفكير قبل التكبير" [3] أي التخطيط المدبر قبل البدء بالمعركة على أساس انها تبدأ بالتكبير.

16. الموفقية في اختيار مساعديه:

اذا كان من الخير ان يباشر الحاكم الامور بنفسه ولا يحتجب على الناس. حتى يصل اليه المظلوم، ويحارب الظالم، ويأخذ على يده، فعليه ان يختار من المقربين اليه، من المستشارين والندماء والحجاب من يكونون محضر خير، ويكونون عونا على نصرة الحق ومناهضة الباطل ورضاء الله تعالى عندهم قبل كل شيء فتكون عنايته بامر خاصته ليكونوا عينه الباصرة، ولا يضله النمامون فيقول أبو العلاء: "لابد للحاكم من أملة، من سمع اقوال النملة وقع في تيهاء مضللة" [4] فهو يريدهم عونا له على خدمة الرعية، اما في حقيقة الامر لاينفعون الحاكم شيئا اذا جاء أجله فيقول: ولا ينفع مليكا حبأٌ [5] اي اذا جاء الموت. ولا توجد قواعد ثابتة في مواصفات من يختارهم "وانما كانت العلاقات بين الخليفة ومن يعنيهم تتأثر بالأحوال القائمة وبشخصية كل منهما" [6].

---

(1) الصاهل والشاحج: 88.

(2) م.ن: والصفحة (العناقة: ماء لقبيلة غني بن اعصر بن سعد بن قيس غيلان ابن مضر).

(3) رسائل ابي العلاء مع شرحها: 28.

(4) الفصول والغايات: 81 (املة: الاعوان. النملة: النمامون. تيهاء مضللة: الارض الواسعة التي لا اعلام فيها ولا جبال ولا اكام) ولعل مسوغات الاختيار الصائب لاعوان الحاكم نجدها عند الماوردي: حتى يروضهم رياضة لا يكون في اهل مملكته وضمن ولايته من هو أسرع الى طاعته وابعد عن معصيته واقوى عزما في نصرته واحسن ادبا في خدمته منهم" ينظر نصيحة الملوك:289.

(5) الفصول والغايات: 17 (حبا: جليس الفلك).

(6) دراسات في الأدارة في العهود الاسلامية الأولى: 53.

17. الشدة والمرونة:

يريد الحاكم كما كان يخاطب صالح بن مرداس وجها لوجه عندما قابله في مسألة الشفاعة لأهل المعرة: "الامير كالسيف القاطع لان متنه، وخشن حداه، وكالنهار الماتع قاظ وسطه وطاب ابراده" [1].

18. يحقق الامان للرعية وحمايتها من المنجمين والعرافين ومن امثالهم فيقول:

أما لأمير هذا المصر عقل يقيم عن الطريق ذوى النجوم؟
فكم قطعوا السبيل على ضعيف ولم يعفوا النساء من الهجوم [2]

وهذه المواصفات للحاكم اجتهدت بترتيبها. ارجو أن تستوي في حظها من الوحدة والموضوعية، فهي متناثرة في آثار الرجل وربما لاتشكل كل مايريده المعري، كما لو تحدث بشكل مقصود عن هذه المواصفات وفضلا عما تقدم يريد أبو العلاء الحاكم: "ان كفه اسمح من اللافظة وأن قلبه أشجع من قلب أسامة، وانه بالرعية أبر من الوالدة، وأن رأيه أهدى للضلال من جدى الفرقد بل من الشمس الطالعة، ويدعون له ضروبا من فضائل متباينات لايجتمع مثلها في الآدميين" [3].

وأستطيع القول ان هذه الآراء تمثل الفكر السياسي للمعري فهو يقول: "فأما كتاب كليلة ودمنة فليس له نسخة عندي، ولا تمكن به علمي. وما أذكر أني استكملته سماعا قط" [4] يدافع عن كتابه الصاهل والشاحج الذي يتضمن قسما من هذه الاراء. فقد يضن البعض انه تأثر بكتاب كليلة ودمنة فانه يفهم ذلك من خلال دفاعه عن آرائه.

---

(1) انباه الرواة– القفطي – تعريف: 35– 36.
(2) اللزوميات: 465/2.
(3) الصاهل والشاحج: 376 (اللافظة: في باب السخاء يقال هو اسمح من لافظة وهي التي تغر فرخها لاتبقي في حوصلتها، وقيل هو البحر وقيل العنز تدعى للحلب فتلفظ جرتها. وفي امثال الميداني أهدى من النجم. وأشجع من أسامة:أي الأسد).
(4) رسائل ابي العلاء مع شرحها: 224.

المبحث الرابع
الرعيـــة

لايريد أبو العلاء أن يمثل الدور القيادي للرعية اتجاه الحاكم. فلم يكن المحكومون أفضل من الحاكمين، من وجهة نظره على ما يبدو فيقول:

ان جارَتِ الأمراءُ جاء مؤمرٌ   أعتى واجورُ يستظيمُ ويكلمُ [1]

ويقول ايضا " لأن العامة على دين السلطان" [2].

ولعل اختيار الرعية للحاكم– كما تقدم في المبحث السابق– يعبر عن معنى الاتفاق بين الحاكم والرعية. فيقوم الحاكم بمهامه نيابة عن الأمة. وليس في الاسلام سلطات ممنوحة للحاكم، وانما هي واجبات، أو هو الخادم للرعية. وكل فرد من الرعية رقيب على الحاكم وله حق النقد [3]. ولان الحاكم رشح من اهل الحل والعقد فقالوا: "ان الخلفاء والائمة افضل من الرعية" [4].

الا إن واقع الأمر كانت الرعية، بمعزل عن السياسة، وتنظر الى صراع الحكام دون مبالاة ولعل السبب في ذلك هو انعدام الثقة بين الحاكمين والمحكومين لإسقاط مبدأ الشورى الذي كان دعامة الحكم الاسلامي الأول. فيتعجب أبو العلاء ويقول: "والعجب لقيل مكرم تحتل في جناب كالحرم، خرج من الدنيا بوسق، من فسق. وفجور، كالبحر المسجور، وكرم ربنا أعظم من ظلم الظالمين" [5].

---

(1) اللزوميات: 405/2.

(2) الصاهل والشاحج: 706.

(3) ومن حق الرعية ايضا التقويم والعزل لانها هي التي جعلته بمثابة الوكيل عنها. ينظر النظرية الاسلامية في الدولة: 323 وينظر النظريات السياسية الاسلامية: 173.

(4) البيان والتبيين: 359/4 موضوع آداب الملوك. ويقول ابن تيمية ان العلماء يقولون ان الآية ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) سورة النساء– الآية: 59 نزلت في الرعية من الجيوش وغيرهم وعليهم ان يطيعوا اولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك. الا ان يأمروا بمعصية الله) ينظر السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية:5.

(5) الفصول والغايات: 22– 23 (والقيل: ملك دون الملك الاعظم. وقد يقال لكل ملك قيل. الوسق: الحمل.المسجور: المملوء، وهو في غير هذا الفارع).

ان مايوجهه أبو العلاء من نقد للحكام يمثل معاناة الرعية. من هؤلاء الحكام، الذين لايمتون بصلة الى رعيتهم المقهورة، فكانت اهدافه مجردة من غير مصلحة فيقول: "ولست ممن يطلب جائزة على قول الحق، وانما الغرض ان يخف الأوق ويزول بعض الأثقال" [1].

علاقة الحاكم بالرعية:

لقد وقف أبو العلاء على حالات من علاقة الحاكم بالرعية بلغت حد الالوهية [2] انعكست بلا شك على سلوك الرعية، وانتشار النفاق والسلوك المزدوج. اما التقرب الى الحكام لأجل المنفعة الشخصية، او خوفا من بطشهم.

والحاكم لا يبحث عن دواخل الناس، ولا ما يضمرونه، فالمهم ما يبدونه في الظاهر الذي يحقق له رغباته. وابو العلاء يطلب مياسرة هذا الامر ولعله يستسلم بواقع ليس بالإمكان ابدع مما كان. ولأنه لا يستغني عن هؤلاء الحكام خوفا من الفوضى. فقد تكون لهم منافع فضلا عن ان هذا هو شأن الحكام من القديم فيقول:

واخش الملوك وياسرها بطاعتها فالملك للأرض مثل الماطر الساني
ان يظلموا فلهم نفع يعاش به وكم حموك برجل أو بفرسان
وهل خلت قبل من جور ومظلمة أرباب فارس أو أرباب غسان [3]

ثم أن هؤلاء الحكام مع مافيهم من ظلم، فان الرعية تتحمل جزءاً من المسؤولية لانها وافقت عن رضا، أو تبدى الرضا فيقول:

تلو باطلا وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلتم نعم [4]

---

(1) الصاهل والشاحج: 202 (الأوق: الثقل. يقال القى عليه أوقه، وقد أوقته تأويقا، أي حملته المشقة والمكروه).

(2) والحاكم هو أنسان وفي جميع احواله ضعيف امام الله القدير القوي. والمخلوق ناقص والخالق هو الكامل المطلق ولكن نفس الانسان امارة بالسوء توحى بالخروج عن قدرتها. ينظر كبرى التقنيات الكونية– د. محمد سعيد رمضان البرطي: 70– 71 وينظر نظام الاسلام العقيدة والعبادة: 53.

(3) اللزوميات: 554/2.

(4) اللزوميات: 490/2.

"ان هؤلاء القوم، لايخضعون على كره منهم، ولكنهم يخضعون لانهم يؤمنون ايمان الحاكمين، ويفكرون تفكيرهم، ويريدون مرادهم، ويفرحون بعظمتهم كانها عظمة لهم فيها نصيب، وكانهم شركاء في السيادة حيث يخضعون لأولئك السادة" [1]. فيقول:

وما أعجبتني لابن آدم شيمة على كل حال من مسود وسائد [2]

وذلك أدهى وأمر" وليتهم فكروا وخالفوا وخضعوا مرغمين، فذلك أكرم لعقل الانسان وأدنى الى الرجاء في الخلاص" [3] لذلك فان ابا العلاء في مجال تنظيم العلاقة مع الرعية يرى إن الناس لايرضون في الأساس عن الحاكم مهما عمل لهم:

لاخير في الناس إن القوا سيادتهم اليك طوعا فخالفهم ولا تسد
فليس يرضون عن وال ولا ملك ولو أتو بالأماني في قوى مسد [4]

ومهما يكن من أمر الرعية فان لابي العلاء آراء حول الموضوع نجملها بما يأتي:

1. حب الوطن:

نجد في التراث العربي الاسلامي، شواهد كثيرة على حب الوطن. والمعري يرى ذلك، ولا يفضل على وطنه، أحسن الاماكن. فقد تشوق الى بلدة المعرة، عندما كان في عاصمة الدنيا بغداد، ويعد ذلك إستثناء مؤقتا. فهو يتشوق الى ماء الابار في المعرة، وبين يديه ماء دجلة العذب:

فيا برق ليس الكرخ داري وانما رماني اليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ضمآن ليس بسال [5]

---

(1) رجعة ابي العلاء: 57.
(2) اللزوميات: 362/1.
(3) رجعة ابي العلاء: 57.
(4) اللزوميات: 376/1.
(5) شرح السقط: 1195/3.

واشار الى اهل البصرة، بقليل شوقهم الى الوطن فيقول:" واهل البصرة سلمهم الله ينسبون الى قلة الحنين" [1] وفي مدارة حكمه يستدرك فيقول: "وما عبت على اهل البصرة قلة التفاتهم الى الاوطان، وانما وصفتهم بقوة القلوب والاكباد"[2].

لكنه يجوز الفرار من الوطن تخلصا من الطغاة فيقول:

أفِرُّ من الطّغوى الى كل قَفرةٍ   أوانسُ طَغياها وألفُ قُمرَها
فاني ارى الافاقَ دانت لظالمٍ   يغرُّ بغاياها ويشرب خَمرَها [3]

ويؤكد هذا المفهوم من خلال استجوابه للشاعر لبيد في رسالة الغفران [4] عن قوله:

تراك امكنة إذا لم أرضها   أو يرتبط بعض النفوس حمامها [5]

بأن القصد هو ترك الأمكنة أي يترك المنازل اذا لم يرضها. فالبلاد تتأثر بالحاكم. فقد جاء في رسالة المنيح وهو يخاطب ابا القاسم الحسين بن علي المغربي حول تأثر المعرة بقوله:" وانما شرفت على ماسواها. وطالت عن البلاد دون ما والاها. لاقامته بها في تلك الأيام" [6].

2. الاتصال بين الحاكم والرعية:

أجمع المؤرخون على الحادثة التي أشرنا اليها [7] عن توسط ابي العلاء لأهل المعرة عندما حاصرهم صالح بن مرداس. فالاتصال بالحاكم، ذلك شيء نستطيع ان نعرفه من حيث جوازه عند ابي العلاء ولكن بحدود وتحفظات يؤشرها بما يأتي:

(1) رسائل ابي العلاء: 126.
(2) م.ن: 130.
(3) اللزوميات: 1/429- 493 (الطغوى: اسم من طغى تجاوز حده. طغياها: ولد البقرة الوحشية. قمرها: الحمر الوحشية. وابو العلاء يهاجم صاحب حلب صالح بن مرداس الذي حاصر المعرة سنة (417هـ).
(4) الغفران: 216.
(5) من خلال المناقشة عما يقصده لبيد يوضح الهدف: اترك المنازل اذا لم أرضها.
(6) رسائل ابي العلاء: 15.
(7) في المبحث الاول من الفصل الأول.

أ. الصدق:

يوصي بـ الصدق اولا الا اذا تعرض المرء للهلاك:

أصدق الى ان تظن الصدق مهلكة وعند ذلك فاقعد كاذبا وقم [1]

ب. مداراة الطغاة:

فقد قال في اسد الدولة صالح بن مرداس:

يقول لك العقل الذي بين الهدى إذا انت لم تدرأ عدوا فداره
وقَبِّل يد الجاني التي لست واصلا على قطعها وأنظر سقوط جداره [2]

وعلى مايبدو إن عدم الصراحة لاعتقاده ان النتائج المترتبة عليها لن تكون في صالح الرعية. لذلك فهو يكتم الاراء او يحتفظ بها بشكل مؤقت او يعبر عنها بالايماء والرمز. واحيانا ينفر من المواقف المرفوضة ليشير ضمنا الى استنتاج المطلوب، او لغرض التنفيس والتعويض [3].

ج. ظلم الرعية في سلوكهم المزدوج اتجاه الحكام فهم بوجهين فيقول:

قد ينصف القوم في الاشياء سيدهم ولو أطاقوا له ريبا لرابوه
لم يقدروا أن يلاقوه بسيئة من الكلام فلما غاب عابوه
تحدثوا بمخازيه مكتمة وقابلوه باجلال وهابوه
وكم ارادوا له كيدا بيوم ردى من الزمان ولكن ما أصابوه
اكدى فلاموه لما قل نائله ولو حبا الوفر زاروه ونابوه
لبى الغني بنو حواء من طمع ولو دعاهم فقير ما اجابوه [4]

---

(1) اللزوميات: 451/2.
(2) م.ن: 528/1.
(3) م.ن: 630/1 واشرنا الى ذلك في المبحث الأول من الفصل الاول في الحديث عن عاداته.
(4) م.ن: 596/2 (نابوه: رجعوا اليه مرة بعد مرة).

وهو يدين مرة اخرى التقولات، وظلم الرعية في تصغير الاسماء للتقليل من شأن الحاكم وهذا سلوك يدينه حيث لا نفع فيه:

يتخيَّرون على المليكِ قضاءَهُ سَفهَ الغواةُ ولي فيهم خَيٌّ
ما حط رتبتك الحسوُد وما الذي ضرَ الأميرَ بأن يقال أُميِّرُ [1]

د. الغفلة:

يتصور أبو العلاء ان الحاكم لديه قدرات كافية من الذكاء او الخبث والا كيف يتوصل لحكم الرعية. فاذا كان سلوك الحاكم ليس كما ينبغي فانهم يستغلون ذكاءهم لتحقيق مصالحهم. من خلال الرعية المغفلة. لذلك فانه يعد هذه الرعية بمنزلة الحمير. وكانه يريد القول مزيدا لكم فيقول:

مالمت في افعاله صالحا بل خلته أحسن مني ضمير
ياقوم لو كنت اميراً لكم ذممتم في الغيب ذاك الامير
وانما سائسكم دائب يرعى المطايا ويسوق الحمير [2]

3. الاستجابة في مساعدة الحاكم:

استجاب أبو العلاء لطلب احد الرؤساء [3] ان يقابل له نسخة من كتاب عبث الوليد ليثبت ماجرى فيه من الغلط. وعمل كتاب اللامع الغريزي لامير آخر [4].

(1) اللزوميات: 447/1.

(2) م.ن: 162/1 (صالح: هو الامير الذي حاصر المعرة وتشفع لديه المعري. بن جمير: الليل) وهنا تتضح قساوة ابي العلاء. فالناس ليس كلهم سواء بهذا المستوى فان الله تعالى يقول: (كل امرئ بما كسب رهين) سورة الطور– الآية: 21. وبعد ذلك ان الله عز وجل كرم بني آدم (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) سورة الإسراء– الآية:70.

(3) هو أبو اليمن المسلم بن الحسن بن غياث الكاتب الحلبي النصراني. كان صاحب الديوان بحلب. ينظر أنباه الرواة– تعريف:46.

(4) هو الأمير عزيز الدولة ابي الدوام ثابت بن الامير تاج الامراء معز الدولة ابي العلوان ثمال بن نصر بن صالح بن مرداس. ينظر أنباه الرواة– القفطي– تعريف: 47 وينظر معجم الأدباء – تعريف:111.

وكتب مماثلة كثيرة واتصالات بهذا الشأن اشار اليها محمد سليم الجندي [1]. ويرى أبو العلاء إن طاعة السلطان واجبة فيقول: "طاعة السلطان... فرض على كل أحد" [2].

4. تقديم الهدايا للحاكم:

يرى أبو العلاء ان قبول الهدايا سنة مستحبة إذا لم يترتب عليها محاباة:

قبول الهدايا سنة مستحبة إذا هي لم تسلك طريق تحابي [3]

وإذا كانت الهدايا من النوع المذموم الذي يجري مجرى الرشوة فهذا لا يؤيده أبو العلاء، اما المحمودة فهي التي لايراد بها الوصول الى شيء:

إن الهدايا كرامات لآخذها إن كن لسن لإسراف وأطماع [4]

وينهي بشكل واضح عن تقديم الهدايا التي يترتب عليها الظلم لأحد فيقول:

لا تهاد القضاة كي تظلم الخصم ولا تذكرن ما تهديه [5]

5. تبادل التهاني:

يجوز تقديم التهاني للحاكم لمناسبات مختلفة ولكن ليس من الطفوليين او الفضوليين وانما:" ان تقع بين الاكفاء لا على مقدار المقة والصفاء" [6] فلا يحسن تبادلها الا بين النظراء. وقد اختار لتأييد ما ذهب اليه، والدلالة عليه مثلا قصصيا خياليا يمثله بالفارة والاسد. ومثل العصفور مع طير جارح عظيم" وشتان بين النكرات من حملة العكازات وبين السروات من حملة الشارات واهل الرياسات

---

(1) ينظر الجامع في اخبار ابي العلاء: 474/1 و 501/1 وينظر أبو العلاء المعري- نسبه واخباره- شعره- معتقده: 93.
(2) رسائل ابي العلاء: 224.
(3) شروح السقط: 1732/4 (التحابي: تفاعل مع الحباء وهو العطاء).
(4) م.ن: 758/2 (وينظر الأشباه والنظائر - لزين العابدين: 128/1 حول اراء الفقهاء في المسالة وهي تدور في هذه الدوائر التي طرقها المعري.
(5) اللزوميات: 635/2.
(6) رسالة الهناء: 73 (الأكفاء: الأنداد والنظراء. المقة: الحب والعودة: الصفاء. صدق الأخاء).

والمشورات" [1] ويعلل ذلك ويقول:" وإذا جاءت التهنئة من غير نظير فانها تعتقد من المحاظر، كمثل الاسد لما ظفر بفرس لبعض الملوك، لم تسم الى ركوبه نفس الصعلوك، فحمله الى العريسة وأخذ الكفاية من الفريسة.

واجتمع اليه اصناف الوحش متهنئات خشعا من الهيبة متجنئات [2]. فقائل لايخرج عن الإيجاز، وصامت لايجترئ على المجاز.

فلما أرمت [3] الجماعة، ولم يبق في التكلم طماعة قال فرنب [4] هو في المقالة مذنب. كان بالاجمة له وجارٌ [5]. والضيغم له نعم الجار يمنعه أذاة الشغوب من خيطل تبرر وسرعوب[6]" [7].

"بورك للملك في العطية السنية وما بلغ من الأمنية. فنظر الأسد نظر مغضب وكانه من الأسف على محضب [8] الى سرحان [9] خضر أو نمر، فعرف انه مارضي بذلك الأمر. فأوحى بالعجل- الى هر في البر ان ينزل- بالبر الناطق ماسنح من الشر. فجعل يصيح في مخالب الضيون:

ماذنبي: أوكل في جوار الجبار: أسامة فقال له بعض الأجناد:

أهلت نفسك لخطاب: ماكنت له بأهل، فعددت من اصحاب السفه والجهل" [10]." وكمثل عظيم من جوارح الطير، كان يرجع الى الأفراخ بمير فجاء ومعه إحدى الغور [11] فصممت ذوات الأجنحة غير العصفور.

---

(1) رسالة الهناء: 73 (ومما تجدر الأشارة اليه إن الثعالبي معاصر ابي العلاء ذهب في هذا الأتجاه في ذكر الملوك والامراء وكلامهم على مقاديرهم. ينظر اللطف واللطائف لابي منصور العالبي (ت429):21.

(2) متجنئات: خشعا.

(3) ارمت: سكنت.

(4) فرنب: الفأر الذكر.

(5) الاجمة: الشجر الكثير الملتف: وجار: الحجر.

(6) الشغوب: الأذاة. خيطل: السنور أي القط. سرعوب: ابن عرس.

(7) رسالة الهناء: 76- 77.

(8) محضب: المسعر والمقلي. وحطب النار رفعها والقى عليها (الحطب).

(9) سرحان: ذئب.

(10) رسالة الهناء: 78- 79.

(11) الغور: الظباء.

فقال: قرت لامحتك [1] من قيل، ما أقتلع للناهض بخسيس النيل [2]، فقال ذلك الجارح لباز منه قريب، لاق هذا الجاهل بسوء التثريب [3] من هو؟ حتى يتكلم لدى، كانه أمن من ردى [4]. فأوما البازي المتجبر، وهو عن أختطاف البائس متكبر الى باشق بالحضرة، فأكله معتاما [5]، وترك أفراخه أيتاما، واما أقرناني فأولئك حملة العصي [6] يجلسون بالمكان القصي" [7].

ومن يتجاوز منزلته أو يخطأ مكانه يلقى سوء الجزاء، مثل الفار والعصفور" فان أخطأت ذلك، فقرني ضل بن ضل وكلاهما ليس بشيء" [8] يقوله أبو العلاء:" وأين النثرة من العثرة والفرقد من الفرقد" [9].

ورسالة الهناء، ومنها النصوص المتقدمة كتبها أبو العلاء الى بعض معاصريه من الكبراء يهنئه فيها بزيارة وزير السلطان شبل الدولة له [10].

وابو العلاء قدم التهاني لأحد الحكام لمناسبة (عرس) [11] ولمناسبة (مولود)[12] ولمناسبة (العيد) [13] و(الشفاء) [14] و(الاعتذار والاستعطاف) [15].

---

(1) قرت لامحتك: قرت عينك.

(2) خسيس النيل: خسيس المطلب.

(3) التثريب: الأخذ على الذنب.

(4) ردى: أي كانه أمن من قتلي إياه.

(5) معتاما: مختارا.

(6) حملة العصي: يعني عميان والعصي للتهديد على معرفة الطريق. ومن كان مثلهم لا يزجون بأنفسهم في مخاطبة الوزراء والكبراء.

(7) رسالة الهناء: 85- 86.

(8) رسالة الهناء: 85- 86.

(9) رسائل ابي العلاء: 41 (النثرة: كوكبان بينهما قدر شبر. وبينهما لطخ بياض كأنها قطعة سحاب وهي أنف الأسد ينزلها القمر. العثرة: من عثر الرجل اذا زل وسقط. والفرقد: المراد بالاولى ولد البقرة الوحشية وبالثانية نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به).

(10) هو أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس تملك مدينة حلب للمدة 420- 429.

(11) لاسد الدولة بن مرداس ينظر شروح السقط: 501/1 ولأمير أخر ينظر م.ن:689/2.

(12) شروح السقط: 1697/2 وينظر رسائل ابي العلاء- مارجليوث: 113.

(13) م.ن: 25/1 والتهنئة لحفيد سعد الدولة.

(14) م.ن: 663/2.

(15) م.ن: 663/2.

5. الدعاء للحاكم:

يقول أبو العلاء:" واما جالية حلب حرسها الله فاقبلوا وقد ظهر عليهم رونق البلد، وآثار الخفض. ورفعوا أصواتهم بالدعاء... وقالوا: إن الله تعالى انعم على الرعية بهذا السلطان أطال الله بقاءه..." [1].

ولعل المعري يريد تقوية العلاقات الانسانية، بين الحاكم والرعية، فان هذا التودد الى الحاكم قد يرقق قلبه، وينعكس اثر ذلك في معاملته فيقول:

ولطف رأي يستأسر الملك الأعـ ـظمِ بالواحد الحقير الذليل [2]

6. مجالسة الحكام:

ينطلق أبو العلاء من طبيعة الانسان التي ترغب على الارجح في التقرب من الحكام. لذلك فهو عندما يخاطب ابن القارح لم ينكر عليه مجالسة الحكام فيغمزه ويقول:" وهو قدر الله له ما احب قد جالس ملوك مصر التي قال فيها فرعون:" اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون [3])" [4].

ولان ابا العلاء يعلم ان هذه المجالسة ثمنها باهض وتحتاج الى رياضة شاقة [5]. ولعلهم لايفلحون بالموازنة المطلوبة وينزلقون الى التزلف، او ينحازون الى صف الحاكمين، ويكون كل همهم مصالحهم. ولا يأبهون بحال المحكومين. لذلك فهو يدعو الى الابتعاد عن عشرة الرؤساء:

توَّحد فان الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء [6]

(1) الصاهل والشاحج: 632.
(2) شروح السقط: 2068/5.
(3) القرآن الكريم- سورة الزخرف- الآية:51.
(4) الغفران: 399.
(5) ينظر لتفصيل شروط الصحبة- الأدب الكبير لابن المقفع: 140 وينظر زهرة الأداب وثمرة الالباب: 588/2 ومما قاله القيرواني في زهرة الأداب: (مرضاة السلطان لاتخلو بشيء من الأثمان ولا ببذل الروح والجنان).
(6) اللزوميات: 63/1.

وعلى الرعية أن تدع الحاكم، وتنصرف الى أعمالها، وتكتفي بأي نوع من الطعام:

فأترك لأهل الملك لذاتهم فحسبنا الكمأة والأحبل [1]

7. مدح الملوك:

مدح أبو العلاء الأمراء والأصدقاء في بداية حياته لكنه يقول:" ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ولا مدحت طالبا للثواب وانما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس" [2] وقول ابي العلاء ليس بمتهم تشهد له سيرته الذاتية[3]. لذلك فان المديح الذي يريد منه تشجيع القيم من غير تزلف ولا طمع بالمكسب فهو يؤيده. على ان لايغيب عن البال ان هؤلاء الحكام مهما بلغوا فهم بشر. والله جل جلاله أعظم في القياس وأكبر منهم جميعا:

ما قيل في عظم المليك وعزه فالله أعظم في القياس وأكبر
شرف اللئيم وكم شريف رأسه هدرٌ يقط كما يقط المزيرُ [4]

ويبدو إن أبو العلاء يقدر أن هناك لذة وحلاوة يتذوقهما المادح، وليس من اليسير التجرد عن هذا الطبع لمن سلكه. ونقف على ذلك من خلال محاورة الأعشى مع نابغة بن جعدة في رسالة الغفران فيقول الأعشى:" أتعيرني مدح الملوك؟ ولو قدرت يا جاهل على ذلك لهجرت اليه أهلك وولدك..." [5] حتى يتطور الأمر ان يلجأ النابغة" ويثب على ابي بصير (الأعشى) فيضربه بكوز من ذهب" [6] لأن الأمر في هذه الحالة لايخلو من الطمع للمكاسب المادية. وهنا يحكم أبو العلاء بكذب المادح فيقول في الايك والغصون:" كذب المادح سوى مادحيك سبحانك رب المملكة ما لها انقضاء" [7].

---

(1) م.ن: 279/2 (الأحبل: اللوبياء).
(2) شروح السقط: 10/1 خطبة السقط للمعري (السوس: من سوسه اي من طبعه، وكانه من سمت الرعية).
(3) ومما يؤيد ذلك قول ابن حجر العسقلاني: (ولو تكسب بالمدح والشعر لنال دنيا ورياسة) ينظر لسان الميزان: 204/1.
(4) اللزوميات: 445/1.
(5) الغفران: 229.
(6) م.ن: 231.
(7) ينظر المبحث الأول من الفصل الثاني.

وفي الوقت نفسه فان الممدوح بلا شك يحلو له ان يمتدح فيقول أبو العلاء "وغير ملوم من عشق الثناء لأنه أحسن حبيب مزور وأبقى منفس مذخور" [1].

وابو العلاء يكره أهل المدح معللا ذلك بقوله:" كرهت أن أتصور بصور أهل النظم المتكسبين الذين لم يترك سؤال الناس في وجوههم قطرة من الحياء ولا طول الطمع في نفوسهم أنفة من قبيح الأفعال" [2]. لذلك فهو يقرر" والشاعر غير صادق في المدح" [3] فهو يريد احترام الكلمة من جهة وأن الله أولى أن يتجه اليه المادح فهو الرزاق:

هذا قريض من الأملاك محتجب فلاتذله بأكثار على السوق
فاطلب مفاتيح باب الرزق من ملك أعطاك مفتاح باب السؤدد الغلق [4]

ويهجم على هؤلاء الشعراء المتكسبين [5]. ويحذر من التقرب لهم [6] وينزه الشعر إذا كان لغير مكسب [7].

8. محاربة الظالم:

تمشيا مع نهجه في الحيطة والحذر، والمداراة، والدفع بالتي هي أحسن، يتمنى لو قدر للإنسان أن يعيش لا ظالما ولا مظلوما ويعد ذلك سعادة. وما عدا ذلك فان حكمه على الظالم بئس ما فعل ويتألم للمظلوم في الوقت فيقول:

"الظالم بئس ما فعل والمظلوم ضعيف مهتضم، فسعد امروء لا ظالما وجد ولا مظلوما" [8].

---

(1) رسائل ابي العلاء: 58 (منفس: ثمين. مذخور: مخبأ لوقت الحاجة).
(2) الصاهل والشاحج: 677/2– 679.
(3) م.ن: 175.
(4) شروح السقط: 677/2– 679.
(5) ينظر اللزوميات: 372/1.
(6) ينظر الفصول والغايات: 193.
(7) ينظر احكام صنعة الكلام– ابو القاسم بن عبد الغفور الكلاعي– تحقيق محمد رضوان الداية: 38 وينظر العقد الفريد: 15/3.
(8) الفصول والغايات: 436.

ويوصي أي فرد من الرعية" لاتكن الظالم ولا معينه، يزو عنك الشر قطينه" [1] ويوصي بالتعاون لردع الظالم:" إن استطعت ظالما فأردعه وأكرم صاحبك ولا تخدعه [2]. والابتعاد عن مؤازرة الظالم فيقول:" ولا تؤازر الظالم" [3] وعد الاصابة من طعامه ولو قدر لظرف ان تناول أحد الرعية من طعامه عليه أن يتقياه فيقول:

متى ما تصب يوما طعاما لظالم فقم عنه وأفغر بعده فم قالس [4]

وأن يبقى لسان حال الرعية يقول:" يابغاة الأنام، وولاة امور الانام مرتع الجور وخيم، وغيه ليس بحميد" [5].

9. انتفاضة الرعية:

لا يرغب أبو العلاء في تعبئة الرعية للقيام بمصادمات ومواجهات مع الحكام وأعوانهم. لأسلوبه الذي وقفنا عليه من جهة. وخوفا عن إراقة من جهة أخرى.

ولكنه في حالة وقوع انتفاضة وهجوم من الرعية على الحاكم الظالم وأعوانه وتحقيق نتائج ايجابية. فان ابا العلاء على ما يبدو يؤيد ذلك ويستحسنه والدليل هو حادثة المرأة في موضوع صالح بن مرداس، وثورة الناس لإنقاذها [6]. هذه المرأة يسميها أبو العلاء (جامع) وقد استثارت عواطف الناس في يوم الجمعة، وهم في المسجد. وذكرت لهم إن أصحاب الماخور تعرضوا لها فثارت حميتهم. وهجموا على الماخور وهدموه وحطموا ما فيه فيقول: أبو العلاء بارتياح ورضا من قصيدة:

أتت جامع العروبة جامعا تقص على الشهادة بالمصر أمرها
فلو لم يقوموا ناصرين لصوتها لخلت سماء الله تمطر جمرها

(1) م.ن: 311 (يزو: ينحني قطنية: القطين: المقيم).
(2) م.ن: 276.
(3) م.ن: 76.
(4) اللزوميات: 44/2.
(5) الفصول والغايات: 39.
(6) ينظر معجم الأدباء– تعريف: 141.

فهـدوا بنـاء كـان يـأوى فنـاءه فـواجر القـت للفـواحش خمرهـا [1]

وفي هذه القصيدة يشرح الحادث، ويسخط من خلاله على الأوضاع المتردية. فهو يتعاطف مع الرعية، في المواقف التي تستحق الثناء، ويشير الى عيوبها أملا في الصلاح ورغبة في العيش في سلام وامان، تمهد لنا التفكير في الكشف عن مدينته الفاضلة.

(1) اللزوميات: 492/1.

المبحث الخامس
المدينة العلائية الفاضلة

من المدهش حقا، أن لا تكتشف المدينة الفاضلة. ولعل آثار المعري تحتاج الى من يطيق دراستها. فبقيت مختفية على مر الدهور والعصور [1]. فكلام أبي العلاء يحمل الكثير من الدلالات. ويحمل الكثير من المعاني التي مازالت في طيات المجهول، ولكن المعري في جميع الأحوال كانت له رسالة إنسانية. فقد تمنى لهذا العالم الخير. وأراد له العدالة. وحث على التكافل الاجتماعي المثالي. ولعله كان يأمل أن يتبنى المجتمع أفكاره التي طرحها. وربما بدت للأخرين مثالية، صعبة التطبيق. الا إن الأفراد لو تعاونوا فيما بينهم لاستطاعوا تحقيق تلك الأفكار أن أرادوا فعلا. ولصار ما يبدو مثالياً، واقعيا، ولنفع المجتمع، وأرساه على أساس المبادئ المستقاة من مصادر شتى في مقدمتها الاسلام الحنيف.

وإذا كان المعري لم يوفق في تحقيق الاصلاح الذي كان يأمله، لان ما يطرحه بدا مثاليا، بالنسبة الى التخلف والفساد السائد في البلاد في تلك المدة. ولأنها محاولات فردية، تذهب رياحا في شبك. الا انه كان يتعامل مع المجتمع على وفق ما يحس به، وعلى وفق ما يحمل عليه نفسه من التقشف، وعدم الإيذاء وما يحلم به. ومن خلال مجمل أفكاره سواء تحققت أم لم تتحقق. فهي في النتيجة أمنياته [2]. أما التطبيق والإصلاح الحقيقي فلا يعود للمعري، بقدر ما يعد شأن الناس انفسهم. ولكنها دعوة للحسنى... ولو لم تؤد الى نتيجة. في وقت انفلتت فيه السيطرة على مقاليد الأمور من الحكومات نفسها. زيادة على ان المصلحين الاجتماعيين، منهم من يبقى في دائرة التنظير، وطرح الآراء مثل الفلاسفة الذين يعتزلون العالم، يتأملون ويفكرون أمثال الكندي [3] والفارابي والمعري. ومنهم من

---

(1) هناك من أشار الى ذكر المدينة الفاضلة بشكل اجمالي في الحكم على ابي العلاء، على أساس المثاليات الواردة في اللزوميات. ينظر المعري ذلك المجهول: 35. وكاتبة اخرى ارادت ان تحيي مدينة فاضلة لها بالاستعانة بابي العلاء فتقول:" ليتهم يحيون في مدينة فاضلة كمدينتي التي بنيتها من أنملي، ليتهم يا ابا العلاء يفهمون كما تفهم وانا وابناء الالام" ينظر أبعاد المعري: 43- 44.

(2) لقد وقفت على مثل هذا التوجه في الدراسات النفسية فالمفكر قد" يخطط طبقا لما يراه هو دون الاستعانة بالأخرين، أي يتصرف طبقا لما يمليه عليه فكره والايمان بأن التفكير بمعزل عن الأخرين هو أساس النجاح في الحياة" ينظر الاتجاهات التعصبية- د. معتز سيد عبدالله:199.

(3) الكندي (ت247 أو 260) كان يحب العزلة ليفكر. ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 288.

يتخطى ذلك عندما يتعاملون مع الناس ويشاركون في الأحداث السياسية، وتكون لهم اتصالات مختلفة بين الحكام والمحكومين ويطلعون على الأحداث مثل الماوردي[1].

والواقع ان المعري يختلف عن افلاطون والفارابي لأن هؤلاء يبحثون في المثاليات. أما المعري فألى حد ما يستقرئ وقائع الحياة العملية والحسية وأحداث التأريخ، ويشخص ما فيها من خروج عن هذه المثاليات، من خلال نقده المعروف والاسلام جعل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معيارا أمتدح به المسلمين.

كانت آراء المعري تمثل العلم الذي اطلع عليه والتراث الذي وقف عليه واستوعبه، وكذلك كان افلاطون وأرسطو والفارابي من قبل. يعمدون الى العلم والتراث والدين [2]. وما حققته هذه المجلات من حالات إيجابية، فيخلقون منها نموذجا. فكانت هناك عدة عوامل أثرت في تكوين آراء المدينة العلائية الفاضلة بلا شك. منها علمه والآراء التي اقتبسها من الاتجاهات الفكرية السائدة، زيادة على خبراته الشخصية، وهذا الذي تحدثنا عنه في الفصل الأول.

وابو العلاء لم يكن شاعرا حالما، ولم يكن مشرعا لمدينة علائية قصدا كما نجد عند افلاطون والفارابي. لكنه في واقع الأمر تشكل آراؤه مدينة فاضلة لها ميزة كما لها روحها وسماتها نعمل على تكوينها، وندخلها الان بأذن الله تعالى.

ودخول مدينة ابي العلاء سهل ميسور في اي وقت، فأبو العلاء يتخطى العصبية القبلية والفروق الطائفية، أو نصرته لمجموعة معينة. وإذا كانت ثمة تقاليد وأعراف في هذه المدينة، فسرعان ما يتم تعرفها.

ولعل أول ما يلفت الانتباه، اهتمام المعري بالإنسان الذي يعول عليه كثيرا فهو القائل:" وأي ذنب للمنزل إذا لم يسكنه رجل شريف، والمدينة الآهلة إذا لم يلها وال عادل؟" [3].

---

(1) ينظر المدينة الفاضلة وجمهورية افلاطون– الدكتور حسن سوشيتس– الفارابي والحضارة الانسانية: 216.

(2) ينظر جمهورية افلاطون– نظلة الحكيم ومحمد مظهر سعيد: 6.

(3) الصاهل والشاحج: 348.

فالمتشوق لهذه المدينة، لابد ان يتدبر بإمعان هذا الكلام، ويحاول استكناه مراميه العميقة، التي تضفي كثيرا من الملامح الأساسية، على جوانب من المدينة العلائية ويعزز ذلك قول آخر للمعري:

ما أحسن الأرض لو كانت بغير أذى ونحن فيها لذكر الله سكان [1]

ولعل قولا ثالثا يسلط أضواء على مكانات المواطنين في هذه المدينة:

فان الناس كلهم سواء وأن ذكت الحروب مضرمات [2]

وهذه بوادر من شانها ان تثير فينا فضولا مشروعا لنتلمس ملامح أخرى، وأخرى. ليتكامل كيان المدينة العلائية.

السلطة في المدينة:

الله عز وجل هو المهيمن، وهو مصدر السلطات فيقول ابو العلاء:" الله مملك الملوك" [3]. تسليما لسلطان الله جل جلاله، واعترافا بقدرات البشر المحدودة. الا انه بصلاح الحياة السياسية يكون صلاح الأمة، وبعدالة الملوك والرؤساء، تسعد الناس وتأمن. وفي مدينة ابي العلاء مواجهات مع الحكام في ذلك قوله:

تسمت رجال بالملوك سفاهة ولا ملك الا للذي خلق الملكا [4]

ويحذر أبو العلاء من الصراع على السلطة:

انهاك أن تلي الحكومة أو ترى حلف الخطابة أو إمام المسجد
وذر الأمارة وأتخاذك درة في المصر تحسبها حسام المنجد
تلك الأمور كرهتها لأقارب وأصادق فأبخل بنفسك أوجد [5]

---

(1) اللزوميات: 500/2.
(2) م.ن: 238/1 اي (وان فرقت بينهم الحرروب والعداوات).
(3) الفصول والغايات: 47.
(4) اللزوميات: 225/2.
(5) م.ن: 389/1 (الدرة بالكسر: السوط، تستعمل للضرب ويحملها الامراء).

ولا نعدم في مدينة ابي العلاء معارضة تتهكم على الأراء القاصرة، ولكن ليس بما يعهد من أساليب، وانما بما يحمل على التفكير الجاد:

رجوتم إماما في القران مضللا　　　فلما مضى قلتم الى سنوات [1]

فأين الذي ساد في عقول الناس أن إماما يظهر في عام (قران المشتري بزحل) فقد أتى ولم تتحقق هذه الدعوات المضللة فكان لابد من الابتعاد عن الأوهام. ليتسنى للحاكم الذي رشحته المؤسسة العلائية لتولي مهامه [2]. وتحكيم العقل في السياسة.

مكانة العقل:

من الواضح أن مواطني هذه المدينة من العقلاء. أو هكذا يجب أن يكونوا. ولم لا ؟ فقد شرف الله سبحانه وتعالى العقل، وأعلى مكانته، ((ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))[3]. وقد أولى العرب منذ أقدم الأزمنة (العقل) المكان الذي يستحقه. لأن التخلي عنه أوقعهم بكثير من النكبات [4].

وفي المدينة العلائية محاربة للدجل والخرافات. حتى تظل المدينة محكومة بالعقل وحده، على وفق التفكير الصحيح. فالعقل هو السراج المتقد ليلا ونهارا لازاحة الظلمة:

خذوا في سبيل العقل تهدوا بهدية　　　ولا يرجون غير المهيمن راج
ولا تطفئوا نور المليك فانه　　　ممتع كل من حجى بسراج [5]

(1) م.ن: 224/1.
(2) تراجع مواصفات الحاكم كما يقررها أبو العلاء في المبحث الثالث من هذا الفصل.
(3) القرآن الكريم– سورة الروم– الآية: 28.
(4) فهناك فرق بين الفكر العلمي وبين الفكر الخرافي. ينظر: المدخل الى الفلسفة– صدام الزبادي: 13. والذي يدرس أنماط السلوك يتيقن ان الانسان يسير بمصالحة وعواطفه أكثر من أتباع المقاييس العقلية الثابتة. ينظر بواكير الفلسفة قبل طاليس أو من الميثولوجيا الى الفلسفة اليونانية– د. حسام محي الدين الالوسي: 81.
(5) اللزوميات: 268/1 وينظر م.ن: 143/1، 157، 288، 432، 497، 524، و191/2، 317، 620، 637، 642.

فالعقل هو الدليل الى الصواب ولتجاوز الصعاب وحل النزاعات:

فشاور العقل وأترك غيره هدرا　　فالعقل خير مشير ضمه النادي [1]

ولقدسية العقل في المدينة العلائية، فان المعري يعده بمثابة النبي الذي يجب الاهتداء بهدية:

أيُّها الغِرُّ إن خُصِصْت بعقلٍ　　فاسألَنْهُ فكلُّ عقلٍ نبي [2]

فالاعتماد على العقل، من أجل اخضاع مقاليد المدينة الى التفكير والمنطق، ولأنه من الوسائل المتيسرة المأمونة، فجعل أصلا للمعرفة وأنزل هذه المنزلة. لذلك فالصبر على اتباعه ليس سهلا:" وداء المسرة العقل، ودواء الحزن الجهل" [3].ويقول أبو العلاء:" وإذا المعقول جعل هاديا، نقع بريه صاديا، ولكن أين من يصبر على أحكام العقل، ويصقل فهمه أبلغ صقل؟ هيهات" [4].

ومع ذلك يعجز أحيانا هذا العقل عن معالجة وفهم ما يعترضه من أسرار وعقبات:

أمور يلتبسن على البرايا　　كأن العقل منها في عقال [5]

فاذا كان العقل كذلك فغير محمود الاعتماد على الظن:

كذب الظن لا أمام سوى الـ　　ـعقل مشيرا في صبحه والمساء [6]

---

(1) م.ن: 379/1.

(2) م.ن: 642/2.

(3) الفصول والغايات: 322.

(4) الغفران: 464.

(5) اللزوميات: 338/2، ومما يؤكد قول المعري ان حاجات الانسان المتعددة والتشريع لها لا يمكن ان يحيط بها جميعا العقل البشري ويقدمها للعقول البشرية مثله، فكان التسلي لحكم الله تعالى. ينظر رسالة التوحيد- محمد عبدة: 59- 60.

(6) اللزوميات: 66/1. يقول الله سبحانه وتعالى (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) سورة يونس- الآية:36.

الرعية والعلاقات الاجتماعية:

إن القادم الى المدينة العلائية يشعر بأن خطواته محسوبة، وكل شيء يوحي بوجوب الحذر والحيطة. فمجرد التفكير بتعرف أحد أفراد هذه المدينة أو الحديث معه. يجد ان العلاقة بين أفراد المجتمع لاتبنى على المنافع الذاتية ولسان حال أحدهم يقول:

ليس اغتنام الصديق شأني فلا تكن شأنك اغتنامي [1]

وقد نجد العذر، عندما نستمع الى أصداء هذا النداء الموجه الى المدينة العلائية:

"اغمدوا سيوفكم واركزوا رماحكم، ولا يبلغ منكم حب الحياة والشغف بها، أن يتعجل بعضكم منايا بعض اريحوا أنفسكم. لا يقتل بعضكم بعضا. فان للموت الفطري يدا أمهر من ايديكم في القتل، وحساما أمضى من سيوفكم في الهام وسنانا أثقب من أسنتكم للصدور. أريحوا أنفسكم من هذا العناء. فان الموت سيريح بعضكم من بعض كلكم ميت، وكلكم تارك أصدقاءه وأخلاءه. لا يحفلون به ولا يأسفون عليه. وما هي الا ساعة وداعة ثم يعودون من اللهو واللعب من الغي والمجون الى ما كانوا عليه" [2]. وهذا هو صدى لقول ابي العلاء:

فشم صارما، وأركز قناة فللردى يد، هي أولى بالحمام، وأدرب
أفضى لهامات وأرمى بأسهم وأطعن في قلب الخميس وأضرب
أرى مُطعِمَ الرّمسِ اللّهَم خليلَهُ سيأكل من بعد الخليل ويشرب [3]

لا شيء يوحي بالفرح، وكأن السكان هنا جميعهم في حالة تأهب للرحيل، ويريدون أن يختصروا الزمن. ويستعجلوا النهاية فهم ينظرون الى الأطفال بصفتهم رجالا صغارا، كهول المستقبل، فهم من الجائز أن يروا سادات أقوام، لذلك ينبغي إكْرام الطفل. وعدم الغفلة حيث لا أمان لهذه الدنيا. أو الاجتهاد لسلوك طريق الخير، والابتعاد عن أشكال الظلم لأي أحد من البشر.

---

(1) اللزوميات:460/2.

(2) صوت ابي العلاء: 124.

(3) اللزوميات: 459/2 (الخميس: الجيش. المطعم: أراد به الموت. الرمس اللهم: 459/2.

لا تـزدرن صـغارا في ملاعـبهم فجـائز أن يـروا سـادات أقـوام
وأكرموا الطفـل عـن نكـر يقـال لـه فـان يعـش يـدع كهـلا بعـد أعـوام
ولا تنـاموا عـن الـدنيا وغرتهـا فـان ابيـتهم فكونـوا خـير نـوام
لا تظلمـوا مـن بنيهـا واحـد أبـدا حتـى تعـودوا ذوي فطـر كصـوام [1]

ومما يؤكد النظرة الجدية للطفل، ان الصبي اذا بلغ عشر سنوات فيمنع من الدخول الى النساء خوفا عليه من الوقوع في شراكهن:

إذا بلـغ الوليـد لـديك عشـرا فـلا يـدخل علـى الحـرم الوليـد
ألا إن النسـاء حبـال غـي بهـن يضـيع الشـرف التليـد [2]

فاذا كان هذا الشأن مع الصبيان فيما يتعلق بالنساء فكيف مع الرجال؟

ولا ترجع بإيماء سلاما على بيض أشرن مسلمات [3]

وهذا زيادة في التحفظ، ولما يترتب على السلام. لذلك فانه لا اختلاط في المدينة العلائية لا في مجالس العلم، ولا حتى في مجال علوم القرآن الكريم. وما يقال عن المسلمات ينسحب عن غيرهن. فعن المسيحيات مثلا:

فلا تتعرض في طريقك ناظرا نساء النصارى غاديات الى الكنس [4]

وابو العلاء مثلما لا يجد للمرأة العذر في خروجها الى الحمام، كذلك المسجد على حد سواء [5]. وإذا كان الخروج بحاجة ماسة في مدينته فيقول أبو العلاء:" وإذا غدوتن للحاجة فغير عطرات" [6].

---

(1) اللزوميات: 459/2.
(2) م.ن: 337/1 و 625/2 ومر ذكره في مبحث المؤسسة الاجتماعية من الفصل الثاني.
(3) اللزوميات: 231/1.
(4) م.ن: 40/2 وعن الفارسيات ينظر شروح السقط: 1517/4.
(5) اللزوميات: 471/2 وينظر: 625/2 وقد سبقت الإشارة اليه في المؤسسة الاجتماعية– الفصل الثاني.
(6) الفصول والغايات: 117.

ولعله يتمنى ان تسود العلاقات الاجتماعية المثالية [1] بين الناس ابتداء من الجوار فيقول:

إذا شئت ان ترقى جدارك مرة لأمر فأذن جار بيتك من قبل
ولا تفجأنهُ بالطلوع فربما أصاب الفتى من هتك جارته خبل [2]

ويريد أبو العلاء ان يرسم أعرافا جديدة لمدينته. فتنفرد بتقديم التهاني لأهل الميت. لسببين: الأول، ان الورثة يتنعمون بالميراث ان وجد. والثاني ان الميت استراح من الدنيا، وهذا يدل على ايمان مطلق بالموت، الحقيقة التي ينبغي الا نجزع منها ونحزن فيقول:

فهنيء ولاة الميت يوم رحيله أصابوا تراثا واستراح الذي مضى [3]

وأعتقد انه لا احد يستسيغ هذه الحقيقة مجردة في خارج المدينة، لما تعارفه الناس. وتظل معان اخرى يضمرها الشاعر من حقائق العلاقات والمشاعر.

وعلى أية حال الناس هنا في المدينة العلائية. هم الذين يؤمنون بفكر ابي العلاء، من زاوية الفرد والمجتمع. فقد اعتاد جملة مواصفات وعادات، في علاقاتهم الاجتماعية، وتنظيم حياتهم الأسرية [4]. والأسرة التي يحبذها أبو العلاء ان تكون من زوج واحد:

متى تشرك مع امرأة سواها فقد أخطأت في الرأي التريك [5]

فإذا علمنا بنصيحة ابي العلاء التي يقول فيها:

نصحتك لا تنكح فان خفت مأثما فاعرس ولا تنسل فذلك أحزم [6]

---

(1) كتبت رسالة ماجستير في موضوع (البحث عن المثال في شعر المعري) للطالب خميس احمد حمادي كلية الأداب- الجامعة المستنصرية- 1995.

(2) اللزوميات: 257/2 (الخبل: فساد العقل، وأصله بفتح الباء. فسكن للشعر).

(3) اللزوميات: 72/1.

(4) ينظر المبحث الثاني- الفرد والمجتمع- من هذا الفصل.

(5) اللزوميات: 242/2.

(6) اللزوميات/381/2.

فانه لا يشجع على النسل في مدينته. ويتدخل في طبيعة العلاقة الزوجية ويريد ان يكون زمام الأمر بيد الرجل، ولا يدع المرأة تطمع فيه:

متى يطمعن فيك يرين تيها   لا طيب مطعم متأجمات [1]

ويحذر من الزواج عن طريق الخاطبات في مدينته، لأن هؤلاء ما نصحن في جميع ما يذكرن. وانما غرضهن أخذ شيء... فيقول:

اولئك ما أتين بنصح خل   ولادن المليك ولا يدنه [2]

وبعد فما هو نموذج المرأة الذي يسعى اليه أبو العلاء في مدينته:

اذا ما غضوب غاضت كل ريبة   وكانت (لميس) لا تقر على اللمس
فقد حازتا فضل الحياة وعدتا   مكان الثريا في المكارم والشمس [3]

ونستطيع ان نلاحظ على سكان المدينة، ان غالبية الناس من المتقدمين في الأعمار. ونجد المراعاة للسن عند الزواج، بأن يكون متقاربا بين المرأة والرجل. فعلى سبيل المثال ان الرجل في الأربعين من عمره يتزوج الأمرأة المجرية الكهلة اي بحدود الثلاثين من العمر. ولا مسوغ ان يتزوج من هو بالستين من الكاعب:

اذا ما ابن ستين ضم الكعاب   إليه فقد حلت البهلة
هو الشيخ لم يرضه أهله   ولم يرض في فعله أهله
فلا يتزوج أخو الأربعين   إلا مجربة كهلة
رأى الشيب في عارضة المسن   فنعم القرين له الشهلة [4]

(1) اللزوميات: 235/1 (متأجمات: كارهات).
(2) شروح السقط: 2046/5.
(3) اللزوميات: 39/2.
(4) اللزوميات: (البهلة: اللعنة. الشهلة: المرأة اذا كانت نصفا عاقلة).

فهل لحظ المعري في العجوز الحنكة والتجربة وحسن التصرف؟ عندما يدعو للتمسك بها وعدم استبدالها بالكاعب الحسناء؟ ويشبه اللعاب الذي يسيل من فمها ولا تسيطر عليه. لا يعيبها كالخيوط التي تبدو نازلة من الشمس:

اذا كانت امرأة عجوز فلا تأخذ بها أبدا كعابا
فان كانت اقل بهاء وجه فأجدر ان تكون اقل عابا
وحسن الشمس في الأيام باق وإن مجت من الكبر اللعابا (1)

لأن المرأة على ما يبدو في نظر ابي العلاء، لا تعرف الحياة الا من طريق المشاعر الحسية. ومهما حاولت ان تظهر الاخلاق والتدين، على درجة عالية. فانها بذلك تجاري عرف الناس. ولكن في حقيقتها تبقى اقرب الى تلبية دواعي المشاعر الحسية. وتود لو انها تفتن الناس بجمالها. لذلك يشدد ان تبقى المرأة في خدرها:

وأرى العروس تحجبت في خدرها كمعرس الآساد في الأخدار
أحسن جوارا للفتاة وعدها أخت السماك على دنو الدار
كتجاوز العينين لن تتلاقيا وحجاز بينهما قصير جدار (2)

ويوصي أبو العلاء، بالموازنة والمداراة، حتى لايكون الرجل في مدينته من المغفلين وآخر من يعلم فيقول:

فان أنت عاشرت الكعاب فصارها وحاول رضاها وأحذرن غضابها
فكم بكرت تسقي الأمر حليلها من الغار اذ تسقي الخليل رضابها
وان حبال العيش ما علقت بها يد الحي الا وهي تخشى انقضابها(3)

ويستمر أبو العلاء، لا يدع مجالا للفتنة الا ورغب بسده. ومن جملة ذلك لبس المرأة للحجول. فما الداعي لذلك؟ لأن المرأة الجميلة مستغنية عن التجمل، ولانها كذلك فعندما ما تتزين بالحلي. كان ذلك منها سفاهة اي نزقا وخفة:

---

(1) م.ن: 128/1 (العاب: العيب. مجت: لصقت. لعاب الشمس: مايرى منحدرا من السماء مثل نسج العنكبوت أذا اشتد حرها).

(2) اللزوميات: 594/1 (المعرس: مكان النزول ليلا).

(3) اللزوميات: 117/1 (فصادها: من صاداه، أي داراه. حليلها: زوجها. الغار: الغيرة. الخليل: الصاحب).

ويـا أسـيرة حجليهـا أرى سـفها   حمل الحلي بمن أعيا عن النظر [1]

اخلاقيات المدينة العلائية:

تميز مواطنو المدينة العلائية بالزهد في كل شيء. حتى الحياة نفسها، فقد ادركوا كنهها، واكتشفوا مافيها من عمل وارهاق، ولذا لم يسعوا في الاستزادة:

تعب كلها الحياة فما أعجب   الا لراغب في ازدياد [2]

وادركوا ان ليس في الحياة ما يستوجب البهجة والفرح، فحقيقتها مفجعة تحمل على البكاء لا الضحك:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة   وحق لسكان البسيطة أن يبكوا [3]

وبعد فان كل شيء، ربما سيبدو واضحا ومفهوما في هذه المدينة ومن ذلك:

1. كراهية اللهو والغناء. فالعاملون في هذا المجال ينظر اليهم بأزدراء:

وفي رفع اصواتهم بالغناء   دليل على حط اقدارهم [4]

2. الحياة في المدينة كلها جد واجتهاد، وارهاق وعرق. فالحياة ما بها هدوء وعيش وادع، فيدعو بذلك الى الجد والعمل المثمر:

اذا ما شئتم دعة وخفضا   فعيشوا في البرية خاملينا [5]

---

(1) شروح لسقط: 116/1.
(2) م.ن: 977/3.
(3) اللزوميات: 216/2.
(4) م.ن: 492/2.
(5) اللزوميات: 528/2.

3. الراحة النفسية هي داخل الانسان، ويتكيف مع نفسه، ولا يجعل القياس ما يلاحظه على وجوه الذين يقابلونه فيقول أبو العلاء:

والقوم شر فلا يسررك إن بسطوا   لك الوجوه ولا يحزنك إن عبسوا [1]

4. توزيع الناس على اكبر مساحة ممكنة، منعا لأي كثافة سكانية محتملة لأن مع كثرة الناس يشيع الفساد:

اذا كثر الناس شاع الفسا   د كما فسد القول لما كثر [2]

5. ومن صفات رجال المدينة العلائية الرزانة والوقار، فلا بد من مخالفة الجهال، والابتعاد عنهم ففي عشرتهم أذى:

فأذر دمعك إن جهالها ابتسموا   من جهلهم واذا خف الأنام فقر
وأهرب من الناس ما . قربهم شرف   إن الفنيق اذا داني الأنيس عقر [3]

وفي الواقع اذا لم يكن جميع الناس اشرارا. وليس في قربهم شرف، فانه ليس من المعقول ان يكونوا جميعهم أخيارا بدرجة واحدة. وهذا الذي كان يؤخذ على الجمهوريات الافلاطونية وما شابهها. لأن هذه الجمهوريات، لاوجود لها في عالم الحقيقة على خلاف مكيافيللي في كتابه (الأمير) سيء الصيت. وفيه ينظر الى ان جميع الناس أشرار، ومن صفاتهم الحسد، فلا يؤتمن جانبهم من العبث اذا ما سنحت لهم الفرصة. ولهذا اذا اردنا ان ندافع عن المجتمع فان الأمر يقتضي ان نحافظ على الانسان بدفع الشر عنه. وان الاخلاقيات لاتجدي نفعا مثل هذا الواقع" لأن الانسان، الذي يريد امتهان الطيبة والخير في كل شيء، يصاب بالحزن والأسى عندما يرى نفسه محاطا بهذا العدد الكبير من الناس الذين لاخير منهم" [4].

---

(1) م.ن: 20/2.
(2) م.ن: 681/1.
(3) م.ن: 603/1 (فقر: أي كن رززينا ذا وقار. الفنيق: الفحل المكرم لايوذي ولا يركب لكرامته).
(4) الامير – ميكافيللي– تعريب خيري حماد: 144.

وعلى مايبدو ان ميكافيللي، يذهب كما ذهب أبو العلاء في الخوف من التجمعات البشرية الكثيرة. الا ان ابا العلاء اهدافه انسانية نبيلة، فهو يريد من الانسان ان يفعل الخير ذاتيا وتلقائيا كما سنرى.

6. فعل الخير: تتميز المدينة العلائية في الدعوة لعمل الخير، دون ان ينتظر الانسان عليه ثوابا. أو يعزف عنه مداراة او نفاقا او خوفا. وفي المقابل ان يتجنب الشر والظلم لأنه شر وكفى. ويترتب على هذا ان ياتي المرء اعماله خالصة لهذا التصور، سواء كان في السر ام العلن. فعمل الخير لايحتاج الى اعلانات وخطب. وهذه النظرة تقترب من نظرة افلاطون الذي يعد" صورة الخير هي الصورة العليا، وانها القمة بالنسبة لجميع الصور، وانها اخيرا العلة الأولى او الاله" [1]. فيقول أبو العلاء:

فان قدرت فلا تفعل سوى حسن ... بين الأنام وجانب كل ما قحبا [2]
عليك بفعل الخير لو لم يكن له ... من الفضل الا حسنه في المسامع [3]
اذا ما فعلت الخير فأجعله خالصا ... لربك وازجر عن مديحك السنا [4]
فلتفعل النفس الجميل لأنه ... خير وأحسن لا لأجل ثوابها [5]

ويشترط فعل الخير لمدى الحياة، ولا يحدده بمدة زمنية في عمر الانسان:

سأفعل خيرا ما استطعت فلا تقم ... علي صلاة يوم أصبح هالكا [6]

وإذا عجز الانسان عن فعل الخير، لعائق ما، فعليه ان لا يأتي بشر، فعدم ترك الشر ليس له مسوغ في المدينة:

وأن عجزت عن الخيرات تفعلها ... فلا يكن دون ترك الشر اعجازا [7]

---

(1) افلاطون- عبد الرحمن بدوي: 179.
(2) اللزوميات: 292/1.
(3) م.ن: 138/2.
(4) م.ن: 512/2 ونفس المعنى ينظر م.ن: والصفحة نفسهما و 483/2 و517/2.
(5) م.ن: 171/1.
(6) م.ن: 227/2.
(7) اللزوميات: 622/1 ونفس المعنى: 259/2.

لأن عمل الخير يعد من الاخلاقيات، وهي عند المعري ليست مصانعة للناس، ولكنه يريدها ذاتية لأنها خير وكفى من جهة. ولأن الله يطلع وهو المجازي من جهة اخرى فيصل الى المثالية في الدعوة لعمل الخير:

أسرر جميلك وأفعل ما هممت به ... ان المليك على الأسرار مطلع [1]

7. الواقعية، ومن المؤشرات على ذلك:

أ. توظيف الدين للحث على عمل الخير، بل نراه يعول كثيرا على ذلك، بعيدا عن المظاهر، فالدين عنده، وكما هو فعلا عمل وقول:

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ... ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحا ... ونفضك الصدر من غل ومن حسد [2]

ب. أن لا ينسى الانسان نفسه، فيسدى لها الخير قبل الغير، فهي أولى من الأخرين في الواقع حتى لا يكون الانسان ساذجا فتأكله الذئاب المتربصة والمستغلة، ويكون ضحية لفعل الخير فيقول:

ان ترد أن تخص حرا من النا ... س بخير فخص نفسك قبله [3]

ج. يقرر ان الخير طبع عند الانسان الكريم، لانجده عند اللئيم وان تظاهر به:

والخير يفعله الكريم بطبعه ... وإذا اللئيم سخا فذاك تكلف [4]

(1) م.ن: 124/2 ونفس المعنى: 633/1، 234/2.
(2) م.ن: 375/1.
(3) م.ن: 311/2 وقد ورد في الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وسلم): (أبدأ بنفسك فتصدق عليها) صحيح مسلم، الجامع المفهرس– د. سعد المرصفي تسلسل: 1399– (12) الزكاة:41 وينظر موضوع الفرد في المبحث الثاني من هذا الفصل.
(4) اللزوميات: 158/2.

8. ترك الحسد: ويأتي من متممات الفضيلة وفي ذلك نجده منسجما مع الخلق الاسلامي:

فلا تحسدن يوما على فضل نعمة فحسبك عارا ان يقال حسود [1]

9. ان المدينة التي تزهد في الحياة وتهنيء على الموت– لأن بعده حياة دائمة– بلا شك تريد دفع الساكنين فيها الى شاطيء الامان، وانتظار الرحيل، وفي مثل هذه الحالة. ليس هناك مجال للخصام والشقاق والسباب لذلك فان ابا العلاء يعد هذا الأمر من المسائل القبيحة التي لاتغتفر فيقول:" يغفر لك ظلم الايتام، ولا يغفر قبيح الشتام. من قذف بكلمة في المنطق أخف من حصاة الخذف، فهي من الهضبة عظمت عن نزع وقذف" [2].

10. المعاهدة لتحريم سفك الدماء: إذا كان تحريم الشتام الى هذا الحد من الحرمة فما بال سفك الدماء في المدينة؟ لقد تعاهد القوم هنا منذ البدء:" إذا غمس القوم ايديهم في الدم، فأغمس يدك في ماء الغدير" [3] كناية عن الرغبة للعيش في سلام وصفاء.

11. والحياة في مدينة المعري ليست ذات خصوصية، أو البشر فيها بعيدون عن الهموم، لذا نجد" في كل صدر من الناس شجون" [4].

وعلاج الهموم التي تسببها المطامح والآمال، وما يواجه الانسان من عراقيل واحباطات، يلجأ العمري الى:

خير الامور اوسطها. وهذا مبدأ إسلامي يستفاد من كثير من الآية الكريمة: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا))[5] والمعري يترجم ذلك بقوله:

(1) اللزوميات: 313/1.
(2) الصاهل والشاحج: 121.
(3) الفصول والغايات: 129.
(4) الصاهل والشاحج: 115.
(5) القرآن الكريم سورة الاسراء– الآية: 29.

وإن كنت تهوى فابغ توسطا   فعند التناهي يقصر المتطاول [1]

وبهذا يوافق أبو العلاء ارسطو في نظريته" الاوساط في الاخلاق التي مؤداها الحكمة القائلة (حب التناهي غلط، خير الامور الوسط)" [2].

12. الموازنة في التصرفات: عندما يتكيف الناس في المدينة لهذه الاجواء العقلانية يكون ثمة توازن في المظاهر والتصرفات من ذلك:

أ. ان لا ييتئس الانسان من الشيب فيحاول ان يخفيه بالاصباغ:

اذا طلع الشيب الملم فحيه   ولا ترض للعين الشباب المزورا [3]

ب. للإنسان قدرات محدودة، وليس بالضرورة ان يكون الناس هنا على قدر واحد من القابلية والاداء، فعلى الإنسان الايمان بذلك، والرضا بما يحصل متناسبا مع قدراته:

تماطل امرا دونه ابعد النوى   فبادر اذا رعت البعيد وناجز
ومن لم ينل في القول رتبة شاعر   تقنع في نظم برتبة راجز [4]

ج. عدم اتباع الهوى، وان لايظن الانسان بنفسه أكثر من وسعها، وليفهم أن هناك من هو أكثر منه منزلة، وكذلك أقل. فأدراك ذلك من علامات النضج:

وكيف يؤمل الانسان رشدا   وما ينفك متبعا هواه؟
يظن بنفسه شرفا وقدرا   كأن الله لم يخلق سواه [5]

---

(1) شروح السقط: 552/2.
(2) من الفسلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية: 214.
(3) اللزوميات: 490/1 ومثل هذا المعنى وقريب منه ينظر: م.ن: 570/1، 576/1.
(4) م.ن: 628/1.
(5) م.ن: 607/2.

د. اللباس ليس قياسا: فشرف الانسان ليس بلباسه، وانما باصغريه، لا بملبس جميل يرى عليه. ولو كان الأمر كذلك. لكان شرف السيف بجودة غمده وحمائله. لا بمضاء حده فيقول:

وإن كان في لبس الفتى شرف له　　　فما السيف الا غمده والحمائل [1]

العمل في المدينة العلائية:

لعل من ابرز، مايحرك به أبو العلاء، الناس في مدينته نحو العمل، قياسه بمنظور التدين. فهو يعد السعي لكسب لقمة العيش من غير ان يتكل الانسان على غيره، من المؤشرات لافضل التدين [2]. ويدعو للزراعة [3]. ومع توزيعه للسكان وانتشار الناس، تحسبا من الكثرة في بعض الاماكن، ودفعا للمنافسات والمصادمات. الا انه في مجال العمل يفضل التعاون وتبادل المنفعة [4].

فالعمل ليس فيه أي تهاون في جميع الأحوال، بالاعتماد على النفس والتفاؤل، ويضرب مثلا على ذلك بالنملة فيقول:" ظهر الأمل، أقوى من ظهر الجمل... طاقتك خير من ناقتك، ومعونة الله وراءك، سعت النملة على الرملة فكان أثرها ابين من آثار العواذل، في اللب المتخاذل، فاتق الله ولا تخالط الأوشاب" [5].

ولا يعتقد ان يتساوى الناس في تأدية الأعمال، او المهام، ولا بطبيعة العمل. لكن الذي يعني ابا العلاء. ان تأديه أي عمل، مهما كان بسيطا، هو أفضل من الاتكال على الغير. فالرعي في الصحراء. بعد الاتكال على الله تعالى، خير من الحاجة الى الأقارب، حتى ولو كانوا من الدرجة الأولى أو الثانية. ذلك لأن الأمر لايتوقف على اللقمة. وانما لما يترتب عليها من مذلة ومسكنة، ويضطر الرجل المصانعة. فيقول أبو العلاء:" ورعي الرخال، أفضل من الحاجة الى عم أو خال والله

(1) شروح السقط: 526/2، تعليق البطليوسي: ومثل هذا المعنى ينظر. ن:723/2.
(2) ينظر اللزوميات: 151/2، وقد مره ذكره في مبحث الفرد والمجتمع.
(3) ينظر الفصول والغايات: 85 وقد مر ذكره ايضا في مبحث الفرد والمجتمع.
(4) اللزوميات: 398/2 وذكرناه في المبحث الثاني من الفصل الثالث عند الحديث عن المجتمع.
(5) الفصول والغايات: 72 (المتخاذل: الضعيف. الاوشاب: الاخلاط من الناس).

رازق المتكلين. ورأى المرة، أنفع من رأى الإمرة، والله موفق المصيبين، واليرمعة أقل أذية من الإمعة" [1].

وكل ذلك من غير تكاسل، أو قنوط، فيقول:" لا تقنطن أيها الانسان، فان بلغتك عند الله الكريم، والرزق يطلبك، وأنت تبصر الأحلام. لو إن للرزق لسانا هتف بمن رقد، أو يدا لجذب المضطجع باليد، أو قدماً لو طيء على الجسد" [2]. ومرة أخرى يتابع أبو العلاء، متابعة المتقصي الشاملة لهذا الموضوع وكانه لايجد عذرا مطلقا لرجل بدون عمل، مهما كان هذا العمل بسيطا أو متواضعا. فمع ديمومته يستكثر، ويمثل ذلك بشكل معكوس، مع لفظة السوء. فمهما صغرت يكون لها تأثير سيء، فيقول:" العمل وإن قل يستكثر اذا اتصل ودام، لو نطقت كل يوم لفظة سوء، لاسودت صحيفتك في رأس العام" [3].

ويزيد أبو العلاء الأمر وضوحا بهذه الحكاية" عمي أسد من عوام الأسد فأضر ذلك به، فقيل له: لو جئت ملك الأسد فسألته أن يصلك لكان ذلك رأيا لك. فذهب اليه وسرد قصته عليه، فقال لخازنه يجرى له في كل يوم عضوا موريا. فقال الأسد الذي التمس الجراية: اصلح الله الملك، اني كنت اصطاد الوعل أو البقرة الاهلية فلا اكاد ادرك بها الشبع، فأين مني هذا العضو يقع؟

فقال الملك: من اتكل على كسب غيره وجب أن يقنع بقليل خيره.

قال الأسد: صدق الملك، ولا حاجة لي بهذا العضو.

قال الملك: فماذا تصنع؟

---

(1) م.ن: 68 (الرجل المرة: الذي يطيع كل أحد. اليرمعة: الحجر (حجارة). الامعة: الذي يقول لكل رجل انا معك).
(2) م.ن: 13 (البلغة: مايتبلغ به من العيش).
(3) الفصول والغايات: 5.

قال: اجتزئ نبت السحاب، ولا أفتقر الى الملك والاصحاب" [1].

وتعفف الأسد، مع عماه وعجزه، عن عطاء الملك والاصحاب، وهو ما يعنيه أبو العلاء. وكانه لا يريد، ان تكون المدينة مكانا للعجزة، أو كانه يريد القول من لا يعمل لا يأكل في مدينتنا. ويؤكد هذا المعنى قوله:

ويعجبني دأب الذين ترهبوا سوى أكلهم كد النفوس الشحائح
وأطيب منهم مطعما في حياته سعاة حلال بين غاد ورائح [2]

الاسكان في المدينة العلائية:

اطيب ارض الله تعالى، عند العلائيين ماكانت قليلة السكان، فقد تعودوا العزلة والانفراد. وهم مع العزلة لا يبحثون عن اماكن مميزة لإقامة الدور والقصور- مثلما قد يتصور لأول وهلة- لا. وانما لا يكلفون انفسهم حتى نصب الخيام. وعلام هذه الخيام؟ إذا كان الفتى ظاعنا، وعيشه في الحياة مؤقتا؟ فظل الشجرة يغنيه عن الخيام.

والفتى ظاعن ويكفيه ظل السدر ضرب الأطناب والأوتاد [3]

ويفوق ابو العلاء هنا في مثاليته السكانية لسقراط، أستاذ إفلاطون أبي الجمهورية المثالية. الذي كان يتخذ الدن للسكن [4]، الا أن المعري يعتقد ان السكن لا غنى عنه، المتمثل في المكان. مثل دودة القز أو العنكبوت فيقول:" اعوزني فيها مسكن ارز اليه وأستكن وتبوأت الناسجة بين المثاب" [5].

---

(1) احكام صنعة الكلام لابي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي من أعلام القرن السادس- تحقيق محمد رضوان الداية: 209- 210.

(والكلاعي نقل نص هذا الكلام عن كتائب القائف (للمعري) الذي لم يصل الينا) لأن الكلاعي كان يحذو حذو ابي العلاء المعري- ينظر المغرب في حلى المغرب- لابن سعيد المغربي (ت685) تحقيق د. شوقي ضيف:242/1 الهامش.

(2) اللزوميات: 296/1.

(3) شروح السقط: 1003/3.

(4) كما مر ذكره في المبحث الخامس من الفصل الأول.

(5) الفصول والغايات: 47 (أرز اليه: آوى اليه. الناسجة: دودة القز أو العنكبوت والمثاب جمع مثابة وهي المنزل).

فهو يسخر من بناء الدور، ويعجب من تزيينها، فأهلها ذاهبون عنها لا محالة وتاركوها حتما.

أتـذهب دار بالنظـار وربهـا   يخلفهـا عمـا قليـل ويـذهب [1]

أرزاق المدينة العلائية الفاضلة:

يعرف أبو العلاء ان للمال سلطانا على الناس، وله تأثيره على اخلاقياتهم فيقول:

المال يسكت عن الحق وينطق في   بطل، وتجمع إكراما له الشيع [2]

فهو يعلم ذلك ويقدره الا انه في مدينته لابد من الحد من ذلك. فاذا كان حسب الفرد من البلد مسكنه، ولو تحت شجرة فان حسبه من المال القوت الذي يسد رمقه فيقول:

فحسبي من المال قوتي به   وحسبي من البلد المسكن [3]

ولعل من انشط الجمعيات الخيرية في هذه المدينة هي العاملة في مجال التكافل الاجتماعي. لذلك فانه من المستغرب ان نجد قوما هم في نعيم لا يشركون معهم الفقراء:

كيف لا يشرك المضيقين في النعـ   ـمة قوم عليهم النعماء [4]

وبناء على ذلك يتهم بالتقصير في معاني الأخوة من يتخلى عن مساعدة اخيه:

ومن يعدم أخوه على غناه   فما أدى الحقيقة في الأخاء [5]

---

(1) اللزوميات: 89/1 (النضار: الذهب).

(2) م.ن: 120/2.

(3)اللزوميات: 510/2.

(4) م.ن: 60/1 (المضيقين: الفقراء).

(5) م.ن: 65/1 (يعدم: يفتقر) والعقل يوافق ذلك لما يترتب عليه من روح الأخاء والتعاون. ينظر: العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية– نظام الدين عبد الحميد: 71– 72.

لذلك فان التوجيهات العلائية تتضمن عدم إدخار الأرزاق ليوم غد، ولا بعد غد. فكل يوم هو في رزق جديد، وأدخار الجميل والأحساس، أفضل من ادخار القوت عند الله تعالى. فان الحصيلة يوم القيامة مؤكدة. وعليه يجب توزيع المال بلا تردد ولا تأسف فان ذلك أفضل من ادخاره، فالمال ليس ممن يشيعونك باكين:

لا تخبأن، لغد رزقا وبعد غد ... فكل يوم يوافي رزقه معه
وأذخر جميلا لأدنى القوت تدركه ... وللقيامة تعرف ذاك جمعه
فرق تلادك فيما شئت محتقرا ... فليس يذرف خلف النعش أدمعه [1]

وتأسيسا على ذلك، ينبغي اختيار الأفضل، لادخاره يوم القيامة:

" أطعم سائلك أطيب طعاميك، واكس العاري أجد ثوبيك وأمسح دمع الباكية بأرفق كفيك" [2].

لأن الانفاق في المدينة العلائية يعني التملك الحقيقي والعكس صحيح، فان الحرص عليه هو هلاكه:" اذا انفقت الدرهم ملكته، واذا صنته اهلكته، والدينار جمع دين ونار" [3] والثقة مقطوعة:" من ذخر جميلا وجده عند الله" [4] والله لا يضيع الودائع، حاشاه.

ويحتاط أبو العلاء من الجانب الأخر، فقد يقوي سلطان المال في النفوس فيأتي الزجر العلائي:" من بالشح أمرك، وعلى الدنيا أمرك، اخالقك الذي صورك، كلا وعظمته لقد انذرك" [5].

فما هو المطلوب يا ابا العلاء اذن؟" حسبي ماقات، وبلغ الميقات، أن أقمت فالكفاية، وأن نقمت، وأن سافرت فالراحلة والزاد، ولا أزاد. ما أصنع بنعم كباب" [6]. وعند ابي العلاء" صاحب الدرهمين. غني عند صاحب الدرهم" [7]. وهو

(1) م.ن: 134/2.
(2) الفصول والغايات: 49.
(3) الفصول والغايات: 521.
(4) م.ن: 7.
(5) م.ن: 5.
(6) م.ن: 45 (كباب بالضم: الابل الكثيرة).
(7)رسائل ابي العلاء: 29.

يدعو الى التكافل الاجتماعي المثالي للمشاركة باللقمة. فأي اشتراكية [1] هذه يا ابا العلاء يرحمك الله، فيقول:

لـو كـان لـي او لغيري قـدرة انملـة فوق التراب لكان الأمر مشتركا [2]

وإلى أبعد من هذا التعاطف حيث يقول:

ان شـقا يلـوح في بـاطن الـسبر ة قسـم بـيني وبـين الضـعيف [3]

ومثل هذه الدعوات نجدها مبثوثة في لزومياته [4]. فضلا عن تأكيده على حق الزكاة [5]. ومن المسوغات المثالية اللطيفة للإنفاق، هي الراحة التي يحصل عليها الذي ينفق أمواله حيث لا يخاف على الأموال من السرقة:" لافضة له فالقلب فضض، ولا ذهب يخافه أن يذهب ولا فزر يحترس ويفترس. أبل بالعبادة ليس له ابل ان صاحب الذود غير أمن من الخراب" [6]. على انه يضل على وعي كامل ويلجأ الى سلطان الدين والتذكير بالله للمجاهدة على انفاق المال فيقول:" لله الغلب، واليه المنقلب... علم ما وراء النجب، الفاضل موجب والفاجر منتخب" [7].

ومن الواضح ان هذا التحفيز للذين يملكون الأموال لأجل انفاقها. أما الذين لا يملكون شيئا وهم يستمعون الى هذه الدعوات. فهم في شقاء على ما يبدو:

أنـا الشـقي بـأني لا أطيـق لكـم معونـة وصـروف الـدهر تحتـبس [8]

---

(1) الاشتراكية بمفهومها العام مبدئيا تعني الدعوة الى التضامن والمشاركة بين البشر بدلا من التطاحن والفرقة بهدف الحد من الاستغلال والظلم وذلك بالتغييرات في النظام الاجتماعي لتحقيق التكافل وبهذا المضمون نجدها في الأديان خصوصا الاسلام. ينظر علم الاجتماع وعلم النفس والأنثربولوجيا: 241/1.

(2) اللزوميات: 229/2 وفي الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وسلم): (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) صحيح مسلم: 9/1.

(3) م.ن: 170/2.

(4) ينظر اللزوميات: 408/2 و 514، 523، 571، 588، 630.

(5) م.ن: 190/1. وكل ذلك لم يصل الى مرتبة الذين امتدحهم الله (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر: 9.

(6) الفصول والغايات: 85 (فضض: المفترق. نزر: القطيع من الغنم. يحترس: يسرق أبل: الرقيق بالعبادة وغيرها.

(7) م.ن: 4 (النجب: قشرة الشجرة. موجب: يأكل الوجبة. وهي أكلة واحدة في اليوم والليلة. منتخب: من الانتخاب- وهو الاختيار والانتقاء، يريد انه يتخير الأطعمة وينتقيها لنهمه).

(8) اللزوميات: 32/2.

وبنفس طويل لا يعرف الملل او الكلل لتحقيق الهدف الذي يسعى اليه من شمولية التوزيع للمعونات، فهو لا يستصغر شيئا. فالحرمان اصغر منه فيقول:

فأمنح ضعيفك إن عراك ولو نزرا، ولا تصرفه بالكهر [1]

فأي شيء هو أفضل من عدمه. وان طلب المساواة والعدالة والتكامل ليس على حساب اللطف والانسانية. فهو كما يتضح ينهي عن العبوس بوجه الذي يطلب المعونة. وعلى وجه التحديد ان يساهم الانسان في عطائه، ولو بمقدار حبة الخردل فيقول:

اذا طرق المسكين دارك فأحبه قليلا ولو مقدار حبة خردل
ولا تحتقر شيئا تساعفه به فكم من حصاة أيدت ظهر مجدل [2]

وفي حساسية مفرطة يخاطب المرأة عندما تظهر ريح لقدرها بأن تبعث الى جارتها القريبة قليلا منه:

متى نشأت ريح لقدرك فابعثي لجارتك الدنيا قليلا ولا تملي [3]

ومع هذه الحساسية ثمة موازنة. فمن هو أولى بالرحمة؟ انهم الرحماء في بداية أمرهم، الذين كانوا يعطفون على الضعفاء. لكن الدنيا والأيام تنكرت لهم وأصبح حالهم مثل حال اولئك الضعفاء فهم:

أجدر الناس في العواقب في الرحمة قوم في بديهم رحماء [4]

وفي المدينة العلائية تحفظ الناس فيها من تكوين العلاقات، الا ان الضيف القادم له منزلته من التعزيز والتكريم. فصوت ابي العلاء سجله الدكتور طه حسين وهو ينادي بشأن الضيوف:" أحسن اليهم مااستطعت، وقدم اليهم ماوجدت، لاتصغر على الأحسان حقيرا... فحسبك من الأحسان الى الجائع انك اخمدت

---

(1) م.ن: 596/1 (بالكهر: عبوس الوجه) ومثله م.ن: 165/2.
(2) م.ن: 320/2 (مجدل: القصر).
(3) اللزوميات: 319/2.
(4) م.ن: 59/1 (في بديهم: في اول امرهم، وهو مسهل بدىء).

جوعه، وأطفأت سغبه. فأما الذاذه بألوان الطعام المختلفة الطيبة فشيء فوق الحاجة تتحين له الفرصة، وتتربص به الطاقة والمقدرة" [1].

لا تسأل الضيف ان اطعمته ظهرا ... بالليل هل لك في بعض القرى أرب
فان ذلك من قول يلقنه ... لا أشتهي الزاد وهو الساغب الحرب
قدم له ماتأتى لاتؤامره ... فيه ولو انه الطرثوث والصرب [2]

إن ابا العلاء عندما يحث على التكافل، فبدون تردد، ويقول على سبيل المثال: فرق تلادك، اطعم، قدم، امنح، اجعل، اقسم وهكذا.

وتحسبا لظهور حالة تمثل خروجا على توجهات المدينة في هذا المجال فانه يقول:

اذا أشرت اكف من رجال ... فما أولى انامله م باشر [3]

فيقول: اولى بهذه الكف ان تنشر بمنشار لبطرها [4].

لذلك فهو يعد من اقبح الأشياء- صراحة- اذا اقدم الجائع على أراقة الدماء في سبيل الحصول على لقمته فيقول:

فان من اقبح الأشياء يفعله ... شاكي المجاعة يوما ان يريق دما [5]

فان التكافل الذي يدعو اليه أبو العلاء، مع العفة، وحفظ ماء الوجه. واذا كان يوصي الأغنياء وعامة الناس بالتزهد، وبالأكتفاء (بالوجبات)- وهي الأكلة الواحدة ليوم وليلة- بدلا من الامتلاء من الطعام فيقول:" واستكف الكظة بالوجبات" [6] فهو مع الفقراء يريدهم ان يكتفوا بما في أيديهم عن طعام الناس

---

(1) صوت ابي العلاء: 131.

(2) اللزوميات: 93/1 (الساغب: الجائع. الحرب: الذي اشتد غضبه. الطرثوث: ضرب من النبت يأكل والصرب: اللبن الحقين الحامض.

(3) م.ن: 555/1 (اشرت: بطرت. يأشر: النشر بالمنشار).

(4) ينظر حول فكرة الموضوع: الاسلام عقيدة وشريعة- محمود شلتوت:102.

(5) اللزوميات: 425/2.

(6) الفصول والغايات: 150 (الكظة: الأمتلاء من الطعام. بالوجبات: الأكلة الواحدة في اليوم والليلة).

فيقول" ولتغنك اخيختك عن طعام الناس، فالدنيا فانية والنفس لاتأمن من التبعات" [1].

الرفق بالحيوان:

لقد بالغ أبو العلاء، في دعوته للرحمة بالحيوان، فالحيوانات آمنة في المدينة العلائية، ويرى ان الطير احق من الأنس بشربة الماء فيقول:

تصدق على الطير الغوادي بشربة   من الماء وأعددها أحق من الأنس [2]

ويرى أبو العلاء ان الأجر في الانسان والحيوان على حد سواء [3] ويدعو للرفق بالحيوان بأشكال مختلفة [4]. أما عزوفه عن أكل اللحوم فهو أشهر من أن يعرف به، ولعل من رقيق كلامه قوله:" أيها المسكين... ماأنت وحمامة... قد رضيت من الأوطان بغصن في غنية واد، مشيفة على صغيرين عجزا عن المراد... فهي تنقل الحبة الى جيبي الفؤاد، فأمض لحاجتك ولا ترمها" [5].

وهي دعوة مثالية لن تجد صدى ولا قبولا عند الأخرين فيقرر:" وكل ذلك بقدر من الله. وليس ابن ادم فيما فعله بالذميم، انما اجري من الشيم الى ماهو مباح حل، واطلقه للعبد الأل" [6] فان الله سبحانه وتعالى حلل هذه الطيبات. يعرف كل ذلك، والانسان ليس بملوم.

والمعري اكثر من غيره يعرف ان العرب كانوا يأكلون كل شيء فيقول:" ومشهور عند رواة الأخبار طوائف من العرب تأكل الفأر... وقيل لبعض الأعراب: ما تقول في لحوم الحيات؟ قال: انا منها بين شواء وقدير، وما أكره نيئها ان اعجلني

(1) م.ن: 148 (اخيختك: حساء رقيق يبرق بزيت يقال برقت الطعام بالزيت والسمن اذا صببت عليه منه شيئا يسيرا).
(2) اللزوميات: 40/2.
(3) م.ن: 554/1.
(4) ينظر اللزوميات: 468/1،412،338،266،264،261 و 160/2، 332، 522، 617،587،558.
(5) الفصول والغايات: 260 (الغينة: شجرة كثيرة الأغصان والورق. ومشيفة: مشرفة).
(6) الصاهل والشاحج: 147 (الشيم: الطبائع: الأول: الاله).

سفر (... واي شيء من أحناش الارض لم تنزل به من القوم شصية (انهم اما أكلوه إما قتلوه" [1].

وبعد فان الذي يقف على اساليب التعامل بين الناس في المدينة العلائية يستنتج بوضوح طريقتهم في الحياة، يزيد ذلك وضوحا قول ابي العلاء الذي يشخص صورة المواطن في مدينته:

أقيم خمسة وأصوم الدهر الفه — وأدمن الذكر أبكارا بآصال
اذا تنافست الجهال في حلل — رأيتني من خسيس القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهر مأثره — أخاف من سوء أعمالي وامالي
وأعبد الله لا أرجو مثوبته — لكن تعبد إكرام وإجلال
أصون ديني عن جعل أومله — اذا تعبد اقوام بأجعال [2]

والايمان بحقيقة الموت تأتي بالمرتبة الاولى، وعندما يموت الانسان فمثله مثل الثوب البالي الملقى على الأرض:

وسيان ابن آدم حين يدعى — به للغسل والهدم السحيب [3]

وابو العلاء عندما يضع الكثير من قواعد تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع، فان الأمر يمثل وجهة نظره فيقول:

لو ان كل نفوس الناس رائية — كرأى نفسي تناءت عن خزاياها
وطلقوا هذه الدنيا فما ولدوا — ولا اقتنوا، وأستراحوا من رزاياها [4]

ولكنه مع مواجهة الحياة وجها لوجه، فان مايتمناه في أحسن الأحوال قوله:" ياابن ادم اذا اصبحت أمنا في سربك، عزيزا في رهطك ومعشرك وغبطك صديقك، اوابن عمك، ورأيت النماء في مالك وولدك، نماء يوجب عظيم بهجتك،

---

(1) م.ن: 152 (القدير: اللحم المطبوخ. أحناش الأرض: ماصيد من هوامها وصغار دوابها.

(2) مرآة الزمان تعريف: 154 لاتوجد في الدواوين.

(3) اللزوميات: 101/1.

(4) م.ن: 619/2.

فانب عند ذلك الى ربك، واصفق بيدك على يدك، وابك على نفسك بدموع اسراب"[1]. تلك اذن نظرة هؤلاء القوم الى الحياة الفانية. فالدنيا محطة مؤقتة. وفي احسن احوالها مأكل ومشرب ومنكح. وما اراد المعري الا النصيحة:" علم ربنا ماعلم أني الفت الكلم آمل رضاه المسلم، وأتقي سخطه المؤلم فهب لي ماأبلغ به رضاك من الكلم والمعاني الغراب"[2].

المدينة العلائية. والمدينة الفاضلة للفارابي:

لاأريد ان اخضع المدينة العلائية للمقارنة بشكل متعسف، وانما اشير الى فروق بين هذين المفكرين وتعرف مايرتبط بينهما حقاً.

ان الفارابي (ت339) قريب عهد ومكان من ابي العلاء المعري.واذا كان الفارابي، قد آثر حياة الزهد، وكان باستطاعته الحصول على الذهب والضياع، واستغنى عن ذلك. وفضل العزلة ولم يتزوج.

فقد سلك أبو العلاء هذا النهج. وزاد عليه فهما متشابهان[3].

وافترقا بأن الفارابي، جالس سيف الدولة الحمداني، وتقرب من قصور الحكام، على العكس من المعري الذي اعتذر، وابتعد لمزاجه الذي لا يتلاءم مع هذه الأجواء.

والفارابي في كتابه (المدينة الفاضلة)، يمثل رد الفعل للواقع الذي كان يرفضه. والمدينة العلائية تبدو كذلك.

---

(1) الفصول والغايات: 57.

(2) م.ن: 62.

(3) وكان الفارابي حاد الذهن ايضا، وبرع في العلوم المختلفة حتى عد من ابرز فلاسفة الاسلام ولقبوه بالمعلم الثاني. وقد كان لقب ارسطو المعلم الأول الذي اعجب به - الفارابي وشرح كتبه. واشتهر الفارابي عند كتاب الغرب والشرق بصاحب المدينة الفاضلة. ينظر الفلسفة السياسية عند ابن ابي الربيع: 54.

والفارابي في كتابه المدينة الفاضلة، كان يقصد الى تكوين المجتمع الصالح. وهذا المجتمع، قد فكر فيه من قبل افلاطون [1]، ومجموعة من فلاسفة اليونان ولا يمكن ان نغفل ان الفارابي، اراد انشاء مدينته في ضوء مبادئ هؤلاء الفلاسفة [2]. ولكن بروح اسلامية. وابو العلاء لم يقصد الى تأليف كتاب للمدينة، ولم يضع منهجيه للموضوع. لكنه يدعو الى تكوين مجتمع صالح من نوع المجتمعات المثالية. فالفارابي تقدم بدعوة مكتوبة. اما أبو العلاء فكانت دعوته صيحات في واد. رددها ادبه (ما أنشأ من شعر ونثر) قمت بتسجيلها كما تقدم.

والفارابي الذي بدأ كتابه بتلخيص لمبادئه الفلسفية التي يؤمن بها ويريد ان يقيم عليها مدينته، لم يقابله أبو العلاء في ذلك، ولكنه كان يشير لأمنياته لو يأخذ الناس بآرائه، مع شدة تواضعه المبالغ فيه عند مخاطبة الأمراء والأصدقاء فالأمر يختلف بالنسبة الى المعري الذي أحيط بدول تتقصده، فهو يخشى بطشها، فلجأ الى ما يعرف ببلاغة المقموعين في مشروعه لأفكار المدينة.

يبدأ الفارابي بمقدمة طويلة في خمسة وعشرين فصلا عن الالهيات، من أصل سبعة وثلاثين فصلا. ويكتفي بثمانية فصول في حديثه عن المدينة [3]. وشرح الفارابي في كتابه شؤون المدينة، وما ينبغي ان تكون عليه في مختلف فروع الحياة، بما في ذلك الكلام على (الله جل جلاله) وطائفة من صفاته، والنفس والعقل والمجتمع والسياسة والاخلاق والارادة وغير ذلك من الموضوعات.

اما أبو العلاء فلم يجمع هذه الآراء ليؤلف المدينة، فكانت مهمتي في جمعها وملاءمتها، من غير قسر ولا تعسف في اخضاعها لهيكلية مرسومة للمدينة او مخططة مسبقاً. فكان البحث في ادب المعري اولا. واستخلاص المناسب منه لتأليف المدينة بحدود البحث. وتم تجاوز موضوعات نجد الباحث فيها كحاطب ليل مثل: النجوم والجن والنفس والروح والقبر والبعث والعالم الأخر وما وراء الطبيعة... أما

---

(1) صور افلاطون في جمهوريته طبائع الناس وصلاتهم الاجتماعية ثم استطرد الى نظم الحكم من خلال تعريف العدالة وعلاقة الدول بالمواطن وقسم الناس الى طبقات وتحدث عن السلطة السياسية واختصاص الفلاسفة ثم تحدث عن الشعر والفنون وغيرها. ينظر افلاطون– نظام الحكم– د. محمد مظهر سعيد: فصول الكتاب العشرة.

(2) المثل العقلية الافلاطونية– لمؤلف مجهول– حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي: 12.

(3) ينظر تاريخ الشعوب الاسلامية– بروكلمان: 93/2. وينظر من افلاطون الى ابن سينا– جميل صليبا: 61 وينظر الفارابي– سعيد زايد: 1.

الحديث عن الله جل جلاله. فقد حسمه أبو العلاء بالإيمان والتسليم المطلق، ولم يرغب في الحديث عن الذات الإلهية [1]. وكانت الروح الاسلامية واضحة في المدينتين [2].

تحدث الفارابي عن حاجة الانسان إلى الاجتماع، والتعاون، وقرر ان الانسان اجتماعي بطبعه من جهة، ومضطر الى هذا الاجتماع اضطرارا لسد حاجاته من جهة اخرى. فمن اجتماع الناس بعضهم ببعض تنشأ المجتمعات المختلفة. وهذه المجتمعات ترجع الى قسمين: مجتمعات كاملة وهي ما يتحقق فيها التعاون الاجتماعي بوجه كامل. ومجتمعات ناقصة، وهي مالا يتحقق فيها التعاون. والمجتمعات الكاملة ثلاث مراتب: (العظمى) وهي مرتبة اجتماع العالم كله في دولة واحدة، وتحت سيطرة حكومة واحدة. (والوسطى) وهي أقل كمالا. اجتماع امة في جزء من المعمورة تحت سيطرة حكومة مستقلة. (والصغرى) وهي أقلها جميعها في الكمال اجتماع اهل المدينة في جزء من الأمة تحت سلطة رئيس. وهناك المجتمعات الناقصة: القرية، الأسرة. فمن هذه المجتمعات يتكون سلم متدرج. في قمته اجتماع العالم الانساني مندمجة شعوبه بعضها في بعض ومكونة لدولة واحدة، وفي ادنى درجة منه المجتمع العائلي [3].

ويبدأ المعري من الفرد، فيرى أن الرجل مع الرجل عصبة [4]. ويحث على التعاون بين فئات المجتمع وبين البادية والحضر– كما تقدم– الا انه يختلف تماما

---

(1) وهذا ما يليق بالحضرة الالهية: ﭼ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الفاتحة: 5 والوحدانية لله هي الاساس للحياة والحيد عنها ضلال وضياع. ينظر جاهلية القرن العشرين– محمد قطب: 247. والله يقول (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) سورة البقرة– الآية: 163.

(2) حيث لا يوجد شيء الا وفيه تشريع. فالإنسان لم يخلق ليترك سدى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) سورة القيامة– الآية: 36 والاسلام كله خير للبشر (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) سورة طه– الآية: 123 لذلك نجد لمعظم أفكارهما افتراضات في الشريعة الاسلامية.

(3) ينظر فصول من آراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي– شرح وتعليق د. علي عبد الواحد وافي: 14– 15.
ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا المفهوم نجده معكوسا عند ارسطو (حيث يعد الاسرة هي نواة الجماعة وإذا أرادت ان تحقق حاجات اخرى، فوق الحاجات اليومية ارتبطت باسر اخرى فحصلت القرية. فاذا تشعبت حاجات القرية فتطلعت الى قرى اخرى غيرها تتبادل معها المنافع والمصالح نشأت الدولة او كما تسمى دولة– المدينة) ينظر من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية: 211.

(4) تقدم ذكر ذلك في مبحث الفرد والمجتمع. ومن المفيد ان نذكر هنا ان افلاطون (يجرد الفرد من قيمته الفردية ليجعل منه اداة مسخرة لخدمة الدولة. ويصهر كيانه في جهازها العظيم) ينظر من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية: 212 (ولتحقيق هذا يجب ان يفصل الفرد منذ ميلاده عن والديه ويسلم الى الدولة) ينظر – افلاطون– عبد الرحمن بدوي:221.

عن قصد الفارابي. فالمعري يحاول توزيع الناس على أكبر قدر ممكن من المساحة ابتعادا عن تكثيف السكان. لأنه يرى ان الكثرة تؤدي الى المنافسات والصدامات ثم الفساد. ولعله يرى ان الناس متباعدون، وهم في سلام أفضل من تقاربهم واجتماعهم مع الفساد والخصام. لذلك فهو لم يدع الى تقسيمات للتجمعات السكانية [1].

والمدينة الفاضلة في نظر الفارابي هي ما تتحقق فيها السعادة للأفراد على أكمل وجه. ولا يكون ذلك الا اذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة، واختص كل منهم بالعمل الذي يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها بطبعه [2]. والفلاسفة بلا شك في جمهورياتهم المثالية يبتغون السعادة للبشرية، وكذلك أبو العلاء. الا ان ابا العلاء لم يتحدث على خصوصيات الأعمال بدقة بأن يمارس الانسان العمل المهيأ له بطبعه لكنه يرى العمل شرطا اساسا للإنسان بأي ظرف. وجعله أفضل حالات التدين وحارب الاتكالية التي يمقتها وكما أشرنا لكل ذلك في المدينة العلائية في الحديث على العمل.

ومن الخصائص المشتركة بينهما التي تتبين لنا من خلال تحليلنا. هي انهما يشعران في أعماق نفسيهما أزمة مجتمعها. ولكن كل منهما حسب ظروفه واتجاهاته. فقد نقد كل منهما الحالات السائدة في المجتمع. ولعل الدعوة للإصلاح اكثر جلاء في نفس ابي العلاء الذي يقترح البدائل من خلال نقده ومن خلال عدم الرضا عن المجتمع. وتمنى ان ينقذ البشرية من تلك الأوضاع، التي كانت في شر منازلها.

بينما تناول الفارابي في دراسته المجتمع من العائلة وانتهاء بالدولة. وعبر عن مدينته بوضوح، وافكاره أمدت لنا العون في سعينا لتكوين المدينة العلائية.

وتتفق وجهات النظر حول أهمية التعاون الذي يعده الفارابي افضل الكمالات لتحقيق السعادة خاصة التعاون الفكري. والتعاون في مدينته لايلزم ان يكون على الخير، بل يمكن ان يكون على الشر. لان كلا من الخير والشر يرجع الى

(1) وكذلك كانت نظرة ارسطو حيث خالف افلاطون (لأنه رأى ان نظام المدينة يختلف باختلاف الزمان والمكان) ينظر الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية: 213.

(2) ينظر آراء أهل المدينة الفاضلة: 16.

الارادة والاختيار، وتعاونهم على الخير يتمثل في تعاونهم الإرادي على تحقيق السعادة لجميع الأفراد. فتحقق السعادة على هذه الصورة في اجتماع المدينة [1]. ويشبه ذلك بالبدن الصحيح الذي يتعاون اعضاؤه كلهم على حفظ حياته. وكذلك يحصل الشر بالإرادة والاختيار واذا اجتمع أهل المدينة على الشر كانت المدينة ضالة [2].

وتميز أبو العلاء في هذا المجال، بدعوته لعمل الخير دون ان ينتظر عليه ثوابا، ولأنه خير وكفى وأن يتجنب الشر لأنه شر وكفى، ويعد ذلك مبدأ مستمرا. واذا عجز الانسان عن فعل الخير فعليه ان لا يأتي بشر. فترك الشر، شرط أساس [3] كما وضحنا ذلك مفصلا في المدينة العلائية. وفي مجال التعاون الفكري يقابله لدى المعري، المحاربة للخرافات والدجل حتى تظل المدينة خاضعة للتفكير الصحيح.

وأهم وظائف المدينة وأكبرها خطرا، في نظر الفارابي هي وظيفة الرياسة. وذلك لأن رئيس المدينة هو السلطة العليا. التي تستمد منها جميع السلطات. وهو المثل الأعلى الذي ينتظم جميع الكمالات. فهو مصدر حياة مدينته، وقوام نظامها. ومنزلته من سائر أفرادها، كالقلب من أعضاء الجسم. بل ان منزلته منهم كمنزلة الله عز وجل من سائر الموجودات. ولذلك لا يصلح للرئاسة الا من يمتلك صفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن ان يصل اليه الكمال، في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين.

فالرئيس في نظر الفارابي هو الانسان الذي خلق للرياسة، فهو امام الناس وخليق بمثله ان يكون رئيسا لمختلف المجتمعات الكاملة الفاضلة. فيزيد فيما يتعلق بالجسم مثلا جودة الفهم والحفظ والذكاء. ومع العلم محبا للتعلم. وفي التعبير حسن العبارة في حديثه. وفي مجال الاخلاق، غير شره في المأكل والمشرب والمنكح واللعب. وغير ذلك من صفات، يجعل اجتماعها في الانسان أمرا عسيرا. فلذلك لا

---

(1) ينظر الفارابي فيلسوف عظيم– بابا جان غفورون– الفارابي والحضارة الانسانية: 232.
(2) ينظر آراء أهل المدينة الفاضلة: 13– 17.
(3) ان الانسان مسؤول عن أعماله (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا) سورة آل عمران– الآية: 30. فالإسلام يدفع لعمل الخير طلبا للجزاء.

يوجد من فطر على هذه الفطرة الا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس. فضلا عن الصفات المكتسبة الأخرى منها: الحكمة وحفظ الشرائع والسنن، وجودة الاستنباط، وجودة روية، وإرشاد، وجودة اثبات ببدنه في مباشرة اعمال الحرب [1].

" وعندما يجعل الفارابي من الرئيس في المدينة الفاضلة قطب الرحى، وعندما يرفع منزلته بالنسبة للمجتمع الى منزلة السبب الأول بالنسبة لسائر الموجودات، فهو انما يعبر عن الرغبة قيام حكم مركزي يسود فيه العقل، ويكون قادرا على الامساك بجميع السلطات وبالتالي توجيه المجتمع العربي وتوحيده فكريا وسياسيا واجتماعيا" [2].

وأهم ما يستقيم به أمر المدينة، وأهم ما يجب توافره في رئيسها هو (الحكمة). ويفسر الفارابي الحكمة باتحاد العقل الفعال، عن طريق القوتين الناطقة والمتخيلة. فالحكمة عنده هي الصفة التي لابد من توافرها في رياسة المدينة، والتي لا يمكن يسد غيرها مسدها. فاذا ابتعدت الحكمة عن المدينة. تعرضت للهلاك. وإذا اوتيت الحكمة مدعمة بالصفات الأخرى فقد اوتيت خيرا كثيرا.

وهنا يختلف أبو العلاء مع الفارابي، فأبو العلاء يدعو الجميع بلا استثناء للعزوف عن السلطة– كما مرّ ذكره في المدينة العلائية– ، ولعل مرد ذلك ما كان يقف عليه من صراع حول السلطة، التي كانت السبب وراء سفك الدماء وقطع الرقاب. ولاعتقاده ايضا انه لا يمكن تصور جماعة بدون قيادة، فقد وضع مواصفات للحاكم الذي يقع عليه اختيار الرعية – أهل الحل والعقد– وهذا يجعل الأمور أكثر استقرارا من وجهة النظر الفارابية التي تعقد الاختيار وتجعله صعبا.

فأبو العلاء يريد ان يرقى بالواقع الى حالة أفضل. عندما يريد من الرئيس ان يكون بمثابة الخادم للقوم. في الوقت الذي يريد الفارابي ان ينزل المثالية الى الواقع. فما كان باستطاعة ابي العلاء الذي ينتقد الرئاسة بعنف ان يجعل منزلة الرئيس كمنزلة الله– بلا تشبيه عز وجل– من سائر الموجودات مثل ما ذهب

---

(1) ينظر آراء المدينة الفاضلة للفارابي: 18 وينظر خصائص الفكر السياسي في الاسلام وأهم نظرياته– د. محمد جلال شرف ود. علي عبد المعطي محمد (دار الجامعات المصرية– الاسكندرية 1975): 260.

(2) مشروع قراءة جديدة لفلسفة الفارابي السياسية والدينية– د. محمد عابد الجابري– والحضارة الانسانية: 380.

الفارابي. لأن ابا العلاء كان يأخذ بشدة على الذين يألهون الحكام. فيبدو انه يستبعد مثل هذا التمثيل للرئيس. لذلك فهو لا يشترط الحسب والنسب في الحاكم لأنه يميل ان تكون الرعية هي مصدر السلطة، لأنها اختارت الحاكم. ولا يعد ذلك تشريعا له، وانما تكليف لخدمة القوم فهو من أشقى الرجال.

ولم يرتب أبو العلاء المواصفات للحاكم ولكنه في النتيجة يشترط جملة صفات هي النسك والرشاد والتقوى والعدالة، والمساواة، والابتعاد عن الظلم، والتواضع والحلم والكرم والذكاء والعفاف والاخلاق والشورى، والهيبة والشجاعة والقدرة على مواجهة الاعداء، ويبني لنفسه المجد والفخر، وان يهتم بالعلم والأدب والقدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة والموفقية في اختيار مساعديه، وتحقيق الامان للرعية وحمايتهم من الخرافات والتنجيم. ويرى ان في الحاكم" ضروبا من فضائل متباينات لا يجتمع مثلها في الادميين" [1].

وعندما استخرجت هذه الصفات،أعدها مقابل الصفات التي حددها الفارابي على أية حال. الا ان ما تجدر الاشارة اليه ان الفارابي حدد هذه الصفات لحاكم يرسمه في خياله. أما أبو العلاء فكان يستقرئ الواقع ويستشهد بحالات يعدها نموذجا فهو أقرب الى الواقعية.

ويرى الفارابي ان افراد المدينة لا تتحقق سعادتهم، ولا تصبح مدينتهم فاضلة، الا اذا ساروا على غرار رئيسهم وأصبحوا صورة منه. وأن الرئيس لا يعد مؤديا لرسالته، الا اذا وصل بهم الى هذا المستوى الرفيع. ويظهر ان مدينة الفارابي يرأسها انسان لا تقل منزلته عن منزلة الأنبياء والملائكة ويتألف افرادها من قديسيين. ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها في عالمنا الدنيوي.

بيد ان الفارابي لا ينظر الى مدينته ورئيسها، نظرته الى اشياء ممكنة التحقيق، بل يرى انه من الممكن ان تتحقق. ومن الممكن من وجهة نظره ان يصل الانسان الى مستوى الامتزاج بالعقل الفعال. وان كان نادرا ومقصورا على افراد قد زكت نفوسهم، ووصلت ارواحهم الى ارقى درجات الصفاء. ويساعد الفرد للوصول

(1) الصاهل والشاحج: 376 وقد مر ذكره في المدينة العلائية. وما تقدم من مواصفات الحاكم هي خلاصة لما قدمناه في مبحث الحاكم من الفصل الثالث كما مر.

الى هذه المنزلة، بجانب ما يزوده الله به من استعداد فطري، هو عكوفه على التأمل والتفكير، فبذلك تتهذب نفسه، وتتخلص من ادران المادة والجسم، ويرقى الى عالم العقول، فيمتزج ويغمره نورها الوهاج.

ويرى أبو العلاء ان العامة على دين السلطان. واختيار الحاكم في اعتقاد الرعية هو اصلا ليحقق لهم المستوى المثالي. فمن وجهة نظر ابي العلاء. ان الرعية تحمل الحاكم الواجبات. واذا لم يشترط في الحاكم مواصفات تقابل مواصفات الفارابي، فانه يعلم ان في ذهن اهل الحل والعقد، ان الحاكم ينبغي ان يكون افضل من الرعية – وكما أشرت لهذا التفضيل في مقدمة مبحث الرعية من المؤسسة العلائية – الا ان ابا العلاء لا يعفي الرعية من المسؤولية. وكانه يريد القول كيفما تكونوا يول عليكم. وكيفما يول عليكم تكونوا. ومن باب الفرض جدلا. فعندما يتوافر الحاكم بالمواصفات التي يقررها الفارابي فان ابا العلاء على يقين ان الرعية لن ترضى عن هذا الحاكم أيضا وكما تقدم ذكره.

وتأسيسا على ذلك فان الفارابي على ما يبدو قد أحسن الظن الى حد ما بالأفراد. أما أبو العلاء فأساء الظن تماما بالبشر، فهو غير متفائل مثل الفارابي. لذلك دعا الى تباعد الناس وكانه يرى ان الوقاية من الحرائق خير من تعلم المهارة في اطفائها.

وأراد من الرعية لا تشغل نفسها بالحاكم. ماذا يأكل؟ وماذا يشرب؟ ودعا الى الابتعاد عن عشرة الرؤساء. ولا يحبذ تهاني الطفوليين للحاكم اذا لم يكونوا من علية القوم. فيما حبذ الدعاء له. وهو بهذا يتجه نحو الواقعية بشكل اكثر عندما اراد للرعية ان تعرف المقامات وتنصرف الى اعمالها، وهي ليست دعوة لعزلة الحاكم فأبو العلاء، يكره الرئيس المحجوب عن الناس، ودعا الى محاربة الحاكم الظالم، وعدم مؤازرته، أو الاصابة من طعامه، ويؤيد الانتفاضة نحو معارضته.

وبعد فانه يمكن القول. ان ابا العلاء لم يرسم في ذهنه مثل هذه المنزلة للحاكم، ومثل هذه الاخلاق للأفراد التي وضعها الفارابي في مدينته فالمعري حين آيس من تحقيق مدينته، فانه دعا الى زوال المجتمع الذي لا يشكل تلك المدينة. وجعل الدنيا بأسرها محطة انتقال مؤقتة، متشوقا لحفرة يقبر فيها.

وجعل الفارابي اتصال الأفراد بالسلطة مختلفين متفاضلين في فطرتهم وما هيئوا له. ومن ثم اختلفت مراتبهم وتباينت درجاتهم. فهناك افرادا يتصلون بالرئيس مباشرة، ويتلقون منه الاوامر بدون واسطة ويرأسون آخرين في المرتبة الثانية.. وهكذا وهو يمثل هذه الوظائف مثل اعضاء الجسد في الأهمية، فربما هناك من الأعمال الخسيسة وأن كانت مهمة مثل المثانة والأمعاء السفلى في البدن وهكذا(1).

وابو العلاء يعلم ان للبشر قدرات محدودة، فيقول" ان فراسة العاقل ربما تخيب" (2). وجعل القادة على مراتب في الحسم والأداء. لكنه يقرر انه على الحاكم ان يختار مساعديه من المقربين الثقات، ويكونوا اعوانا على نصرة الحق (3). ليكونوا عينه الباصرة لخدمة الرعية.

والعقل كان القاسم المشترك من حيث الاهمية، والمكانة عند الفارابي والمعري. فهما يلتقيان من حيث المبدأ سواء باتجاه الحكمة كما يريد الفارابي، ام جعله اماما ومرشدا على الدوام وفي كل شيء كما يريد المعري.

فالعقل الذي منحه الفارابي الثقة الكاملة عند الامتزاج به، وتصل الارواح به الى ارقى درجات الصفاء. فان ابا العلاء لا يعول عليه احيانا ويراه عاجزا— كما أوضحنا— مع كل الأهمية التي يعطيها للعقل. عندما ينزله منزلة النبي، فهناك مشكلات يقف العقل امامها عاجزا" فمن الواجب تركها حيث هي، فليست في متناول التفكير الانساني. فإنما قصارى العقل ان يجد ما وسعه الجد، وان يفهم ما استقام له الفهم، وان يدبر اموره في هذه الحياة كما تستقيم له الظروف فاذا انتهى الى حيث لا يطيعه، وقف وقفة المتواضع الذي لا يطغى ولا ينكر ولا يتورط في هذا الانكار العنيف، الذي يثير اليأس والبؤس والقنوط" (4).

---

(1) وتحدث الفارابي عن عالم الانسان المادي، وعن الحيوان والنبات والأجرام السماوية والمواد الأولية المشتركة الماء والهواء والتراب والنار. وهي ليس من هدف البحث الخوض فيها.

ومثل هذه الموضوعات تحدث عنها المعري ايضا وأفاض في اللزوميات.

(2) ينظر موضوع الذكاء في مبحث الحاكم.

(3) كما ورد في موضوع الحاكم – المبحث الثالث.

(4) من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية: 593 – 594.

لذلك فان ابا العلاء يرى – على ما يبدو – ان موضوع الجمهوريات المثالية ليس ممكنا. كما تصور افلاطون والفارابي من بعده. أو كما اعتقدا. فأفلاطون رغم مغالاته كان" ينظر الى هذه المدينة الفاضلة بحسبانها شيئا ممكن التحقيق"[1]. الا انه تراجع فيما بعد، وترك احلام الجمهورية" واستعاض عنها بمنشآت (النواميس) العملية. فهو يقول ان الدولة المثلى التي صورناها في (الجمهورية) دولة لايمكن ان تحقق الا على يد الآلهة أو أبناء الآلهة. (فالجمهورية) هي في الواقع الصورة العليا لما اسماه القديس اوغسطين فيما بعد (مدينة الله). أما البشر فليس في وسعهم ان يحققوا المبادئ التي بيناها في (الجمهورية). ولهذا رأى من الواجب ان ينزل من هذا المستوى العالي الى مستوى الواقع، فيحاول قدر المستطاع ان يصور للناس فضائل الدولة الجديدة على اساس الواقع، وعلى وفق طبيعة النفس الانسانية كما هي. بما طبعت عليه من شر وفساد" [2]. وهو بهذا لم ينكر دولة الجمهورية الفاضلة، وانما حاول ان يعرض صورة جديدة تتفق مع الواقع، وتبقي الجمهورية المثل الأعلى، التي حاكاها الفارابي [3]" ورفضها المسلمون" [4].

وكل ذلك تحاشاه أبو العلاء. فقد وفر المستلزمات لمشروع مدينته وتركها مبعثرة منتثرة. ولعل من لطفه البالغ وانسانيته الجمة انه لم يرد ان يقدمها جاهزة للناس. وهو يعلم حقا وصدقا عجزهم عن التجرد في الوصول اليها. وليمنحنا الفرصة بعد أكثر من الف عام لتأسيسها. ولكن باسمه. ولنا شرف المساهمة في خدمته، واحياء ذكره الطيب. والله المجازي.

---

(1) افلاطون – عبد الرحمن بدوي: 222. لأن افلاطون يؤمن كما ينقل الينا التوحيدي بأن: "عمر الدنيا اقصر من ان تطاع فيه الاحقاد" ينظر الصداقة والصديق: 225 وافلاطون كان همه مقصورا على العموميات و(كان يقف على الحوادث الأكثر بروزا) ينظر علم الطبيعة – لأرسطو طاليس – ترجمة عن الاغريقية الى الفرنسية بارتلمي سانتهلير ونقله الى العربية احمد لطفي السيد: 3 وقال ايضا عنه: (ان افلاطون لم يدرس الكون الا في الحال الراهنة للأشياء من غير ان يحاول الصعود الى الأصل) ينظر الكون والفساد لأرسطو طاليس – ترجمة احمد لطفي السيد: 115.

(2) افلاطون – عبد الرحمن بدوي: 230.

(3) علم السياسة – الدكتور حسن صعب: 84.

(4) نظرة جديدة في المنحنى الشخصي لحياة الفارابي وفكره – د. علي سامي النشار – الفارابي والحضارة الانسانية: 428.

الخاتمــة

وبعد فقد وصلنا مع الفكر السياسي عند ابي العلاء المعري – بفضل الله – الى نهايته، وكملت الصورة، ووضحت ابعاده. بعد جهد وعناء ومشقة.

ويتطلب الأمر وقفه عند الحقائق التي توصلنا اليها والنتائج التي وقفنا عندها. فاجمل ما بحثته في هذا الفكر بهذه الخلاصة:

- ان الأدب العربي ساير السياسة منذ الجاهلية، وفي مختلف العصور. وان للفكر تأثيره في قيادة العالم. وقد ادرك الانسان انه بحاجة الى تنظيم لجوانب حياته مع اقرانه. والفكر السياسي انعكاس واع لهذا الأمر.
- يمثل الفكر السياسي، الآراء التي قام بصياغتها المفكرون بصدد السلطة، في كل تنظيم اجتماعي، مهما كان صغيرا. وكانت افكار ابي العلاء تنطوي على هدف سياسي تمثل فكرا سياسيا علائياً.
- كان الفكر السياسي عند ابي العلاء المعري. نتيجة لمصادر امدته بهذا الفكر. منها حياته الشخصية، والأحداث الكبرى التي أثرت في نفسه، ونشأته في بيت العلم والفضل والرياسة. وأحاطته بوقت مبكر من عمره بالثقافات المختلفة التي ساهمت في شمولية تفكيره، وأصالته وعمقه، وقدرته على عرض الآراء.
- آراء ابي العلاء تمثل صورة ذلك العصر. الذي تأثر بسوء الأحوال السياسية المضطربة. وضعف الخلفاء وتفرق البلاد. وكان اتصاله بدول ثلاث هي دولة بني بوية في بغداد، والفاطميين في مصر والحمدانية في حلب. وكانت المعرة متصلة بهذه الأخيرة. فيما كان اتصال ابي العلاء مباشرا بالقضايا التي تشغل الناس، ويتألم وهو يقف على انهيار هذه الدولة الاسلامية الكبرى.
- مع انهيار الدولة الاسلامية، نشطت الأفكار والآراء والاتجاهات السياسية على أيام المعري وكثرت الفرق التي كانت في الأصل احزابا سياسية متصارعة. سواء الداخلية منها ام التي تقع تحت تأثيرات خارجية. وجميعها كانت محل هجوم ابي العلاء وتحذيره منها.
- هذا الهجوم، شمل الاتجاهات الخاطئة في التعامل مع الأديان. فبدلا من التسامح والتآلف والتعاون، كان التباغض والتباعد والعداوات. فقد اخذ الناس يفسرون الشرائع في ضوء مصالحهم التي فضحها أبو العلاء.

- ســاهم انتشــار كتــب الفلاسـفة في تغذيــة الخلافــات بــين الفــرق والطوائــف وأصحاب الديانات. وهـذه الكتب اطلـع عليها أبو العلاء، بوصفه مفكرا حرا. فكان فكره مزيجا من افكار الفلاسفة. يأخذ من كل فريق ما يلائمه وكان من العـدل ان يعـد أبـو العـلاء واحـدا مـن إعـلام الفكـر امثـال افلاطـون وارسـطو والفارابي.
- كانت لابي العلاء، وجهات نظر خاصة، في واقع الفكر السياسي. من خلال رؤيتـه الثقافيـة. توزعـت حـول السـلطة الحاكمـة وسياسـة الحكـام، فهـم مـع ظلمهم يأتون اعمالا ليست من صالح الرعية. ولم يثق بطائفة سياسية. فكان يحذر منهم جميعا. ويهجم عليهم بعنف. وصور أبو العلاء في أدبه هـذا الوضـع المتفاقم، مـع هـؤلاء الحكام. فكان صاحب رؤيـة للواقـع السياسـي الـذي كـان يحيط به. واتخذ من الحيطة والحذر ما يناسب قدراته في التصدي، ولم يستثن منهم احدا.
- لم يسـتثن رجـال الـدين، الـذين يتـاجرون بالـدين، ولم ينخـدع بهـؤلاء الـذين يمارسـون الطقـوس والشـعائر الدينيـة الـتي لـيس لهـا مـا يقابلـها مـن العمـل والاخـلاق. فهـؤلاء الـدعاة بـالكلام لم يعطـف علـيهم أبـو العـلاء، ولم يتسـتر عليهم، حيث فسـرت الأحكـام الدينيـة حسـب الأهـواء، ومطـامع السياسـة. فكـان يضيق بالفقهاء والخطباء والوعاظ الذين يتخذون الـدين سـتارا ويقولـون مـا لا يفعلون.
- وشمل فكر المعري، انظمة المجتمـع، فهـي المقصود مـن السياسية نظريـا. وجـاءت احكامـه منسـجمة مـع الأحـداث في حينهـا، وأزداد قسـاوة وهجومـا علـى المجتمـع الذي بدأت عوامل الانحلال تتوالى عليه. فتنـاول تفاصيل المجتمـع مـن الأسـرة والافراد والعادات المنحرفة عن جادة الصواب، وكانه يحمل المجتمع اوزار ما الت اليه ظروفه.
- وابو العلاء الذي لم تترك له التجارب غرضا في مـودة احـد. فـان الوضـع يختلـف الى حد ما مع الثقافة والتعلم، الا انه حمل علـى تنـافس العلمـاء لأن اهـدافهم ليسـت لأجـل العلـم. وتـألم لحـالات الجهـل في المجتمـع، ومنـع اختـلاط الرجـال بالنساء، لغرض التعلم وتصدى للخلافات العلمية.

- ومع نزعة ابي العلاء للسلام. الا انه يدعو، للدفاع عن الدين والأرض والعرض. وامتدح القادة الذين يذودون عن حمى الاوطان لشجاعتهم واقدامهم، ومواجهة الأعداء وتوفير مستلزمات النصر. وقد فضل المجاهد على القاعد.
- ويبتدئ الفكر السياسي العلائي عندما يقرر المواصفات المطلوبة، في مجالات الحياة، ومنها الدين والدنيا. فيعد الاسلام هو الدين النموذج، وهو خير الأديان وما يجب ان يكون عليه المسلمون في عقيدتهم، وحياتهم العامة. ويعد أبو العلاء المصيبة في الدين أجل من مصيبة الموت. ولم ينشغل أبو العلاء بالجزئيات التي تمليها متطلبات الخلاف الديني. فالدين عنده عمل وأخلاق لا يمكن الوصول اليه الا بمجاهدة الأهواء والرغبات. وكان ايمانه بالله عز وجل مطلقا. ويفضل النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم) على جميع الأنبياء (عليهم السلام).

أما الدنيا فيعلم انه ذاهب عنها لامحالة. ولازمه الوعي التام بحقيقة الموت، ويمثل الأمر بالانتقال من دار الأعمال الى دار الشقوة أو الهناء. وفي الوقت نفسه، يعلم ان الناس يحرصون على البقاء والجميع محب للدنيا كاره للموت.

- وأثر فساد الحياة الاجتماعية والخلقية في نفس ابي العلاء آثار كونت له في المجتمع آراء خاصة. في مجال الفرد ومكانته في المجتمع، والموازنة المطلوبة لكرامة الانسان. وأثر التربية العائلية، وأهمية الاخلاق للفرد خلال مراحل حياته. وطبيعة العائلة وما ينبغي ان تكون عليه، واختيار الزوج وموقع الرجل من العائلة، وتربية الأطفال وتوجيههم بمنظار عائلي، يتجه بالبشرية نحو تحديد صارم للنسل، والاكتفاء بزوج واحدة. وطالب بالاتزان في أسوأ الظروف ولم يجد مسوغا للخطأ.

وأوصى بالاعتزاز بالبلد والعشيرة. الا انه يرى ان افضل الأعمال التقوى لقضاء الوقت والتخلص من سوء افعال الناس. وحذر من مجالسة اصحاب الدنايا، وأوصى بالتواضع والمياسرة مع الإخوان وأشار الى كثير من العادات والصفات الاخلاقية الحميدة للتمسك بها، وحث على التقشف في المأكل والملبس والبناء وممارسة العمل وعدم الاتكال، ودعا للزراعة، والتكافل الاجتماعي ولا ينسى حق الرحم ونصرة المظلوم والأشفاق على العمال، وحب الإحسان وخدمة البشرية من غير

مصلحة، وأراد المساواة شاملة دائمة كامة. وغير ذلك من الاخلاق التي فصلناها في الفكر السياسي لابي العلاء، أمدتنا بالعون لتأسيس المدينة العلائية الفاضلة التي يحكمها حاكم ناسك عادل.

- ورسم أبو العلاء للحاكم خطاً مستقيما لاختياره، من غير اساليب الرشوة او اتباع القوة، ولم يهتم بالنسب بقدر اهتمامه ان يكون الحاكم خادما للشعب ويتصف بجملة صفات تمكنه من خدمة الرعية، ونشر العدل والمساواة بين افرادها.
- هذه الرعية في الحقيقة هم على دين السلطان. لا يغادرونه. والرعية على أية حال ليس افضل من الحكام. الا انه يرى ان النقد من حق اي فرد في الرعية. في الوقت الذي يفترض فيه ان يكون الحكام افضل من الرعية لانهم افقه في الدين، وأقوم بالحقوق. فوضع أبو العلاء قواعد لاتصال الرعية بالحاكم تأخذ بالمقامات والمراكز الاجتماعية. ويجد انه من واجب الرعية حب الوطن. والحذر من الطغاة. وأنتقد ظلم الرعية المتمثل في نفاقها، وسلوكها المزدوج مع الحكام، عندما يمدحونهم ويذمونهم في آن واحد. ووافق على مساعدة الحكام والتعاون معهم لصالح الرعية. لكنه لم يحبذ مجالستهم أو مدحهم وأوصى بمحاربة الحاكم الظالم.
- وبهذه الخلاصة المتقدمة آنفا يجعلنا أبو العلاء في رحاب مدينته العلائية الفاضلة، التي ترك لنا الحرية في تصويرها، وهي مدينة بسيطة في بنائها. وثمة عزوف عن تولي السلطة. فالشعور العلائي السائد هو محاولة الابتعاد عن الحكم وأعطى العقل أهمية مميزة. وفي الوقت نفسه يحاربون الدجل والخرافات. وفيما يتعلق بموضوع العلاقات الاجتماعية. فان التحفظات تشوب هذه العلاقات بين الناس لشعوره بغلبة عنصر الشر على طبيعة الانسان. الا انهم يوصون بالعلم الجاد، لغلبة عنصر الخير، والمناداة للعيش بسلام وامان. فان الحياة في المدينة العلائية تشكل مرحلة مؤقتة. فهي مكان للرحيل الى العالم الأخر. وعليه ليس هناك ما يدعو للصراع او القتال. لذلك فان التحفظات شديدة في تكوين العلاقات خصوصا بين الرجال والنساء.

والسمة الغالبة عل سكان المدينة العلائية ان اغلبهم من كبار السن وكأنهم يسرعون بأنفسهم للانقراض. لكن الاخلاقيات تظل سمة مميزة في المدينة

ولعل ما يسودها من نماذج السلوك يمثل الرزانة والوقار والهدوء وترك التحاسد والتباغض، واتخاذ الطريق الوسط والاعتدال في جميع الأمور. ومن أجل ديمومة الحياة يوصي أبو العلاء في مدينته بالعمل الذي يعده أفضل حالات التدين، ودعا الى التكافل المثالي.

ومهما يكن من أمر، فان ابا العلاء كان يبتغي وجه الله تعالى في ما يقول لاجتماع البشرية، وأن تعيش بسلام وامان. وكان لدعوته اوجه مثالية ربما تقترب أو تبتعد احيانا عن المدينة الفاضلة للفارابي اشرنا اليها في نهاية البحث.

- وأخيرا فإنني أضرع الى الله تعالى بدموع غزيرة شاكرا له الفضل في إكمال هذه الدراسة. وأن اكون قد استوفيت كل متطلباتها خدمة خالصة لوجهه الكريم. ولتراث امتنا الخالد.

فان كنت وفقت لذلك، فهي نعمة منه ومنة، وهو غاية ما اردته، واليه سعيت. وأن كنت قد جانبت الحق والصواب فحسبي ما بذلت والله الموفق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

المصادروالمراجع

- اباطيل وأسمار – محمود محمد شاكر (مطبعة المدني، القاهرة ط2، 1972).
- ابحاث في الأدب العربي – الثورة البابكية وأثرها في الأدب العربي – الدكتور عبد المحسن عاطف سلام (دار المعاف بمصر 1968).
- ابعاد المعري – ثريا عبد الفتاح ملحس (مطابع سميا، بيروت. د.ت).
- ابن حزم – حياته وعصره اراؤه وفقهه – محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي 1954 – 1373هـ).
- ابن خلدون بين العلم والسياسة – د. محمد طه الحاجري (دار النهضة العربية للطباعة والنشر – د.ت).
- ابن خلدون – حياته وتراثه الفكري – محمد عبدالله عنان (مطبعة الكتب العربية – القاهرة ط1، 1352هـ – 1933م).
- ابن المعتز العباسي – صورة العصر – د. سعد الشلبي (دار الفكر العربي 1981).
- أبو العلاء في بغداد – طه الراوي (مطبعة التفيض الأهلية – بغداد 1363هـ – 1944).
- أبو العلاء المعري – د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة – 1384هـ – 1965م).
- أبو العلاء المعري بين النقاد القدامى والمحدثين – سوسن صائب المعاضيدي (رسالة دكتوراه على الألة الكاتبة – جامعة بغداد – كلية التربية – ابن رشد 1955م).
- أبو العلاء المعري – رسالة الغفران – درس ومنتخبات – فؤاد افرام البستاني (منشورات الأداب الشرقية – بيروت ط2، 1944م).
- أبو العلاء المعري – زوبعة الدهور – مارون عبود (دار مارون عبود، ط3، 1970م).
- أبو العلاء المعري.. ناقدا – وليد محمود خالص (وزارة الثقافة والأعلام جمهورية العراق – دار الرشيد 1982م).
- أبو العلاء المعري نسبه وأخباره، شعره معتقده – احمد تيمور باشا (مطبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة – 1359هـ – 1940م).

- أبو العلاء الناقد الأدبي – دكتور السعيد السيد عبادة (دار المعارف بمصر ط1، 1987م).
- أبو العلاء ناقد المجتمع – زكي المحاسني (دار الفكر العربي، القاهرة 1947م).
- أبو يوسف – حياته وآثار وآراؤه الفقهية – محمد مطلوب (مطبعة دار السلام بغداد – 1972م).
- الاتجاهات التعصبية – د. معتز سيد عبدالله – سلسلة عالم المعرفة (137) الكويت – 1408ه – 1989م).
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري – د. محمد مصطفى هدارة (دار المعارف بمصر 1963م).
- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري – الدكتور منصور عبد الرحمن (مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة 1977م).
- الاثر الاغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز – مجيد عبد الحميد ناجي (مطبعة الآداب – النجف الأشرف – 1976م).
- أثر كف البصر على الصورة عند ابي العلاء المعري – رسمية موسى السقطي (مطبعة أسعد – بغداد 1968م).
- الاجماع للإمام ابن المنذر (ت318) تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم احمد – تقديم ومراجعة الشيخ عبدالله بن زيد المحمود (مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – مطابع الدوحة الحديثة – دولة قطر – 1401هـ – 1981م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية – أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت450) (مطبعة الباني الحلبي – القاهرة 1973م).
- احكام صنعة الكلام – لذى الوزارتين ابي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي من أعلام القرن السادس – تحقيق محمد رضوان الداية (دار الثقافة – بيروت – 1966م).
- احياء علوم الدين للإمام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 5.5 (دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان – د.ت).
- اخبار القضاة – وكيع محمد بن خلف بن حيان (ت 306) (عالم الكتب – بيروت د.ت).

- اخوان الصفا – د. جبور عبد النور (نوابغ الفكر العربي – دار المعارف بمصر 1961م).
- الادارة الاسلامية في عز العرب – محمد كرد علي (مطبعة مصر – القاهرة 1934م).
- الآداب العربية الاقليمية في النهضة العربية – محمود علي مكي (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط(،1987م).
- آداب المعلمين – ابن سحنون أبو عبدالله محمد – ملحق بكتاب التربية في الاسلام – الدكتور احمد فؤاد الأهواني (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط2، 1955م).
- ادب الدنيا والدين – الماوردي – حققه وعلق عليه – مصطفى السقا – (شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر – ط3 – 1375ه – 1955م).
- ادب السياسة في العصر الأموي – د. احمد محمد الحوفي (دار القلم – بيروت – لبنان – د.ت).
- الادب الصغير والأدب الكبير – ابن المقفع – ت 142 (دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت 1384ه – 1964م).
- الادب العربي – تعبير عن الوحدة والتنوع – بحوث تمهيدية – مجموعة من الباحثين، اشراف عبد المنعم تليمة (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ط1، 1962م).
- الادب العربي في العصر العباسي – الدكتور ناظم رشيد – مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل – 1410ه – 1989م).
- أدب الغرب – مارون عبود (دار الثقافة، مطبعة الكريم – بيروت 1960م).
- أدب القاضي – الماوردي – تحقيق وتعليق محي هلال السرحان (على الألة الكاتبة – 1969م).
- ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري – د. عبد الحكيم بلبع (مكتبة نهضة مصر – القاهرة – د.ت).
- الادب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري – عبد الكريم توفيق العبود (رسالة دكتوراه على الألة الكاتبة – كلية الآداب – جامعة بغداد – 1977م).

- الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الاغريقية الى الواقعية الاشتراكية – محمد مفيد الشوباشي (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – 1970م).
- الاديان دراسة تاريخية مقارنة – د. رشدي عليان ود. سعدون الساموك، (دار الحرية للطباعة – بغداد 1396هـ – 1976م).
- آراء ابي العلاء المعري – معروف الرصافي – جمع وتصحيح واشراف المحامي عبد الحميد الرشودي (1955م).
- آراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي – تقديم وتصحيح وشرح وتعليق د. علي عبد الواحد وافي (لجنة البيان العربي – القاهرة – ط2، 1961م).
- الأسرة في الشرع الاسلامي – عمر فروخ (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2 – 1394هـ – 1974م).
- اسس النقد الادبي عند العرب – د. احمد احمد بدوي (مكتبة نهضة مصر، ط1، 1958م).
- الاسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت (دار القلم، ط3، 1966م).
- الاسلام نظام انساني – مصطفى الرافعي – تقديم ومراجعة الشيخ حسن تميم (دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ط2، د.ت).
- الأشباه والنظائر – جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي ت 911 (مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد الدكن، ط2، 1361هـ).
- الأشباه والنظائر – زين العابدين بن ابراهيم بن نجيم ت 970 (منشورات ادارة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع – كراتشي – باكستان).
- اصالة الثقافات (مجموعة مقالات) ترجمة حافظ الجمالي – مراجعة الدكتور يوسف مراد (مطبوعات اليونسكو – دار الجيل للطباعة – دار الفكر، بيروت 1963م).
- اصول الاجتماع السياسي – السياسة والمجتمع في العالم الثالث – الأسس النظرية والمنهجية – د. محمد علي (دار المعارف الجامعية – الاسكندرية – ط1، 1986م).
- أصول الاسماعيلية – بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية – الدكتور برنارد لويس – نقله الى العربية احمد جلو وجاسم محمد الرجب – قدم له الدكتور عبد العزيز الدوري (مكتبة المثنى – بغداد – د.ت).

- الاعجاز والايجاز – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ت429 (مكتبة دار البيان – بغداد – دار مصعب – بيروت – د.ت).
- اعلام التصوف في الاسلام – د. محمد جلال شرف (دار الجامعات المصرية – الاسكندرية – 1976م).
- الاعمال الفكرية العامة – للدكتور قسطنطين رزيق – مج 2 (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان 1996م).
- الأعمال القومية – ساطع الحصري (ق3 مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط2 – 1990م).
- افلاطون – عبد الرحمن بدوي – (وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم – بيروت لبنان – 1979م).
- اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء – هلال بن الحسن الصابيء (ت448ه) جمعها وعلق عليها ميخائيل عواد (مطبعة المعارف – بغداد – 1367ه – 1948م).
- الوان – طه حسين (دار المعارف بمصر – 1952م).
- الامامة والسياسة – للإمام ابي عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدنيوري (ت276) وهو معروف بتاريخ الخلفاء – تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ط1 (دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع – النجف، عن مطبعة القاهرة – مؤسسة الحلبي).
- الامتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي (ت400) صححه وضبطه وشرح غريبة احمد امين واحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ط2 – 1953م).
- امراء الشعر العربي في العصر العباسي – انيس المقدسي (دار العلم للملايين – بيروت – ط13 – 1980م).
- الامكنة والبقاع – صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739) وهو مختصر معجم البلدان لياقوت – تحقيق علي محمد البجاوي (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط1 – 1374ه – 1955م).
- الامير – ميكافيللي – تعريب خيري حماد (بيروت – المكتب التجاري للطباعة والنشر – 1960م).

- انباه الرواة على انباه النحاة – لابي الحسن علي يوسف القفطي (646) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – 1369هـ – 1950م).
- الانساب – للإمام ابي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت562 – تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية د.ت).
- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به – الباقلاني (ت403) تحقيق وتعليق وتقديم محمد بن زاهد بن الحسن الكوثري (مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع – ط2 – 1382هـ – 1963م).
- الانظمة السياسية المقارنة – د. حسان شفيق العاني (مطبعة المعارف – بغداد – 1980م).
- ابستمولوجيا ارسطو من خلال منزلة الرياضيات في قوله العلمي – أبو ايوب المرزوقي (الدار العربية للكتاب – المطبعة الرسمية – الجمهورية التونسية – 1985م).
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون – اسماعيل باشا بن محمد امين بن امير سليم البابانى – عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف – ورفعت بيكله (طبع وكالة المعارف الجليلة – 1364هـ – 1945م).
- البحث عن المثال في شعر المعري – خميس احمد حمادي (رسالة ماجستير على الالة الكاتبة – كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – 1416هـ – 1955م).
- البداية والنهاية – أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت774) (مكتبة المعارف – بيروت ومكتبة النصر – الرياض – 1408هـ – 1988م).
- البعد الديني في السياسة الامريكية – تجاه الصراع العربي – الصهيوني – الدكتور يوسف الحسن (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 1990م).
- بغداد في عهد الخلافة العباسية – غي لستراج – ترجمة وتعليق بشير يوسف فرنسيس (المطبعة العربية – بغداد – ط1 – 1355هـ – 1936م).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي – تصحيح محمد امين الخانجي (مطبعة السعادة – مصر – ط1 – 1346هـ).

- البلاغة تطور وتاريخ – د. شوقي ضيف (دار المعارف بمصر – ط5 – د.ت).
- البناء اللفظي في لزوميات المعري – د. مصطفى السعدني (منشأة المعارف بالاسكندرية – مطبعة شركة الات ولوازم المكاتب – 1977م).
- بواكير الفلسفة قبل طاليس او من المثيولوجيا الى الفلسفة عند اليونان – د. حسام محي الدين الألوسي (وزارة الثقافة والاعلام) دار الشؤون الثقافية العامة – ط3 – 1406ه – 1986م).
- البيان والتبيين – لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255) – تحقيق وشرح حسن حسن السندوبي (ج2 – المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة الاستقامة بمصر 1366ه – 1947م).
- تاريخ الأدب العباسي – رينولد أنكلسن – ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي (المكتبة الأهلية – بغداد – 1967م).
- تاريخ الأدب العربي – احمد حسن الزيات (القاهرة – ط26 – د.ت).
- تاريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان – مج2 (منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – 1983م).
- تاريخ الأمم والملوك – للإمام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري – راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء (المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة الاستقامة – القاهرة – 1358ه – 1939م).
- تاريخ التمدن الاسلامي – جرجي زيدان (دار الهلال – القاهرة – ط1 – 1922، ط2 1947م).
- تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى – محمد عبد الرحيم غنيمة (دار الطباعة المغربية – تطوان – معهد مولاي الحسن – 1953م).
- تاريخ الحضارة الاسلامية – ف بارتولد – ترجمة حمزة طاهر (دار المعارف بمصر ط2 – د.ت).
- تاريخ الحضارة الاسلامية حتى آخر العهد العثماني – السير توماس آرنولد – ترجمة حسين حيدر اللبناني (مطبعة دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر – بغداد – ط2 – د.ت).
- تاريخ الخلفاء – للسيوطي – تحقيق محمد الدين (مطبعة اوفسيت منير – بغداد – د.ت).

- تـاريخ الشـعر السياسـي الى منتصـف القـرن الثـاني – احمـد الشـايب (مكتبـة النهضة العربية – القاهرة – ط2 – 1953م).
- تـاريخ الشـعوب الاسـلامية الامبراطوريـة وانحلالهـا – بروكلمـان – نقلـه الى العربية د. نبيه امين فارس ومنير البعلبكي (دار العلم للملايـين – بيروت – ط2 – 1954م).
- تـاريخ العـراق الاقتصـادي في القـرن الرابـع الهجـري – الـدكتور عبـد العزيـز الدوري (مـركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط3 – 1995م).
- تـاريخ العـرب – فيليـب حـتي – نقلـه الى العربيـة محمـد مـبروك نـافع – مـج1 (منشورات دار المعلمين العاليـة – مطبعة التفيض الأهليـة – بغـداد – 1365ه – 1946م).
- تاريخ العلامـة ابن خلـدون – كتاب العبر والديوان المبتدأ والخبر – العلامـة أبـو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربـي (ت808) (دار الكتـاب اللبنـاني – مكتبة المدرسة – بيروت – لبنان – 1986م).
- تـاريخ العلـم – العلـم القـديم في العصـر الـذهبي لليونـان – جـورج سـارتون – ترجمـة لفيـف مـن العلمـاء – واشـراف لجنـة مـن الـدكاترة – ابـراهيم بيـومي مـدكور وأخرون (دار المعارف بمصر – 1955م).
- تاريخ العالم ودور العلماء العرب في تقدمه – الدكتور عبد الحليم منتصـر (دار المعارف بمصر – 1980م).
- تـاريخ الفكـر الفلسـفي في الاسـلام – د. محمـد علـي أبـو ريـان (دار الجامعـات المصرية – الاسكندرية – 1973م).
- تاريخ الفلسفة في الاسلام – دي بورث. ج – ترجمة محمـد عبـد الهـادي أبـو ريـدة (القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط4 – 1957م).
- تـاريخ مختصـر الـدول – غريغـوريس الملطـي المعـروف بـابن العـبري – وقـف علـى طبعه ووضع حواشيه الأب انطوان صالحاني اليسوعي (بيروت – لبنـان – ط4 – 1958م).
- تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفـاطمي – د. جمـال الدين الشيال (دار المعارف بمصر – 1967م).

- تاريخ الموصل – الشيخ زكريا بن محمد بن اياس بن القاسم الأزدي (ت334)– تحقيق دكتور علي حبيبة – لجنة احياء التراث الاسلامي – المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – القاهرة – 1387ه – 1967م).
- تأملات في فلسفة الاخلاق – منصور علي رجب (مطبعة مخيمر – القاهرة – ط1 – 1966م).
- تجديد ذكرى ابي العلاء – د. طه حسين بك (مطبعة المعارف بمصر – ط3 – 1356ه – 1937م).
- تجديد رسالة الغفران – خليل هنداوي (دار الأديب – بيروت – طبع دار لبنان للطباعة والنشر – ط1 – 1967م).
- تجديد الفكر الاسلامي – د. محسن عبد الحميد (دار الصحوة للنشر 1985م).
- تذكرة الحفاظ – للإمام ابي عبدالله شمس الدين الذهبي، ت748 (دار احياء التراث العربي – الناشر محمد امين دمج – بيروت – ط3 – 1977م).
- التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية – د. عبد الرحمن بدوي (بيروت – ط4 – 1980م).
- التربية في الاسلام – أو التعليم في رأى القابسي (ت403) – الدكتور احمد فؤاد الاهواني (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة – ط2 – 1955م).
- تربية المراهق في المدرسة الاسلامية – محمد جمال الدين محفوظ (مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1977م).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الامام مالك – القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت544) تحقيق احمد بكير محمود (دار مكتبة الحياة – بيروت – د.ت).
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك – الماوردي (دار العلوم العربية – 1987م).
- تعريف القدماء بابي العلاء – تحقيق مجموعة من الاساتذة – بإشراف الدكتور طه حسين – السفر الأول من آثار ابي العلاء (الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – 1384ه – 1965م). نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 1963 – 1964م).

- التفسير النفسي للأدب – د. عز الدين اسماعيل (دار المعارف بمصر – 1963م).
- التكوين التاريخي للامة العربية – دراسة في الهوية والوعي – د. عبد العزيز الدوري (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان – ط3 – 1986م).
- التمثيل والمحاضرة – الثعالبي – تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – 1381ه – 1961م).
- التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة – الباقلاني تحقيق محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة – ط1 – 1947م).
- تهافت الفلاسفة – الامام الغزالي – تحقيق الدكتور سليمان دنيا (دار المعارف بمصر – ط4 – 1385ه – 1966م).
- تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق – أبو علي محمد بن مسكويه – تحقيق حسن تميم (بيروت – دار مكتبة الحياة – ط2 – 1978م).
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير – الامام الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت544)– تحقيق احمد بكير محمود (دار مكتبة الحياة – بيروت – د.ت).
- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة – الامام ابي عبدالله محمد بن القلعي (ت630) تحقيق ابراهيم يوسف مصطفى عجو (مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء ط1 – 1405ه – 1985م).
- التوافق المهني والاجتماعي – عبد الرحمن حميد ثامر (المديرية العامة لتربية الأنبار – وزارة التربية – 1988م).
- التوجيه الأدبي – د. طه حسين وأخرون (دار الكتاب العربي بمصر – 1953م).
- توفيق التطبيق في أثبات ان الشيخ الرئيس من الامامية الاثنى عشرية لعلي بن فضل الله الجيلاني (ت 1070) تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد مصطفى حلمي (مطبعة دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – 1373ه – 1954م).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – للخطيب البغدادي (ت463) تحقيق الدكتور محمود الطعان (مكتبة المعارف – الرياض – 1403ه – 1983م).
- الجامع في أخبار ابي العلاء المعري وآثاره – محمد سليم الجندي – علق عليه وأشرف على طبعه عبد الهادي هاشم (دمشق – 1384ه – 1964م).

- جاهلية القرن العشرين – محمد قطب (مكتبة وهبة – ط1 – 1384هـ – 1964م).
- جدد وقدماء – دراسات ومناقشات – مارون عبود (دار الثقافة – بيروت، المطبعة التجارية، 1954م).
- جديد في رسالة الغفران – نص مسرحي من القرن الخامس الهجري – دكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء (دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط1 – 1392هـ – 1972م).
- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق – الدكتور وميض جمال عمر نظمي (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط3 – 1986م).
- جمهورية افلاطون – نظله الحكيم ومحمد مظهر سعيد (دار المعارف بمصر – ط2 – د.ت).
- الجواري والشعر في العصر لعباسي الأول – د. سهام عبد الوهاب الفدع (شركة الربيعان للنشر والتوزيع – ط1 – 1981م).
- حديقة ابي العلاء – صور فنية مقتبسة من النصوص العلائية – كامل كيلاني (مكتبة مصر ومطبعتها – القاهرة – د.ت).
- حسن المحاضرة في التاريخ مصر والقاهرة – السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – 1387هـ 1968م).
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام – آدم متز نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة (دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط4 – 1387هـ – 1967م).
- الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – د. توفيق يوسف الواعي – (دار الوفاء للطباعة – ط2 – 1408هـ – 1960م).
- حضارة الهند – د. غوستاف لوبون – نقله الى العربية عادل زعيتر (طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية – 1948م).
- حكيم المعرة – دكتور عمر فروخ (مطبعة الكشاف – بيروت – ط2 – 1948م).
- الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (359 – 567هـ) الدكتور خاشع المعاضيدي (دار الحرية للطباعة – ط1 – 1976م).

- الحيوان – الجاحظ – حققه وقدم له فوزي عطوي (مكتبة محمد حسين – دمشق سوريا – مكتبة الطلاب وشركة المتاب اللبناني – بيروت – ط1 1387ه – 1968م).
- الخراج وصناعة الكتابة – قدامة بن جعفر (ت337) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي (دار الرشيد للنشر – وزارة الثقافة والاعلام – دار الحرية للطباعة – بغداد – 1981م).
- خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصبهاني الكاتب (ت569) حققه وشرحه محمد بهجت الأثري (وزارة الأعلام – العراق – 1966م).
- خريف الفكر اليوناني – عبد الرحمن بدوي (وكالة المطبوعات – الكويت – دار القلم بيروت – لبنان – ط5 – 1979م).
- الخصائص العامة للإسلام – د. يوسف قرضاوي (دار غريب للطباعة – 1397ه – 1977م).
- خصائص الفكر السياسي في الاسلام وأهم نظرياته – د. محمد جلال شرف ود. علي عبد المعطي محمد (دار الجامعات المصرية – الاسكندرية – 1975م).
- خصام ونقد – د. طه حسين (دار العلم للملايين – بيروت – لبنان 1952م).
- الخلافة الأموية دراسة سياسية (65 – 86ه) الدكتور عبد الأمير ميحسين دكسن (دار النهضة العربية – بيروت – ط1 – 1973م).
- الخلافة – تاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني – السير توماس آرنولد – ترجمة حسن حيدر اللبناني (دار العزاوي للطباعة والتأليف والترجمة والنشر والاعلان – مطبعة دار التضامن – بغداد – ط2 – 1961م).
- الخلق الكامل – محمد احمد جاد المولى بك (مطبعة محمد علي صبيح وأولاده – القاهرة – ط2 – 1385ه – 1965م).
- دائرة المعارف الاسلامية – كتاب الشعب – لمجموعة من المستشرقين – النسخة العربية – اعداد وتحرير ابراهيم زكي واحمد الشنتاوي – ود. عبد المجيد يونس (القاهرة).
- دار السلام في حياة ابي العلاء – الدكتورة عائشة عبد الرحمن (دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط2 – 1989م).
- دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى – الدكتور صالح احمد العلي (مطبعة المجمع العلمي العراقي 1410ه – 1989م).

- دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية – د. عرفان عبد الحميد (مطبعة الارشاد – بغداد – ط1 – 1387هـ – 1967م).
- دراسات الفكر الاسلامي – حسام محي الدين الألوسي (دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط2 – 1992م).
- دراسات في مصطلح السياسة عند العرب – احمد عبد السلام – (الشركة التونسية للتوزيع – طبع بمصنع الكتاب للشركة الفرنسية للتوزيع – تونس – 1985م).
- دراسات في النقد الأدبي – الدكتور رشيد العبيدي (مطبعة المعارف – بغداد – ط1 – 68 – 1969م).
- دراسة المجتمع – مصطفى الخشاب (دار الطباعة الحديثة – القاهرة 1968م).
- دولة بني عقيل في الموصل (83 – 489هـ) خاشع المعاضيدي (مطبعة شفيق بغداد – ط1 – 1968م).
- الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر – دراسة بنائية مقارنة – د. خلدون حسن النقيب (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط2 – 1996م).
- الديارات لابي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي (ت388) تحقيق ونشر كوركيس عواد (مطبعة المعارف – بغداد – 1951م).
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت452) تحقيق د. احسان عباس. ق4 مج1 (دار الثقافة – بيروت – لبنان 1399هـ – 1979م).
- ذكرى ابي العلاء – د. طه حسين (دار المعارف بمصر – د.ت).
- الرائد في الأدب العربي – انعام الجندي (دار الرائد العربي – بيروت – لبنان – 1979م).
- رجعة ابي العلاء – عباس محمود العقاد (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – د.ت).
- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة – أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي – من علماء القرن الثامن الهجري (مكتبة اسعد – بغداد – ط1 – 1990م).

- الرد على الجهمية – للإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت280) ج. ويريل ليدن – 1960م).
- رسائل ابي العلاء – مارجليوت – المطبعة المدرسية (اكسفورد هورس هارت – مطبعة كلاوندون – 1898م).
- رسائل ابي العلاء مع شرحها (عالم الكتب – بيروت – ط3 – 1404ه – 1984م).
- رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء (دار صادر – بيروت – 1957م) وطبعة المطبعة العربية – مصر 1347ه – 1928م تصحيح خير الدين الزركلي.
- رسالة التوحيد – محمد عبده (مطبعة محمد علي صبيح وأولاده – مصر – 1385ه – 1965م).
- رسالة الصاهل والشاحج – لابي العلاء المعري – نص محقق – د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء (دار المعارف بمصر – ط2 – 1404ه – 1984م).
- رسالة الصداقة والصديق – أبو حيان التوحيدي – تحقيق وتعليق – الدكتور ابراهيم الكيلاني (دار الفكر – دمشق – 1964م).
- رسالة الغفران – أبو العلاء المعري – تحقيق وشرح د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء (دار المعارف بمصر – ط6 – 1977م).
- رسالة في تعزية ابي علي بن ابي الرجال في ولده ابي الأزهر – أبو العلاء المعري – تحقيق وتقديم إحسان عباس (دار الفكر العربي – مطبعة الاعتماد بمصر – ط1 – د.ت).
- رسالة الملائكة – أبو العلاء المعري – بإشراف لجنة من العلماء (دار الأفاق الجديدة – بيروت – 1978م).
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين – أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي الفقيه القيرواني – ملحقة بكتاب التربية في الاسلام – الدكتور احمد فؤاد الاهواني – القاهرة – 1955م).
- رسالة الهناء – أبو العلاء المعري – شرح وتحقيق كامل الكيلاني (منشورات دار الأفاق الجديدة – بيروت – ط3 – 1979م).
- رسوم دار الخلافة – الصابيء – تحقيق وتعليق ميخايل عواد (مطبعة العاني – بغداد – 1383ه – 1964م).

- روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة – الياس أبو شبكة (دار المكشوف – بيروت – 1943م).
- زبدة الحلب من تاريخ حلب – كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم (ت660) تحقيق سامي الدهان (المعهد الفرنسي للدراسات العربية – دمشق – 1370ه – 1951م).
- زجر النابح – أبو العلاء المعري – الدكتور أمجد الطرابلسي – المطبعة الهاشمية بدمشق – 1385ه – 1965م).
- زهرة الآداب وثمرة الألباب – أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت453) حققه وشرحه علي محمد البجاوي (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط1 – 1372ه – 1953م).
- سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي – تحقيق عبد المتعال الصعيدي (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – د.ت).
- سقراط – د. علي حافظ بهنسي (دار المعارف للطباعة والنشر بمصر 1949م).
- السلطة والمجتمع والعمل السياسي – الدكتور وجيه كوثراني (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – 1988م).
- سلوك المالك في تدبير الممالك – ابن ابي الربيع – تحقيق الدكتور ناجي التكريتي (دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط3 – 1987م).
- سنن الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة (ت273) تحقيق بكر محمد مصطفى الأعظمي (طبع شركة الطباعة العربية السعودية – الرياض – ط2 – 1402ه – 1984م).
- السياسة – أرسطو طاليس – ترجمة احمد لطفي السيد (منشورات الفاخرية – الرياض – دار الكتاب العربي – بيروت – د.ت).
- سياسة الحكم – اوستن رني – ترجمة الدكتور حسن علي ذنون (المكتبة الأهلية – بغداد – 1964م).
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية للإمام ابن تيمية (دار الكتاب العربي بمصر – ط3 – 1374ه – 1955م).
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة – لهبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت470) ترجمة حياته بقلمه – تقديم وتحقيق محمد كامل حسين (دار الكاتب المصري – ط1 – 1949م).

- سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته – سيد خير الله ولطفي بركات احمد (مكتبة الأنجلو المصرية – ط4 – 1992م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت1089) مج2 (دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د.ت).
- شرح التنوير على سقط الزند – أبو العلاء المعري (المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة مصطفى محمد).
- شرح ديوان ابي الطيب (معجز احمد) أبو العلاء المعري – تحقيق الدكتور عبد الحميد دياب (دار المعارف بمصر – 1404ه – 1984م).
- شرح المختار من لزوميات ابي العلاء – اختيار وشرح ابي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت521) ق 1– تحقيق وتقديم دكتور حامد عبد المجيد، (مطبعة دار الكتب – القاهرة – 1970م).
- شروح سقط الزند – لجنة احياء آثار ابي العلاء المعري – السفر الثاني – اشراف د. طه حسين – تحقيق مجموعة من الاساتذة (مطبعة دار الكتب المصرية – 1945م).
- الشعر العربي المعاصر – الجماليات المتجددة للقصيدة العربية في علاقتها بالحقائق التاريخية والاجتماعية المتطورة – مدحت الجيار (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1987م).
- شعر المكفوفين في العصر العباسي – دراسة نفسية وفنية في اثر كف البصر – عدنان عبيد العلي – (رسالة دكتوراه على الألة الكتابية – كلية الآداب – جامعة بغداد – 1410ه – 1989م).
- الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول – عصر الدولة الموحدة – د. محمد نبيه حجاب (دار المعارف بمصر – ط2 – 1973م).
- الشعر والشعراء – ابن قتيبة – عالم الكتب – بيروت – ط1 – قسطنطينية – 1282ه).
- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل – الغزالي – تحقيق الدكتور حمد الكبيسي (مطبعة الارشاد – بغداد – 1390ه – 1970م).
- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء – للإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت597) تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم احمد ومراجعة محمد السيد

الطنطاوي (مؤسسة شباب الجامعة – المطبعة العصرية – الاسكندرية – 1398هـ – 1978م).

- شمس الله تسطع على الغرب – د. سيجريد هوكنه – ترجمة وتحقيق وتعليق د. فؤاد حسين علي (دار النهضة العربية – القاهرة – مطبعة الرسالة – 1964م).
- الشيخ الرئيس (ابن سينا) عباس محمود العقاد (دار المعارف بمصر د.ت).
- الصابئة المندائيون – الكتاب الأول – الليدى دراوود – ترجمة نعيم بدوي، وغضبان روحي (مطبعة الديواني – بغداد – ط2 – 1987م).
- صبح الأعشى في صناعة الأنشا – احمد بن علي القلقشندي (ت821) شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1407هـ – 1987م).
- صحيح مسلم – الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم – د. سعد المرصفي – 1407هـ – 1988م).
- صوت ابي العلاء – د. طه حسين (مطبعة المعارف – مصر – د.ت).
- صورة العرب والاسلام في الكتب المدرسية الفرنسية – الدكتورة مارلين نصر (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1995م).
- ضحى الاسلام – احمد امين – ج3 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط3 – 1362هـ – 1943م).
- طائفة الاسماعيلية تاريخها – نظمها – عقائدها – د. محمد كامل حسين (مكتبة النهضة المصرية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط1 – 1959م).
- طبقات الأطباء والحكماء – أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل (الفه سنة 377هـ) تحقيق فؤاد سيد (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية – القاهرة – 1950م).
- طبقات الشافعية – أبو عاصم محمد بن احمد العبادي (ت458) (ليدن – برلين – 1964م).
- طبيعة الدعوة العباسية (132 – 249) د. فاروق عمر (مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع – بغداد – 1987م).

- ظهـر الاسـلام – احمـد امـين (دار الكتـاب العربـي – بـيروت – لبنـان – ط5 – 1388ه – 1969م).
- العبادات في الاسلام – محمد محمد اسماعيل عبده (مطبعة العلوم – مصر – ط1 – 1969م).
- العبـادة وآثارهـا النفسية والاجتماعيـة – نظـام الـدين عبـد الحميـد (مطبعـة الخلود – بغداد – 1985م).
- عبث الوليـد – أبو العلاء المعري (مكتبة النهضة المصرية – دار الاتحاد العربي للطباعة – القاهرة – ط8 – 1970م).
- العبر في خبر من غبر – الذهبي – تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د.ت).
- عبقرية الخيال في رسالة الغفران – عمر انيس الطباع (دار الكشاف – بيروت – د.ت).
- عدالة الاسلام في المرأة – الدكتور عبد الرزاق السعدي (الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي – بغداد – دار الأنبار – 1418ه – 1997م).
- العـراق في العصـر البـويهي – التنظيمـات السياسـية والاداريـة والاقتصـادية (334– 447ه) د. محمـد حسـين الزبيـدي (دار النهضـة العربيـة – المطبعـة العالمية – القاهرة – 1968م).
- العرب والتربية والحضارة – الاختيار الصعب – د. محمد جواد رضا (بيروت – لبنان – ط3 – 1993م).
- عصر الدول والامارات – د. شوقي ضيف (دار المعارف بمصر – د.ت).
- العقد الفريد – احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328) تحقيق محمد سعيد العريان (دار الفكر – بيروت – د.ت).
- العقل عند الشيعة الامامية – رشدي عرسان عليان (مطبعة دار السلام – بغداد – ط2 – 1393ه – 1973م).
- علم الاجتماع – د. فاروق محمد العادلي (دار المعارف بمصر – 1977م).
- علـم الاجتمـاع السياسـي – الـدكتور احسـان محمـد الحسـن (جامعـة بغـداد – مطبعة جامعة الموصل – 1984م).
- علـم الاجتمـاع وعلـم الـنفس والأنثربولوجيـا – د. رشـدي فكـار (دار المعرفـة الجامعية الاسكندرية – 1989م).

- علم السياسة – الدكتور حسن صعب (دار العلم للملايين – بيروت – ط5 – 1977م).
- علم السياسة – دراسات نظرية وميدانية – دكتور اسماعيل علي سعد (دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – 1989م).
- علم الطبيعة – أرسطو طاليس – نقله الى العربي احمد السيد (مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – 1353ه – 1935م).
- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي – الدوميللي – نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى – مراجعة د. حسين فوزي (دار القلم – ط1 – 1381ه – 1962م).
- علم النفس – اسسه وتطبيقاته التربوية – الدكتور عبد العزيز القوصي (مكتبة النهضة المسرية – القاهرة – ط6 – 1970م).
- – العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي – أنطوان زحلان (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط5 – 1990م).
- العوامل السياسية في شعر ابي الطيب المتنبي – بيروت – لبنان – اعادة مصورة لطبعة دار الكتب المصرية – 1343ه – 1945م). .
- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة – أبو الحسن علي بن عبد الرحمن هذيل (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – ط2 – 1375ه – 1938م).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء – موفق الدين ابي العباس الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة – شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا (دار مكتبة – الحياة – بيروت – 1965م).
- الغزالي – البارون كاراد وفو – نقله الى العربية عادل زعيتر – راجعه محمد عبد الغني حسن (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – 1959م).
- الغزالي فقيهاً وفيلسوفا ومتصوفا – الدكتور حسين امين (مطبعة الارشاد – بغداد – 1963م).
- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية – الدكتور عبدالله سلوم السامرائي (دار واسط للنشر – بغداد – لندن، مطبعة الدار العربية – بغداد – ط3 – 1988م).

- الفارابي – سعيد زايد (دار المعارف بمصر – 1962م).
- الفـارابي والحضـارة الانسـانية – وقـائع مهرجـان الفـارابي (10/29– 1975/11/11م – مديرية الثقافة العامة – مطابع دار الحرية – بغداد – 75 – 1976م).
- فجر الاسلام – احمد امين (لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط5 – 1364ه – 1945م).
- الفرق الاسلامية – ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني (ت386) تحقيق سليمة عبد الرسول (مطبعة الارشاد – بغداد – 1973م).
- الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم – الفرد بل – ترجمة عبد الرحمن بدوي (دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازي – 1969م).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل – للإمام ابي محمد علي بن احمد بن حزم الظـاهري (ت456) (دار النـدوة – بـيروت – لبنـان – ج1، 2، 1317ه و ج3، 4،1320ه – د.ت).
- الفصول – عباس محمود العقاد (المكتبة العصرية – بيروت – صيدا – د.ت).
- فصول في الأدب والنقد – طه حسين (مطبعة المعارف ومكتبتها – مصر – 1945م).
- فصول من آراء اهل المدينة الفاضلة – للفارابي – شرح وتعليف د. علي عبد الواحد وافي (لجنة البيان العربي – القاهرة – ط2 – 1961م).
- الفصول والغايات – أبو العلاء المعري – ضبطه وفسر غريبه محمود حسن زناتي، ج1 (مطبعة حجازي – القاهرة – ط1 – 1356ه – 1938م).
- فضائح الباطنية – الغزالي – تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي (الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – 1383ه – 1964م).
- الفقه والسياسة – د. سعيد بن سعيد (دار الحداثة للطباعة والنشر – بيروت – 1982م).
- الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة – د. محمود عبد الفضيل (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1985م).
- الفكر الديني عند ابي العلاء المعري – عطا بكري (منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – مطبعة دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر – 1980م).

- الفكر السياسي العربي الاسلامي بين ماضيه وحاضره – د. فاضل زكي محمد (دار الحرية للطباعة – بغداد – ط2 – 1976م).
- الفكر السياسي عند ابي الحسن الماوردي – دكتور احمد مبارك البغدادي (مؤسسة الشراع للنشر والتوزيع – الكويت – ط1 – 1984م).
- الفكر السياسي لثورة العشرين – نديم عيسى (دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط1 – 1992م).
- فكرة عن فلسفة سقراط – محمد امين المفتي (دار الفكر العربي – مطبعة مخيمر – القاهرة – د.ت).
- فلاسفة من الشرق والغرب – مصطفى غالب (منشورات حمد – بيروت – ط1 – 1968م).
- فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط – الدكتور جعفر ال ياسين (مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع – بغداد – ط3 – د.ت).
- فلسفة الجهاد في الاسلام – السيد عبد الحافظ عبد ربه (مطابع الامان – لبنان – 1392ه – 1972م).
- الفلسفة السياسية عند ابن ابي الربيع – د. ناجي التكريتي (دار الشؤون الثقافية العامة – ط3 – 1977م).
- فلسفة الفكر الاسلامي – هنري سيرويا – ترجمة محمد ابراهيم (دار الثقافة العربية للطباعة والنشر – القاهرة – 1381ه – 1961م).
- فن الشعر – أرسطو طاليس – ترجمه عن اليونانية وشرحه وحققه عبد الرحمن بدوي (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – 1953م).
- الفن ومذاهبه في النثر العربي – د. شوقي ضيف (دار المعارف بمصر – ط6 – 1971م).
- الفهرست لابن النديم (مكتبة خياط – بيروت – لبنان – 1964م).
- في أدب مصر الفاطمية – د. محمد كامل حسين (دار الفكر الحمامي للطباعة – 1940م).
- في الأدب والنقد – د. محمد مندور، ج2 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – 1371ه – 1952م).

- في التراث العربي – د. مصطفى جواد – قدم له واخرجه ونصصه وفهرسه محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي – ج2 (وزارة الثقافة والأعلام – دار الرشيد – دار الحرية للطباعة والنشر – 1399ه – 1979م).
- في سبيل موسوعة نفسية – عرض وتقديم الدكتور مصطفى غالب (منشورات دار مكتبة الهلال – بيروت – 1978م).
- فيض الخاطر – احمد امين، ج3،4 (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط7 – 1974م).
- في النقد الأدبي – د. شوقي ضيف (دار المعارف بمصر – ط3 – د.ت).
- قادة الفكر – طه حسين (دار المعارف بمصر – د.ت).
- القرآن والمجتمع الحديث – عبد الرزاق نوفل (دار الجيل للباعة – القاهرة – د.ت).
- قصة الأدب في العالم – احمد امين وزكي نجيب محمود – ج1 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – 1943م).
- قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن – الشيخ نديم الجسر (توزيع دار العربية – منشورات المكتب الاسلامي – بيروت – ط3 – د.ت).
- قضايا الشعر المعاصر – احمد زكي أبو شادي (الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة – د.ت).
- قضايا العصر في أدب ابي العلاء المعري – د. عبد القادر زيدان (الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1986م).
- القومية العربية والاسلام والتاريخ والانسانية – قراءات في الفكر القومي لمجموعة من الباحثين (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1994م).
- الكامل في التاريخ – للإمام ابي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت630) (دار الفكر – بيروت – 1398ه – 1978م).
- كبرى التقنيات الكونية – د. محمد سعيد رمضان البوطي (دار الفكر – ط3 – 1394ه).
- كتاب آداب القضاء – القاضي شهاب الدين ابي اسحق ابراهيم بن عبدالله الهمداني الحموي المعروف بابن الدم الشافعي (ت642) تحقيق ودراسة

الدكتور محي هلال السرحان (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – مطبعة الارشاد – بغداد – ط1 – 1404ه – 1984م).

- كتاب آداب المعلمين – لمحمد بن سحنون (ت256) مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي – تحقيقات حسن حسني عبد الوهاب (تونس – ط2 – 1392ه – 1972م).
- كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأمام الحرمين الجويني (ت438) حققه وعلق عليه الدكتور محمد يوسف وعلي عبد المنعم حميد (مكتبة الخانجي – مطبعة السعادة – مصر – 1950م).
- كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة – للسيوطي (تصحيح محمد امين الخانجي (مطبعة السعادة – مصر – ط1 – 1346ه).
- كتاب التاج في أخلاق الملوك – الجاحظ – حققه وقدم له فوزي عطوى الشركة اللبنانية للكتاب – بيروت – لبنان – د.ت).
- كتاب تأويل مختلف الحديث – ابن قتيبة (دار الكتاب العربي – مطبعة العلوم – بيروت – د.ت).
- كتاب دائرة المعارف – بطرس البستاني (بيروت – 1876م).
- كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده – ابن حزم – دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن محمد الحمد وسعيد عبد الرحمن بن موسى القزني (توزيع مكتبة التراث المؤسسة السعودية – مطبعة المدني – مصر القاهرة – ط1 – 1408ه – 1988م).
- كتاب دول الاسلام في التاريخ – الذهبي – جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد الدكن – 1364ه).
- كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية – الشيخ ابي حاتم احمد بن حمدان الرازي – تحقيق الدكتور عبدالله سلوم السامرائي – ملحق بكتاب الغلو والفرق الغالية – ق3 – مطبعة الدار العربية – بغداد – ط3 – 1988م).
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك – احمد بن علي بن عبد القادر محمد بن ابراهيم المقريزي (ت845) صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، ق1 ج1 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط2 – 1956م).

- كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص للعالم عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي – وبهامشه كتاب بدائع البدائع للوذعي علي بن ظافر الأزدي (د.ت).
- كتاب المختصر في أخبار البشر – الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفداء (ت732) اصدار دار البحار – دار الكتاب اللبناني – بيروت – 1381ه – 1961م).
- كتاب مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء – الغزالي – تحقيق محمد جاسم الحديثي (دار صدام للمخطوطات – وزارة الثقافة والأعلام – دار الحرية للطباعة – بغداد – ط1 – 1409ه – 1988م).
- كتاب الوزراء والكتاب – تصنيف ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري – حققه ووضع فهارسه – مصطفى السقا وأخرون (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة – ط1 – 1357ه – 1938م).
- كتب ومؤلفون – طه حسين (دار العلم للملايين – بيروت – 1980م).
- كشاف مصادر دراسة ابي العلاء المعري – مصطفى صالح (مطبعة العلم – دمشق – 1978م).
- الكون والفساد – أرسطو طاليس – نقله الى العربية احمد لطفي السيد (مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – 1350ه – 1932م).
- اللباب في تهذيب الأنساب – ابن الأثير – (مكتبة المثنى – بغداد – د.ت، مصورة عن طبعة المقدسي – القاهرة – 1369ه).
- لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) – أبو العلاء المعري (دار صادر – بيروت – 1381ه – 1961م). مصورة من نسخة من تحقيق وشرح ابراهيم الأعرابي – مكتبة صادر – بيروت – 1952م).
- لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور – مج6 (دار الفكر – بيروت – لبنان – د.ت).
- لسان الميزان للحافظ شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852) (شركة علاء الدين – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان – 1390ه – 1971م).
- اللطف واللطائف – الثعالبي – تحقيق الدكتور محمود عبدالله الجادر (مكتبة العروبة للنشر والتوزيع – الكويت – ط1 – 1404ه – 1984م).

- لغة الشعر عند المعري – دراسة لغوية فنية سقط الزند – د. زهير غازي زاهد (وزارة الثقافة والأعلام – مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1989م).
- لمحات في المكتبة والبحث والمصادر – د. محمد عجاج الخطيب – بيروت – دمشق – ط3 – 1391هـ – 1971م).
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن علي الحسين الندوي (دار السلام للطباعة – حلب – بيروت – ط1 – 1398هـ – 1978م).
- مالك – حياته وعصره وآراؤه وفقهه – محمد أبو زهرة (مكتبة الأنجلو المصرية – مطبعة احمد علي مخيمر – ط2 – 1972م).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – لابي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي (ت637) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1 (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – 1398هـ – 1939م).
- المثل العقلية الافلاطونية – لمؤلف مجهول – تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – 1947م).
- المجتمع الاسلامي المعاصر – محمد المبارك (دار الفكر للطباعة – ط1 – 1391هـ – 1971م).
- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة – عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي (مكتبة النهضة – بغداد – د.ت).
- محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية – الدولة العباسية – الشيخ محمد الخضري لك (المكتبة التجارية الكبرى – مصر – 1970م).
- المحلى – ابن حزم – تصحيح ومقابلة الشيخ احمد محمد شاكر (دار الفكر – بيروت – د.ت).
- المختصر في اخبار البشر – الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفداء (ت732) مج (دار البحار – دار الكتاب اللبناني – بيروت – 1381هـ – 1961م).
- مدارس بغداد في العصر العباسي – عماد عبد السلام رؤوف (مطبعة دار البصري – بغداد – ط1 – 1386هـ – 1966م).

- مدخل الى علم السياسة – الدكتور عبد الرضا الطعان والدكتور صادق الأسود (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – مطبعة جامعة الموصل – 1986م).
- المدخل الى الفلسفة – دراسة موجزة ومبسطة لتاريخ وتطور الفلسفة – صدام الزيادي – ج1 (دار الحرية – بغداد – 1410هـ – 89 – 19990م).
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الحقبة 345 – 447هـ) تأليف شمس الدين ابي المظفر يوسف قزأ وغلي علي بن عبدالله البغدادي سبط بن الجوزي (ت654) دراسة وتحقيق جنان جليل محمد الهموندي (الدار الوطنية – بغداد – 1990م).
- المرأة في ادب المعري – منى عيسى هاشم البدري (رسالة ماجستير على الألة الكاتبة – جامعة البصرة – كلية الآداب – 1416هـ – 1995م).
- المرأة في الفكر الاسلامي – جمال محمد فقي رسول الباجوري (مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل – 1406هـ – 1986م).
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – لطفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739) وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي – تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط1 – 1374هـ – 1955م).
- المرايا المتجاورة – دراسة في نقد طه حسين – جابر عصفور (دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1990م).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي – شرح وتصحيح وتعليق محمد احمد جاد المولى بك وأخرين – ج1 (دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط1 – د.ت).
- المسالك والممالك لابي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت300 تقريبا) (مكتبة المثنى – بغداد والخانجي – مصر – 1889م).
- المسألة الثقافية – د. محمد عابد الجابري (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1994م).
- المصطلح الفلسفي عند العرب – دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الأمير الأعسم (مكتبة الفكر العربي – بغداد – ط1404هـ – 1985م).

- مطالعات في الكتب والحياة – عباس محمود العقاد (المطبعة التجارية الكبرى – القاهرة – 1343هـ – 1924م).
- مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية – عباس محمود العقاد – المكتبة العصرية – بيروت – صيدا – د.ت).
- مع ابي العلاء في سجنه – د. طه حسين (دار المعارف – القاهرة – ط13 – 1981م).
- معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول – عصر الدولة الموحدة – د. محمد نبيه حجاب (دار المعارف بمصر – ط2 – 1973م).
- معاهد التنصيص – عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي (ت963) د.ت.
- المعتزلة وأصول الحكم – د. محمد عمارة (المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان – توزيع المكتبة العالمية – بغداد – ط2 – 1984م).
- معجم الأدباء – ياقوت الحموي (دار المستشرق – بيروت – لبنان – د.ت).
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث – ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين ونشر الدكتور أ.ى ونستك (مكتبة بريل – ليدن – 1936م).
- المعري ذلك المجهول – عبدالله العلايلي (منشورات الأديب – المطبعة الحديثة – بيروت – 1944م).
- المغرب في حلى المغرب – أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت685) تحقيق د. شوقي ضيف – ج1 (دار المعارف بمصر – ط3 – 1978م).
- مفهوم الشعر – د. جابر عصفور (دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة – 1978م).
- مقدمة ابن خلدون – ابن خلدون (دار احياء التراث العربي – بيروت – د.ت).
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – طه باقر (مطبعة الحوادث – بغداد – 1972م).
- مكانة العقل في الفكر العربي – بحوث ومناقشات الندوة الفكرية – المجمع العلمي العراقي – لمجموعة من الباحثين (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – ط1 – 1996م).
- الملل والنحل – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت548) (دار الندوة الجديدة – بيروت – لبنان – 1320هـ).

- من اعلام العلماء العرب في القرن الثالث الهجري – احمد عبد الباقي (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1990م).
- من افلاطون الى ابن سينا – جميل صليبا (دار الأندلس – ط4 – د.ت).
- من تأريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني – القرن الرابع الهجري – طه حسين – مج3 (دار العلم للملايين – بيروت – ط3 – 1980م).
- من تاريخ الالحاد في الاسلام – د. عبد الرحمن بدوي (النهضة العربية – القاهرة – 1945م).
- المنتزع من كتاب التاجي – الصابيء – تحقيق وشرح د. محمد حسين الزبيدي (وزارة الإعلام – العراق – 1977م).
- من حديث الشعر والنثر – طه حسين (دار المعارف بمصر – ط9 – د.ت9.
- من الذي سرق النار – خطرات في النقد والادب – د. احسان عباس – جمع وتقديم وداد القاضي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – 1400ه – 1980م)
- من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية – الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا (مكتبة الفكر الجامعي – منشورات عويدات – بيروت – لبنان – ط1 – 1970م).
- المنتظم في اخبار الأمم – الجوزي (الدار الوطنية – مطبعة التعليم العالي الموصل – 1990م).
- منهج القرآن في تربية المجتمع – د. عبد الفتاح عاشور (مكتبة الخانجي – مصر ط1 – 1399ه – 1978م).
- الموجز في الأدب العربي وتاريخه – حنا فاخوري – ج2 (دار الجيل – بيروت – ط1 – 1985م).
- الموسوعة العربية الميسرة – اشراف محمد شفيق غربال (دار الشعب – مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة – د.ت).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال – الذهبي – تحقيق محمد علي الباجوري (دار احيار الكتب العربية – ط1 – 1382ه – 1963م).
- النثر الفني في القرن الرابع – زكي مبارك (المكتبة العصرية – صيدا – بيروت).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت874) (مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – ط1 – 1351هـ – 1932م).
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء – أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري (ت577) تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي (مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء – ط3 – 1985م).
- نشأة الأشعرية وتطورها – د. جلال محمد موسى (دار الكتاب اللبناني – بيروت – 1982م).
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام – د. علي سامر النشار (دار المعارف بمصر – ط7 – 1977م).
- نصيحة الملوك – الماوردي – تحقيق محمد جاسم الحديثي (دار الشؤون الثقافية العامة – دار الحرية – بغداد – 1981م).
- النصيرية – دراسة تحليلية – تقي شرف الدين (بيروت – لبنان – 1983م).
- نظام الاسلام – العقيدة والعبادة – محمد المبارك (دار الفكر – ط1 – 1388هـ – 1968م).
- نظام الحكم في الاسلام – تقي الدين النبهاني (دار الكشاف للنشر – بيروت – د.ت).
- نظام الحكم في الاسلام – د. محمد فاروق النبهان (جامعة الكويت – 1987م).
- نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية – د. محمد شكري سرور (دار الفكر العربي للطبع والنشر – 77 – 1978م).
- نظام القضاء في الشريعة الاسلامية – الدكتور عبد الكريم زيدان (مطبعة العاني – بغداد – ط1 – 1984م).
- النظريات السياسة الاسلامية – الدكتور محمد ضياء الريس (مكتبة الأنجلو المصرية – ط3 – 1960م).
- نظرية الأدب – رينيه ديليك – اوستن وارين – ترجمة محي الدين صبحي – مراجعة الدكتور حسام الخطيب (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – د.ت).
- النظرية الاسلامية في الدولة – د. حازم عبد المتعال الصعيدي (مطبعة دار التأليف – القاهرة – 1397هـ – 1977م).

- النظم الاسلامية – الخلافة – الوزارة – النظم المالية – النظم الأدراية – د. عبد العزيز الدوري (مطبعة دار الكتب – جامعة الموصل – 1988م).
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – احمد محمد المقري التلمساني (ت1041) حققه وضبطه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة السعادة – مصر – ط1 – 1367ه – 1949م).
- النقد الأدبي – احمد امين – ج2 (لجنة التأليف والترجمة والنشر – 1371ه – 1952م).
- النقد الأدبي – د. شوقي ضيف (دار المعارف بمصر – ط3 – د.ت).
- النقد الأدبي الحديث – د. محمد غنيمي هلال (نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة – 1977م).
- النقد واللغة في رسالة الغفران – الدكتور امجد الطرابلسي (مطبعة الجامعة السورية – 1370ه – 1951م).
- نكت الهميان في نكت العميان – صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت764) وقف على طبعه الأستاذ احمد زكي بك (المطبعة الجمالية – مصر – 1329ه – 1941م).
- نهاية الأدب في فنون الأدب – شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت732) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – مطابع كوستاتوماس – القاهرة – د.ت).
- نهر الذهب في تاريخ حلب – كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي الشهير بالغزى (المطبعة المارونية – حلب – د.ت).
- هوامش على الجوانب النوعية في التربية والتعليم – عبد الرحمن حميد ثامر (المديرية العامة لتربية الأنبار – وزارة التربية – 1986م).
- وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات – مجموعة من الباحثين المجمع العلمي العراقي (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1997م).
- الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية – تحرير جي ئي كروبناوم – ترجمة صدقي جميل – مراجعة الدكتور صالح احمد العلي (مؤسسة فرانكلين

للطباعة والنشر – بغداد – نيويورك – دار المتنبي – مطبعة أسعد – بغداد – 1966م).
- وجهة نظر نحو أعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر – الدكتور محمد عابد الجابري (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان – ط2 – 1994م).
- الوزارة – أدب الوزير – الماوردي – تحقيق ودراسة د. محمد سليمان داود ود. فؤاد عبد المنعم احمد (دار الجامعات المصرية – الاسكندرية – ط1 – 1396ه – 1976م).
- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان – لابي العباس شمس الدين بن خلكان (ت680) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مكتبة النهضة المصرية – مطبعة السعادة – مصر – ط1 – 1367ه – 1948م).
- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر – الثعالبي – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – ج2 (المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة السعادة – القاهرة 1357ه).

الدوريات:

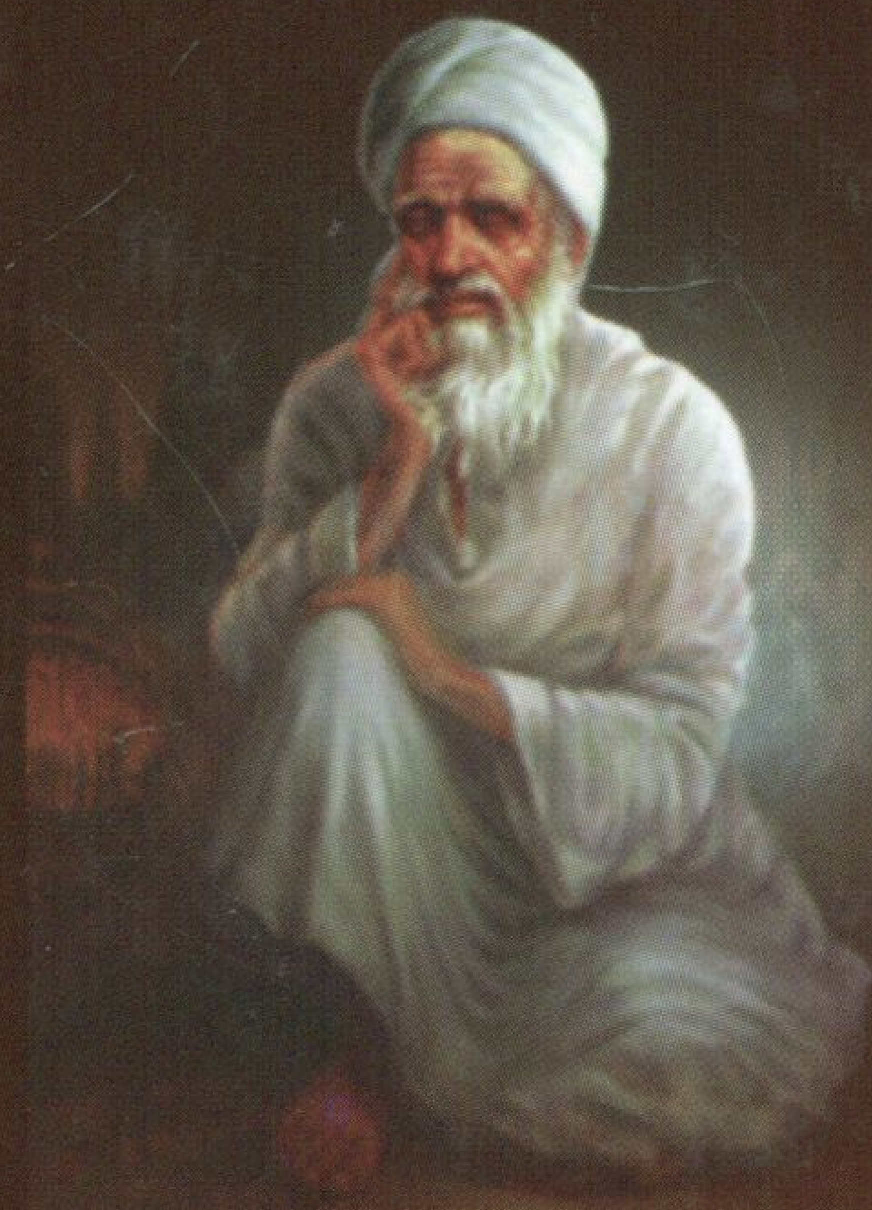
- البصائر – جامعة البنات الأردنية الأهلية – مج2 – العدد 1 السنة 1998م.
- الحديث – العدد 9,8، السنة 18 – 1944م – دمشق – عدد خاص – دراسات شاملة عن ابي العلاء لمناسبة الذكرى الألفية.
- القادسية – مج2 – العدد 2– جامعة القادسية – العراق – 1417ه – 1997م.
- الكتاب السنوي (82– 83) الهيئة العامة للتدريب – الكويت – 1984م.
- المورد – وزارة الثقافة والأعلام – جمهورية العراق – مج 26 – العدد (2) – 1419ه – 1998م.
- الهلال – مج 46 – عدد خاص – القاهرة – 1938م.
- اليرموك – مجلة ثقافية فصلية – جامعة اليرموك – العدد (59) آذار 1998 – اربد – الاردن.



للنشر والتوزيع

مكتبة المجتمع العربي

للنشر والتوزيع



الفكر السياسي
في أدب
أبي العلاء المعري





مكتبة المجتمع العربي

مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - ش. السلط - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: 96264632739+ - خلوي: 962795651920+ ص.ب. 8244 عمان 11121 الأردن
ش. الملكة رانيا العبد الله - مقابل كلية الزراعة - مجمع سمارة التجاري
Email: Moj_pub@yahoo.com - info@ muj-arabi-pub.com
www.muj-arabi-pub.com



مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع